الأمانة العامة
للعتبة الحسينية المقدسة

مهرجان تراتيل سجادية العاشر

الحياة الطيبة في الصحيفة السجادية

الدكتور أصغر طهماسبي البُلداجي
عضو هيئة التدريس بجامعة الشهركرد في إيران

دار الوارث للطباعة والنشر

عنوان الكتاب : الحياة الطيبة في الصحيفة السجادية

إعـداد : الدكتور أصغر طهماسبي البُلداجي

الناشر : الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة - مهرجان تراتيل سجادية العاشر

الإشراف والتنسيق والمتابعة : السيد جمال الدين الشهرستاني

المطبعة : دار الوارث للطباعة والنشر

الطباعة : الأولى

سنة النـشر : ٢٠٢٤م - ١٤٤٦هـ

عدد الصفحات : ٢٨٠

محفوظة جميع الحقوق

دار الوارث للطباعة والنشر
DARALWARITH Printing & Publishing

العراق - كربلاء المقدسة
المكتب الرئيسي، سيف سعد خلف المخازن الغذائية
٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٤ - ٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بالله نستعين وعليه نتوكل

الحمد لله الذي خلق فسوّى، وقدّر فهدى، وعلم بالقلم، علّم الإنسانَ ما لم يعلمْ، والصّلاة، والسّلامُ على خير من مشى على الأرض، وسيّد الأنام أبي القاسم محمّد، وعلى آله البدور التِّمام....

وبعدُ...

فبفضلِ الله عزّ وجلّ، ومنّهِ وصلْنا إلى النُّسخةِ العاشرة من مهرجان(تراتيل سجّاديّة) المخصّص في سيرة، الإمام السّجّاد، وحياته، وتراثه، ولكلّ سنةٍ شعارٌ، ومشاركون جددٌ، ومطبوعاتٌ جديدة، وباحثون يقدّمون بحوثَهم على قاعات الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة إنّ قيمة الصحيفة السجّاديّة(زبور آل محمّد) واضحةٌ في أعداد الشروح التي تناولتْها، والأعلام الذين اشتغلوا بها، وعليها، والصّحيفة هي من نتاج حياة الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ؛ فكان التّركيز من قبل علمائنا، وكتّابنا، و أدبائنا على هذا الإرث الثريّ بالتّقوى، والعلم، والأدب، والهداية.

إنّ ما يثير الدهشة، والانتباه وفي لقاءاتنا مع المفكّرين، وعلماء الأديان الأخرى، ولا سيّما المسيحيّون وجدتُ لديهم الاهتمامَ الكبيرَ بالصّحيفة السجاديّة، والمناجاة الخمس عشرة، ورسالة الحقوق للإمام زين العابدين(عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ونحن نقدّم لكم هذ الكتاب مشاركةً، ودعمًا لمكتبة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين(عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) علمًا أنّ الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، وبتكليفها إدارة المهرجان لاستقبال كلّ ما يصدر من جديدٍ في الإمام زين العابدين السجّاد(عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وطوال العام.

السيد جمال الدين الشهرستاني
رئيس اللجنة التحضيرية
لمهرجان تراتيل سجادية

الاهداء

إلى رسول كربلاء، الذي قد اهتزت اركان قصر يزيد بخطبه الغراء...

الى البطل المقاوم...

الى الشاهد والراوي لحادثة العاشورا الدامية...

إلى محيي الإسلام في أسلوب الدعاء...

إلى سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام)

التقدير والشكر

أنـا ممتـن جدًا لكل من سـاعدني في كتابـة هذا الكتاب. أتقدم بالشـكر والتقدير إلى كافة المسـؤولين في العتبة الحسـينة المقدسـة الذين عملوا و يعملون جاهدين في تنظيـم مهرجـان تراتيل السـجادية ونشر تعاليم أهل البيت(عليهم السـلام)؛ أخص بالتقدير والشـكر لسـماحة الشـيخ عبد المهدي الكربلائي الذي يجتهد في تنظيـم المؤتمـرات ونـشر الكتب والمجلات لنـشر معارف أهل البيـت. في النهاية أتوجه بالشـكر الجزيل لأخي الفاضل الأسـتاذ السـيد جمال الدين الشهرستاني الـذي اجتهد في تنظيم مهرجان تراتيل السـجادية ولقد أرشـدوني في كتابة هذا الكتاب. أسـأل الله الصحة والتوفيـق لكل هؤلاء الشرفاء.

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِهِ، وَ جَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ لِنَكُونَ لِإِحْسَانِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَ لِيَجْزِيَنَا عَلَى ذَلِكَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَبَانَا بِدِينِهِ، وَاخْتَصَّنَا بِمِلَّتِهِ، وَسَبَّلَنَا فِي سُبُلِ إِحْسَانِهِ لِنَسْلُكَهَا بِمَنِّهِ إِلَى رِضْوَانِهِ، حَمْداً يَتَقَبَّلُهُ مِنَّا، وَ يَرْضَى بِهِ عَنَّا.[١]

الحمد لله الذي أعطانا نعمة القرآن و خاتم الأنبياء وآله وأتاح لنا فرصة معرفتهم والإيمان بهم، وهذه نعمة الهداية،س نعمة عظيمة وثمينة من الله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا وَ ما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ»[٢] حقاً إن شكر هذه النعم صعب بل مستحيل، ولكننا نسأل الله صادقين أن يوفقنا لمعرفة هذه النعم وشكرها. ولكن بعد الثناء عليه تعالى، ينبغي أن يقال أن أهل بيت النبي هم خلفاؤه من الله، هم كثقل القرآن ومبين ومفسر لآيات القرآن، إنهم يعبرون عن المعارف الإلهية؛ كما قال الرسول الكريم في هذا الشأن: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اللَّهِ وَ عِتْرَتِي؛ أَهْلَ بَيْتِي وَ إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[٣] بعد الرسول الكريم وحسب الأحداث التي جرت بعد وفاته وما حدث من بدع وانحرافات لدى بعض الناس، حاول كل من الأئمة حسب مقتضيات عصره شرح تعاليم الإسلام الصحيحة وإرشاد الناس، فبذلوا كل جهدهم في مواجهة الانحرافات والبدع التي جاءت مخالفة للسنة الصحيحة للنبي والقرآن؛ وقد ضحوا بحياتهم بهذه الطريقة. قد سار الإمام السجاد (عليه السلام)، باعتباره الإمام الرابع، على نهج أبيه وأجداده آخذاً

---

١. الصحيفة السجادية، الدعاء٤٤.

٢. الاعراف/٤٣.

٣. محمد بن مسلم، صحيح مسلم ، المجلد ٢، ص١٨٧٣؛ الترمذي، سنن الترمذي، المجلد٥، ص٦٦٣.

في الاعتبـار مقتضيات عصره وأحواله، وإرشـاد النـاس وشرح المعارف الإلهية. وبالفعل فإن زمن الإمام السـجاد (عليه السـلام) من أصعب أوقات الأئمة، وقد جاء بعد استشـهاد الإمام الحسـين(عليه السـلام). في هذا الوضع الصعب اختار الإمام السـجاد(عليه السـلام) منهـج الدعائية لشرح التعاليـم الإلهية. الصحيفة السـجادية هي نتيجة جهود ومحاولة كثيرة للإمام السجاد في التفسير و التبيين عـن المعـارف الإلهيـة. إن الصحيفة السـجادية ليسـت مجرد تعبير عـن الدعاء والتضرع إلى الله، ولكنها طريقة وطقوس خدمة الله والأنسـنة في طريق عبادة اللـه تعالى. الصحيفة السـجادية بحر من المعارف والاحـكام والأخلاق والمبادئ الإيمانية التي عبر عنها الإمام السـجاد (عليه السـلام) في شـكل لغـة الدعاء. إن مجرد إلقاء نظرة الدعائية على الصحيفة السجادية هو أمر غير عادل وقصير في هذا الكتاب المقدس. هذا الكتاب مليء بالتعاليم التي يعبر عنها في تفسـير القرآن وشرح تعاليمه بصيغة الدعائية. لم تكن ادعية هذا الكتاب القيم ذات بعد واحد، بـل اهتمـت بجميع جوانب الحياة البشرية. في هـذه الادعية يتم التعبير عن أبعاد مختلفـة للمعارف الإلهيـة وفي مجال العقائد فقد ثبتت المعرفـة الصحيحة بالله وصفاته. إن معرفة الله هي السمة الأساسية والهامة في ادعية الإمام السجاد(عليه السـلام)؛ إن تعظيم الله عز وجل في هذه الأدعية والتعرف الصحيح على صفات الله من مميزات أدعية الإمام السـجاد(عليه السـلام). معرفة الآخرة والإيمان به وإعداد الإنسـان للآخرة من الموضوعات الأخرى التي يعبر عنها في ادعية الإمام السـجاد؛ ومعرفـة اهل البيت(عليهم السـلام) والإيمان و الاعتقـاد بهم هي من الأمور الأخرى التي عبر عنها الإمام السـجاد بلغة الدعاء في عصر الاختناق ذلك. في مختلـف مجـالات الحياة منها الدينيـة والأخلاقية والاقتصاديـة والاجتماعية والسـلوكية، تـم التعبير عن خصائص مهمة في ادعية الإمام السـجاد، وكل منها

يعبر عن الطريقة الصحيحة للعبودية وعاداتها؛ وباختصار فإن الصحيفة السجادية كتاب يتضمن أنسنة وخدمة الله، ويجب شرح تعاليمها وتعزيزها واستخدامها في تفسير القرآن وشرح التعاليم الإلهية. ما تمت مناقشته في هذا البحث موضوع الحياة الطيبة. إن الحياة الطيبة هي حياة كاملة مرضية عند الله، وعد بها الذين آمنوا وعملوا الصالحات: «مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُون»[1] فمن أجل تحقيق هذه الحياة الثمينة لا بد من الإيمان بما أمَر الله به والقيام بالعمل الصالح. للإيمان والعمل الصالح أمثلة كثيرة موضحة في تعاليم القرآن وأهل البيت(عليهم السلام). في الصحيفة السجادية يطلب الإمام السجاد(عليه السلام) أولاً من الله الحياة الطيبة؛ ثانياً: أنه يعبر عن أمثلة الحياة الطيبة في ظل الإيمان والعمل الصالح في صورة الدعاء بأبعاد مختلفة. قد تم في هذا الكتاب ذكر هذه الأبعاد والفئات مع ذكر خصائصها.

قد نظم هذا الكتاب واستكمل في ثمانية فصول، ذكرت فيها نماذج مهمة من الحياة الطيبة. في الفصل الأول تم ذكر مفاهيم البحث وعمومياته وشرح مختصر لسيرة الإمام السجاد(عليه السلام) وتاكيد لصحة و اعتبار الصحيفة السجادية و اسنادها الي الامام السجاد(عليه السلام). في الفصل الثاني تم شرح الجوانب الدينية في الحياة الطيبة، وتم ذكر أهمية معرفة الله. النقطة المهمة في هذا الفصل هي بيان آثار الإيمان بالله في الحياة، وذلك بحسب ادعية الإمام السجاد وغيرها. في الفصل الثالث ذكرت أهمية ولاية الأئمة؛ في هذا الفصل تم بيان الأسس القرآنية والروائية للولاية وخلافة الأئمة بعد النبي.نقرأ في هذا الفصل شرح ولاية أهل البيت وإمامتهم في ادعية الإمام السجاد وأهمية الإيمان والاعتقاد بولاية الأئمة.

---

١. النحل/٩٧.

في الفصل الرابع تم بيان الإيمان بالآخرة، وتناول الآخرة المركزية باعتبارها أحد مؤشرات الإيمان. في هذا الفصل بيان أمثلة عن الآخرة وارتباطها بالدنيا وكيفية الإيمان بالآخرة والاستفادة منها في الحياة. في الفصل الخامس تناولت التوجهات السلوكية والتعبدية في الحياة الطيبة؛ قد تناول في هذا الفصل أهمية العبادات كالصلاة والصيام والحج، والمناهج السلوكية كالتوكل والصبر والدعاء في الحياة الطيبة، وتم تحليل خصائص وأهمية كل منها. في الفصل السادس تناولت المناهج الأخلاقية في حياة الطيبة؛ في هذا الفصل تم بيان الخصائص الأخلاقية في مجال الفضائل الأخلاقية واجتناب الرذائل الأخلاقية، وقد تم تحليل هذه المؤشرات وتحقيقها بالرجوع إلى الآيات والأحاديث. في الفصل السابع تم تناول المؤشرات الاقتصادية للحياة الطيبة، وفي هذا الصدد تم بيان ما يتطلبه الحياة الدينية السليمة والصحيحة في المجال الاقتصادي. في الفصل الثامن والأخير تم ذكر الخصائص الاجتماعية للحياة الطيبة، وفي هذا الصدد تم شرح خصائص ومناهج المجتمع السليم الذي يرضي الله. منهج البحث في هذا الكتاب هو أن ادعية الإمام السجاد(عليه السلام) قد وردت تحت كل محور وعنوان، كما ورد في استكمال هذه الادعية وشرحها، الآيات القرآنية وأحاديث المعصومين وكلما دعت الحاجة إلى تفسير بعض الآيات فيما يتعلق بالمحور المطلوب، تمت الإشارة إلى التفاسير الصحيحة وبيان آراء المفسرين بإيجاز. كلما دعت الحاجة إلى المعجم في أي جزء من العبارات تمت الإشارة إلى كتب المعاجم. في نهاية كل فصل ذكر دعاء من الصحيفة السجادية يتعلق بالفصل المعني.هذا الكتاب مقدمة لشرح أهمية الصحيفة السجادية وتعاليمه الثمينة في الحياة، حتى يلاحظ المفكرون والمؤمنون أهميتها من حيث المضمون وتطبيقه في الحياة، فيستفيدون من تعاليم هذا الكتاب القيم في مختلف المجالات. في هذا الكتاب تم بذل كل جهد لشرح

خصائص الحياة الطيبة بشكل شامل وجامع بناءً على ادعية الإمام السجاد(عليه السلام) وتم المحاولة على شرح هذه المؤشرات بشكل عملي فيما يتعلق بحياة الإنسان، ليتمكن قارئ الكتاب من خلال قراءته لهذا الكتاب وتطبيقه لهذه المؤشرات من رؤية النتائج في حياته. مؤلف هذا الكتاب يقسم الله بحق السيد الساجدين أن يتقبل منه هذا العمل ويجعله في ميزان حسانته ويجعله كتاباً نافعاً في حياة الناس حتى يتمكنوا من قراءته الوصول إلى درجات العلم والهداية.

الحمدلله رب العالمين

ا.م.د. اصغر طهماسبي البلداجي

رمضان المبارك ١٤٤٥ هـ.

الفصل الأول: مفاهيم البحث وعمومياته

يتناول هذا الفصل سيرة الإمام السجاد(عليه السلام)، و اعتبار الصحيفة السجادية وصحتها، ومعنى الحياة الطيبة بشكل مختصر. لا بد من معرفة هذه الأمور باختصار قبل تناول المواضيع المتعلقة بالصحيفة السجادية؛ لهذا السبب تم في هذا الفصل شرح هذه الحالات بشكل مختصر للقارئ حتى يتمكن من التعرف على المواضيع الرئيسية قبل الانتقال إلى الموضوعات الاصلية للكتاب.

اولاً: نبذة مختصرة عن حياة الامام علي بن الحسين (عليهما السلام)

وفيما يلي ذكر سيرة الإمام السجاد وألقابه وفضائله بإيجاز.

الميلاد إلى الاستشهاد

الإمام السجاد هو الإمام الرابع وابن الإمام الحسين (عليه السلام) الذي ولد في الخامس من شعبان في السنة القمرية الثامنة والثلاثين في المدينة المنورة. قد ذكر معظم علماء الشيعة تاريخ ميلاده بالسنة القمرية الثامنة والثلاثين. يورد الكليني تاريخ ميلاده واستشهاده على النحو التالي: «وُلِدَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ع فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَ ثَلَاثِينَ وَ قُبِضَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَ تِسْعِينَ وَ لَهُ سَبْعٌ وَ خَمْسُونَ سَنَةً وَ أُمُّهُ سَلَامَةُ بِنْتُ يَزْدَجَرْدَ بْنِ شَهْرِيَارَ بْنِ شِيرَوَيْهِ بْنِ كِسْرَى أَبَرْوِيزَ وَ كَانَ يَزْدَجَرْدُ آخِرَ مُلُوكِ الْفُرْسِ».[1] أثناء ذكر تاريخ ميلاده، يقدم الطبري الإمامي نبذة مختصرة عن حياته حتى استشهاده: «ولد علي في المدينة في المسجد في بيت فاطمة سنة ثمان و ثلاثين من الهجرة قبل وفاة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام فأقام مع جده سنتين و مع عمّه الحسن عشر سنين و مع أبيه بعد وفاة عمّه عشر سنين و بعد ما استشهد أبوه خمسا و ثلاثين سنة فكانت أيام إمامته ملك

١. الكليني، الكافي، ج١، ص٤٦٦.

يزيد بن معاوية و ملك معاوية بن يزيد، و ملك مروان بن الحكم و ملك عبد الملك بن مروان و ملك الوليد بن عبد الملك».[١] ومحل ولادته على قول جميع أهل السيرة هو المدينة المنورة، كما كتب عنه محدث الاربلي: «فأما ولادته فبالمدينة في الخميس الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين»[٢] هناك اختلاف في تاريخ استشهاده، لكن أغلب علماء الشيعة يذكرون تاريخ استشهاده بـ ٢٥ محرم ٩٥ أو ٩٤ هجرية. الشيخ الطوسي يكتب عن هذا: «وفي اليوم الخامس والعشرين منه سنة أربع وتسعين كانت وفاة زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام».[٣] يكتب المحدث الاربلي عن تاريخ استشهاده ومكان دفنه على النحو التالي: «فإنه مات في ثامن عشر المحرم من سنة أربع و تسعين و قيل خمس و تسعين و قد تقدم ذكر ولادته في سنة ثمان و ثلاثين فيكون عمره سبعا و خمسين سنة و كان منها مع جده سنتين و مع عمه الحسن عشر سنين و أقام مع أبيه بعد عمه الحسن عشر سنين و بقي بعد قتل أبيه تتمة ذلك و قبره بالبقيع بمدينة رسول الله ص في القبر الذي فيه عمه الحسن في القبة التي فيها العباس بن عبد المطلب عليهما السلام».[٤] الشيخ المفيد يكتب عن هذا: «وَ تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَ تِسْعِينَ لِلْهِجْرَةِ وَ لَهُ يَوْمَئِذٍ سَبْعٌ وَ خَمْسُونَ سَنَةً.وَ كَانَتْ إِمَامَتُهُ أَرْبَعاً وَ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَ دُفِنَ بِالْبَقِيعِ مَعَ عَمِّهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام».[٥] يروي الكليني اللحظات الأخيرة من حياة الإمام السجاد ولحظة وفاته بهذه الطريقة: «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أُغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَ قَرَأَ

١. الطبري، دلائل الامامة، ص٨٠.
٢. الاربلي، كشف الغمّة، ج٢١، ص٧٣.
٣. الطوسي، مصباح المتهجد، ج١، ٧٨٧.
٤. الاربلي، كشف الغمة، ج٢، ص٨٢.
٥. المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص١٣٨.

إذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ وَ إِنَّا فَتَحْنا لَكَ وَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ ثُمَّ قُبِضَ مِنْ سَاعَتِهِ وَ لَمْ يَقُلْ شَيْئا».[1] وجاء في كتاب رجال الكشي، حضور الناس في موكب الجنازة للإمام السجاد(عليه السلام) على النحو التالي على قول سعيد بن المسيب: «فَلَمَّا أَنْ مَاتَ شَهِدَ جَنَازَتَهُ الْبَرُّ وَ الْفَاجِرُ- وَ أَثْنَى عَلَيْهِ الصَّالِحُ وَ الطَّالِحُ- وَ انْهَالَ [النَّاسُ] يَتْبَعُونَهُ حَتَّى وُضِعَتِ الْجِنَازَةُ- فَقُلْتُ إِنْ أَدْرَكْتُ الرَّكْعَتَيْنِ يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ فَالْيَوْمُ هُوَ- وَ لَمْ يَبْقَ إِلَّا رَجُلٌ وَ امْرَأَةٌ- ثُمَّ خَرَجَا إِلَى الْجِنَازَةِ وَ ثَبَتَّ لِأُصَلِّيَ- فَجَاءَ تَكْبِيرٌ مِنَ السَّمَاءِ فَأَجَابَهُ تَكْبِيرٌ مِنَ الْأَرْضِ- وَ أَجَابَهُ تَكْبِيرٌ مِنَ السَّمَاءِ فَأَجَابَهُ تَكْبِيرٌ مِنَ الْأَرْضِ- فَفَزِعْتُ وَ سَقَطْتُ عَلَى وَجْهِي- فَكَبَّرَ مَنْ فِي السَّمَاءِ سَبْعاً وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ سَبْعاً وَ صَلَّى عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا- وَ دَخَلَ النَّاسُ الْمَسْجِدَ فَلَمْ أُدْرِكِ الرَّكْعَتَيْنِ وَ لَا الصَّلَاةَ- عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا- فَقُلْتُ يَا سَعِيدُ لَوْ كُنْتُ أَنَا- لَمْ أَخْتَرْ إِلَّا الصَّلَاةَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ- إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ فَبَكَى سَعِيدٌ- ثُمَّ قَالَ مَا أَرَدْتُ إِلَّا الْخَيْرَ لَيْتَنِي كُنْتُ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ- فَإِنَّهُ مَا رُئِيَ مِثْلُه».[2]

نسبه الشريف

وكان أبوه الجليل السيد الشهيد الإمام الحسين وقال النبي عن منزلته: «**حُسَيْنٌ مِنِّي وَ أَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاط**».[3] هذه الرواية نقلت أيضاً في المصادر السنية، منها

١. الكليني، الكافي، ج١، ص٤٦٨.
٢. الكشي، رجال الكشي- اختيار معرفة الرجال، ش، ج١، ص٣٣٤.
٣. ابي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه، كامل الزيارات، ص٥٢.

قد نقلت في سنن الترمذي.[١] ينقل هذا الحديث العلاقة الروحية و المعنوية للإمام الحسين(عليهِ السّلام) إلى النبي- كما هو موضح في رواية أخرى أن طاعة الإمام الحسين(عليهِ السّلام) هي إطاعة للنبي-: «**وَ هُوَ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ بَابُ نَجَاةِ الْأُمَّةِ أَمْرُهُ أَمْرِي وَ طَاعَتُهُ طَاعَتِي مَنْ تَبِعَهُ فَإِنَّـهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصَاهُ فَلَيْسَ مِنِّي**».[٢]

والدة الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) حسب القصة الشهيرة، فتاة من بلاط إيران وابنة يزدجرد الثالث، هي آخر ملوك الساسانيين الذين تم أسرهم في الحرب بين العجم والعرب، ثم تزوجت بالإمام الحسين (عليه السلام). أسلمت هذه السيدة النبيلة في حلم صادق، ومثل نرجس خاتون والدة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) تقدمت الصديقة الكبري (سلام الله عليها) لخطبة ابنها العزيز الإمام الحسين (عليه السلام)؛ وبعد أن عانت من شدائد كثيرة جاءت إلى المدينة المنورة، وبحسب الأحاديث ذكرت لها أسماء كثيرة، لكن المشهور بينها وبين شيوخ الشيعة هو شهربانو. الشيخ مفيد يكتب عن هذا: «وكانَ للحسينِ ستّةُ أَولادٍ: عليٌّ بنُ الحسينِ الأكبرُ ، كنيتهُ أَبو محمدٍ ، وأمه شاه زنان بنت كسرى يَزدجرد.»[٣] يكتب البلاذري في أنساب الأشراف هكذا: «قَالُوا: وكانت أم عَلِيّ بْن الْحُسَيْن سجستانية تدعى سلافة فزوجها، فكان عَبْد الملك بْن مروان يقول: أن علي بن الحسين ليرتفع من حيث تتضع الناس. والمعروف في أخبار أهل البيت عليهم السلام انها بنت يزدجرد آخر ملوك الساسانية، وان اسمها

١. الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص ٦٥٨.
٢. الصدوق، الأمالي، ص١١٥.
٣. المفيد، الارشاد، ج٢، ص٢٥.

شهربانو، أو شاه زنان.»[1] يروي قطب الدين الراوندي محادثة الإمام علي مع والدة الإمام السجاد ونصيحة الإمام علي للإمام الحسين بشأن شهربانو على النحو التالي: «رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ لَمَّا قَدِمُوا بِبِنْتِ يَزْدَجَرْدَ بِنْتِ شَهْرِيَارَ آخِرِ مُلُوكِ الْفُرْسِ وَ خَاتِمِهِمْ عَلَى عُمَرَ وَ أُدْخِلَتِ الْمَدِينَةَ اسْتَشْرَفَتْ لَهَا عَذَارَى الْمَدِينَةِ وَ أَشْرَقَ الْمَجْلِسُ بِضَوْءِ وَجْهِهَا وَ رَأَتْ عُمَرَ فَقَالَتْ افيروزان فَغَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ شَتَمَتْنِي هَذِهِ الْعِلْجَةُ وَ هَمَّ بِهَا فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ ع لَيْسَ لَكَ إِنْكَارُ مَا لَا تَعْلَمُهُ فَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى عَلَيْهَا فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَا يَجُوزُ بَيْعُ بَنَاتِ الْمُلُوكِ وَ إِنْ كَانُوا كَافِرِينَ وَ لَكِنِ اعْرِضْ عَلَيْهَا أَنْ تَخْتَارَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَزَوَّجَ مِنْهُ وَ يُحْسَبُ صَدَاقُهَا عَلَيْهِ مِنْ عَطَائِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ يَقُومُ مَقَامَ الثَّمَنِ فَقَالَ عُمَرُ أَفْعَلُ وَ عَرَضَ عَلَيْهَا أَنْ تَخْتَارَ فَجَاءَتْ فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى مَنْكِبِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَقَالَ عليه السلام لَهَا: أَيْ أَيْشٍ اسْمُكِ يَا صَبِيَّةُ قَالَتْ جَهَانْشَاهُ بارخذاه؛ فَقَالَ عليه السلام شَهْرَبَانَوَيْهِ قَالَتْ خواهرم شَهْرَبَانَوَيْهِ أَيْ تِلْكَ أُخْتِي قَالَ عليه السلام راست گفتى أَيْ صَدَقْتِ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْحُسَيْنِ ع فَقَالَ لَهُ احْتَفِظْ بِهَا وَ أَحْسِنْ إِلَيْهَا فَسَتَلِدُ لَكَ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي زَمَانِهِ بَعْدَكَ وَ هِيَ أُمُّ الْأَوْصِيَاءِ الذُّرِّيَّةِ الطَّيِّبَةِ فَوَلَدَتْ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ زَيْنَ الْعَابِدِينَ عليه السلام وَ يُرْوَى أَنَّهَا مَاتَتْ فِي نِفَاسِهَا بِهِ وَ إِنَّمَا اخْتَارَتِ الْحُسَيْنَ ع لِأَنَّهَا رَأَتْ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ فِي النَّوْمِ وَ أَسْلَمَتْ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَهَا عَسْكَرُ الْمُسْلِمِينَ وَ لَهَا قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ وَ هِيَ أَنَّهَا قَالَتْ رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ قَبْلَ وُرُودِ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْنَا كَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه و آله دَخَلَ دَارَنَا وَ قَعَدَ وَ مَعَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام وَ خَطَبَنِي لَهُ وَ زَوَّجَنِي أَبِي مِنْهُ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ كَانَ ذَلِكَ يُؤَثِّرُ فِي قَلْبِي

١. البلاذري، انساب الاشراف، ج٣، ص١٠٢.

وَ مَـا كَانَ لِي خَاطِـبٌ غَـيرٌ هَذَا فَلَمَّـا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ رَأَيْـتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهما وَ قَدْ أَتَتْنِي وَ عَرَضَتْ عَلَيَّ الْإِسْـلَامَ وَ أَسْـلَمْتُ ثُمَّ قَالَتْ إِنَّ الْغَلَبَةَ تَكُونُ لِلْمُسْـلِمِينَ وَ إِنَّكِ تَصِلِينَ عَنْ قَرِيبٍ إِلَى ابْنَيِ الْحُسَـيْنِ عليه السـلام سَـالِمَةً لَا يُصِيبُكِ بِسُوءٍ أَحَدٌ قَالَتْ وَ كَانَ مِنَ الْحَالِ أَنْ أُخْرِجْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ».[1] لذلك كانت مكانة والدة الإمام السجاد أيضاً عالية جداً وكانت لها مكانة اختيارها زوجة للإمام الحسين الذي استمرت ذرية الإمامة منها.

القابه

للإمام السجاد (عليه السلام) ألقاب كثيرة وردت في كتب التاريخ، أشهرها زيـن العابديـن و سـيد العابديـن و الزكي و الأمين و قيل كان سـبب لقبه بزيـن العابدين أنه كان ليلة في محرابه قائما في تهجده فتمثل له الشـيطان في صـورة ثعبان ليشـغله عـن عبادته فلم يلتفت إليه فجـاء إلى إبهام رجله فالتقمها فلم يلتفت إليه فأله فلم يقطع صلاته فلما فرغ منها و قد كشـف اللـه له فعلم أنه شـيطان فسـبه و لطمه و قال له اخسـأ يـا ملعون فذهب و قـام إلى إتمـام ورده فسـمع صـوت لا يـرى قائله و هو يقـول أنت زين العابدين حقا ثلاثا فظهرت هذه الكلمة و اشـتهرت لقبا له عليه السلام.[2] يكتب ابن شـهر الآشـوب عن هذا: «لقبه: زين العابدين، وسـيد العابدين، وزيـن الصالحـين، ووارث علـم النبيين، ووصي الوصيـين، وخازن وصايا المرسـلين، وإمام المؤمنين، ومنار القانتين والخاشـعين، والمتهجد، والزاهد، والعابـد، والعدل، والبكاء، والسـجاد، وذو الثفنات، إمام الأمة، وأبو الأمة، ومنه تناسـل ولد الحسـين. وكنيته : أبو الحسـن، والخـاص، وأبو محمد.

١. الراوندي، قطب الدين، الخرائج و الجرائح، ج٢، ص: ٧٥١.
٢. الاربلي، كشف الغمة في معرفة الائمة، ج٢، ص٧٤.

ويقال : أبو القاسم . وروي انه كني بأبي بكر».[1]

يورد الشيخ الصدوق في كتاب علل الشرائع رواية عن سبب تسميته ب"السجاد" على النحو التالي: «حدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِصَامٍ الْكُلَيْنِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَسَنِيُّ وَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ جَمِيعاً عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَحْمَرِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخُزَاعِي عَنْ نَصْرِ بْنِ مُزَاحِمٍ الْمِنْقَرِيِّ عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ عليه السلام إِنَّ أَبِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام مَا ذَكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَّا سَجَدَ وَ لَا قَرَأَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِيهَا سُجُودٌ إِلَّا سَجَدَ وَ لَا دَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ سُوءً يَخْشَاهُ أَوْ كَيْدَ كَائِدٍ إِلَّا سَجَدَ وَ لَا فَرَغَ مِنْ صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ إِلَّا سَجَدَ وَ لَا وُفِّقَ لِإِصْلَاحِ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا سَجَدَ وَ كَانَ أَثَرُ السُّجُودِ فِي جَمِيعِ مَوَاضِعِ سُجُودِهِ فَسُمِّيَ السَّجَّادَ لِذَلِكَ».[2] كل هذه الألقاب تدل على المكانة الرفيعة للإمام السجاد(عليه السلام).

النصوص الدالة على إمامة الإمام السجاد (عليه السلام)

هناك العديد من الآيات والروايات حول النصوص الموجودة المتعلقة بإمامة الإمام السجاد؛ الشيخ المفيد يكتب عن نصوص امامة الامام السجاد: «وَ ثَبَتَتْ لَهُ الْإِمَامَةُ مِنْ وُجُوهٍ أَحَدُهَا أَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ أَبِيهِ عِلْماً وَ عَمَلًا وَ الْإِمَامَةُ لِلْأَفْضَلِ دُونَ الْمَفْضُولِ بِدَلَائِلِ الْعُقُولِ. وَ مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ أَوْلَى بِأَبِيهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَ أَحَقَّهُمْ بِمَقَامِهِ مِنْ بَعْدِهِ بِالْفَضْلِ وَ النَّسَبِ

١. ابن شهر آشوب، المناقب، ج٢، ص٣١٠.
٢. الصدوق، علل الشرايع، ج١، ص٢٣٢.

وَ الْأَوْلَى بِالْإِمَـامِ الْمَـاضِي أَحَـقُّ بِمَقَامِهِ مِنْ غَيْرِهِ بِدَلَالَةِ آيَـةِ ذَوِي الْأَرْحَامِ وَ قِصَّةِ زَكَرِيَّا عليه السـلام. وَ مِنْهَا وُجُوبُ الْإِمَامَةِ عَقْلًا فِي كُلِّ زَمَانٍ وَ فَسَادُ دَعْـوَى كُلِّ مُـدَّعٍ لِلْإِمَامَةِ فِي أَيَّامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَـيْنِ عليهما السـلام أَوْ مُدَّعًى لَهُ سِـوَاهُ فَثَبَتَتْ فِيهِ لِاسْـتِحَالَةِ خُلُوِّ الزَّمَانِ مِنْ إِمَامٍ. وَ مِنْهَا ثُبُوتُ الْإِمَامَةِ أَيْضـاً فِي الْعِتْرَةِ خَاصَّـةً بِالنَّظَرِ وَ الْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه و آله وَ فَسَـادُ قَـوْلِ مَنِ ادَّعَاهَا لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ بِتَعَرِّيهِ مِنَ النَّصِّ عَلَيْهِ بِهَا فَثَبَتَ أَنَّهَا فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام إِذْ لَا مُدَّعَى لَهُ الْإِمَامَةُ مِنَ الْعِتْرَةِ سِـوَى مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَ خُرُوجُهُ عَنْهَا بِمَا ذَكَرْنَاهُ. وَ مِنْهَا نَصُّ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه و آله بِالْإِمَامَةِ عَلَيْهِ فِيمَا رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ اللَّـوْحِ الَّـذِي رَوَاهُ جَابِرٌ عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه و آله وَ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ عليه السلام عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه و آله وَ نَصُّ جَدِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السـلامفِي حَيَاةِ أَبِيهِ الْحُسَـيْنِ عليه السلام بِمَا تَضَمَّنَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَ وَصِيَّةُ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِلَيْـهِ وَ إِيدَاعُـهُ أُمَّ سَـلَمَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَا مَا قَبَضَهُ عَلِيٌّ مِـنْ بَعْدِهِ وَ قَدْ كَانَ جَعَلَ الْتِمَاسَهُ مِنْ أُمِّ سَلَمَةَ عَلَامَةً عَلَى إِمَامَةِ الطَّالِبِ لَهُ مِنَ الْأَنَامِ وَ هَذَا بَابٌ يَعْرِفُـهُ مَـنْ تَصَفَّحَ الْأَخْبَارَ وَ لَـمْ نَقْصِدْ فِي هَذَا الْكِتَـابِ إِلَى الْقَوْلِ فِي مَعْنَاهُ فَنَسْـتَقْصِيَهُ عَلَى التَّمَامِ».[1]

المحـدث الاربلي يكتب عن مكانة الامام السـجاد العالية في مقام الامامة من خلال ذكر اقوال الآخرين: «حدثنا عبد الله بن موسى عن أبيه عن جده قال كانت أي فاطمة بنت الحسـين تأمرني أن أجلس إلى خالي علي بن الحسـين

١. المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص ١٣٩.

عليه السلام فما جلست إليه قط إلا قمت بخير قد استفدته إما خشية الله تعالى تحدث في قلبي لما أرى من خشيته الله أو علم قد استفدته منه و عن ابن شهاب الزهري قال حدثنا علي بن الحسين و كان أفضل هاشمي أدركناه قال أحبونا حب الإسلام فما زال حبكم لنا حتى صار شينا علينا.و عن سعيد بن كلثوم قال كنت عند الصادق جعفر بن محمد فذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فأطراه و مدحه بما هو أهله ثم قال و الله ما أكل علي بن أبي طالب من الدنيا حراما قط حتى مضى لسبيله و ما عرض له أمران قط هما لله رضى إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه و ما نزلت برسول الله نازلة قط إلا دعاه ثقة به و ما أطاق أحد عمل رسول الله من هذه الأمة غيره و إن كان ليعمل عمل رجل كأن وجهه بين الجنة و النار يرجو ثواب هذه و يخاف عقاب هذه و لقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله عز و جل و النجاة من النار مما كد بيديه و رشح منه جبينه و أنه كان ليقوت أهله بالزيت و الخل و العجوة و ما كان لباسه إلا الكرابيس إذا فضل شيء عن يده من كمه دعا بالجلم فقصه و لا أشبهه من ولده و لا من أهل بيته أحد أقرب شبها به في لباسه و فقهه **من علي بن الحسين** و لقد دخل ابنه أبو جعفر عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد فرآه قد اصفر لونه من السهر و رمضت عيناه من البكاء و دبرت جبهته و انخرم أنفه من السجود و ورمت ساقاه و قدماه من القيام في الصلاة قال أبو جعفر فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمة له و إذا هو يفكر فالتفت إلي بعد هنيهة من دخولي و قال يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب فأعطيته فقرا فيها شيئا يسيرا ثم تركها من يده تضجرا و قال من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب و

عـن عبد الله بـن محمد القرشي قال كان علي بن الحسـين إذا توضأ يصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يغشـاك فيقول أ تدرون من أتأهب للقيام بين يديه. و عن أبي جعفر قال كان علي بن الحسين يصلي في اليوم و الليلة ألف ركعة و كانت الريح تميله بمنزلة السنبلة. و روى سفيان الثوري عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب قال ذكر لعلي بن الحسـين فضله فقال حسـبنا أن نكـون من صالحـي قومنا. و عن طاوس قـال دخلت الحجر في الليل فإذا علي بن الحسـين قد دخل فقام يصلي فصلى ما شـاء الله ثم سجد فقلـت رجل صالح من أهل بيت النبوة و سـاق الحديث المقدم ذكره و قال عبيـدك بفنائـك إلى آخرهن.و عن إبراهيم بن علي عـن أبيه قال حججت مع علي بن الحسـين فالتاثت الناقة عليه في مسـيرها فأشـار إليها بالقضيب ثم قال أوه أوه لو لا القصاص و رد يده عنها.و بهذا الإسناد قال حج علي بن الحسـين ماشـيا فسـار عشرين يوما و ليلة من المدينة إلى مكة.و عن زرارة بن أعين قال سـمع قائل في جوف الليل و هو يقول أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة فهتف به هاتف من ناحية البقيع يسمع صوته و لا يرى شـخصه ذاك علي بن الحسـين. و عـن الزهري قال لـم أدرك أحدا من أهل هذا البيت يعني بيت النبي ص أفضل من علي بن الحسين».[1] في هذا الصدد هنـاك آيـات قرآنية عديدة وأحاديث عن النبي الكريم (صلى الله عليه و آله و سـلم) في ولاية الأئمة ومنهم الإمام السـجاد (عليه السلام)، والذي امتنع عن ذكره لطول الموضوع.

١. المحدث الاربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، ص٨٤-٨٧.

الفضائل والكمالات الأخلاقية

يتمتع الإمام المعصوم (عليه السلام) بشخصية شاملة لدرجة أنه من حيث الكمال هو في قمة العلو والتميز، ولذلك فهو على مستوى المجتمع الإنساني لديه القدرة على أن يكون قائدا وأسوة في كل امر. كان الامام علي بن الحسين (عليه السلام) المعصوم السادس والإمام الرابع كذلك، وبما يتمتع به من شخصية متعالية في جميع الأبعاد، فهو يزين الصورة المشرقة للإمامة.

عند النظر في كمال شخصية الامام السجاد (عليه السلام)، تجدر الإشارة إلى أنه من المستحيل التحقيق في الكمالات اللامتناهية للإمام المعصوم (عليه السلام)، لأن الإمام هو تجسيد جميع كمالات الإلهية اللامتناهية، وهو خليفة الله في الأرض وفي جميع العوالم. في هذا الجزء نذكر بإيجاز بعض فضائله الأخلاقية والروحية. مما جاء في صومه وحجه، عن الصادق(عليه السلام) قال : «**كان علي بن الحسين شديد الاجتهاد في العبادة نهاره صائم وليله قائم فأضر ذلك بجسمه فقلت له : يا أبه كم هذا الدؤب؟ فقال له: أتحبب إلى ربي لعله يزلفني ، وحج ماشيا فسار في عشرين يوما من المدينة إلى مكة.**» [١]

هكذا يروي الشيخ الصدوق عن جودة الإمام: «حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّزَّاقِ يَقُولُ جَعَلَتْ جَارِيَةٌ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ تَسْكُبُ الْمَاءَ عَلَيْهِ وَ هُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ

١. المجلسي، بحارالانوار، ج٤٦، ص٩١.

فَسَـقَطَ الْإِبْرِيـقُ مِنْ يَـدِ الْجَارِيَةِ عَلَى وَجْهِهِ فَشَـجَّهُ فَرَفَعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَـيْنِ رَأْسَـهُ إِلَيْهَـا فَقَالَـتِ الْجَارِيَةُ إِنَّ اللَّهَ عَـزَّ وَ جَلَّ يَقُـولُ- وَ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ فَقَـالَ لَهَـا قَدْ كَظَمْـتُ غَيْظِي قَالَتْ وَ الْعافِـينَ عَنِ النَّاسِ قَالَ قَـدْ عَفَى اللَّهُ عَنْـكِ قَالَـتْ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِـنِينَ قَالَ اذْهَبِـي فَأَنْتِ حُرَّة».[1]

يروي المحدث الاربلي عن زهد وعبادة الإمام السـجاد (عليه السلام) هكذا: «أنه كان إذا توضأ للصلاة يصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتادك عنـد الوضـوء فيقول أ تدرون بـين يدي من أريد أن أقـوم و منها أنه كان إذا مشى لا يجاوز يده فخذه و لا يخطر بيده و عليه السـكينة و الخشـوع و إذا قام إلى الصلاة أخذته الرعدة فيقول لمن يسأله أريد أن أقوم بين يدي ربـي و أناجيه فلهذا تأخذنـي الرعدة.و وقع الحريق و النار في البيت الذي هـو فيـه و كان سـاجدا في صلاته فجعلوا يقولون له يا ابن رسـول الله يا ابن رسـول الله النار النار فما رفع رأسـه من سـجود حتىأطفئت فقيل له مـا الذي ألهاك عنها فقال نار الآخرة».[2]

يقول الشيخ المفيد بعد أن روى عدة روايات عن فضائل الإمام السجاد(عليه السـلام): «فهذا طرف مما ورد من الحديث في فضائل زين العابدين. و قد روى عنـه فقهـاء العامـة مـن العلوم ما لا يحـصى كثرة و حفـظ عنه من المواعـظ و الأدعيـة و فضائل القرآن و الحلال و الحرام و المغازي و الأيام مـا هو مشـهور بـين العلماء و لو قصدنـا إلى شرح ذلك لطـال به الخطاب و تقـضَّى بـه الزمـان.و قـد روت الشـيعة له آيـات و معجـزات و براهين واضحـات لميتسـع لذكرهـا المـكان و وجودهـا في كتبهم المصنفـة ينوب

١. الصدوق، الامالي، ص٢٠١.
٢. المحدث الاربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، ص٧٥.

منـاب إيرادها في هذا الكتـاب و الله الموفق للصواب».[١]

ثانيا: دراسة عن صحة السند والمتن للصحيفة السجادية

إن صحة كتاب الصحيفة السـجادية، صحيحـة وكاملة من جميع النواحي ولا مجال للشـك فيها؛ ورغم أن محتوى هذا الكتاب نفسـه يدل على صحته وإتقانـه واسـناده إلى المعصـوم، لكـن البعـض شـكك في اسـناده بالإمام السـجاد(عليه السـلام)، وفيما يلي يتم اسـتخدام منهجيـن في نقد الحديث وفقـه الحديـث لفحص صحة هذا الكتاب القيم بشـكل موجز.

دراسة الوثيقة

وفيما يتعلق بوثائق الصحيفة السـجادية ينبغي القول أن أدعية الصحيفة السجادية قد رُويت بعدة وثائق، بحيث وباعتراف بعض أهل الحديث يصل موضوع اسـناد الصحيفـة إلى حد التواتر. بمعنى آخر فإن سلسـلة وثائق الصحيفـة العديدة دفعـت بعض العلماء إلى التعبير عـن وثيقة هذا الكتاب بشـكل التواتر تقريبًا؛ على سـبيل المثال يكتب العلامة المجلسي في المصداقية العالية لوثائق الصحيفة: «ويرتقي الأسانيد المذكورة هنا إلى ستة وخمسين ألف اسنادا ومائة إسناد».[٢] بعد هذا الخطاب يذكر العلامة سند الصحيفة السـجادية كما يلي: «وأروي الصحيفة عن العلامة الشـهيد محمد بن مكي، عن السيد شمس الدين محمد ابن أبي المعالي، عن الشيخ كمال الدين علي بن حماد الواسطي، عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد والشيخ نجم الدين جعفر بن نما، عن والده الشيخ نجيب الدين محمد بن نما والسيد فخار، عن

١. المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص ١٥٤.
٢. المجلسي، بحارالانوار، ج١٠٧، ص٦١.

الشـيخ محمد بن جعفر المشهدي، عن الشيخ الأجل سماعة بقراءة الشريف الاجـل نظام الشرف. وقال محمـد بن جعفر قرءته أيضا على والدي جعفر بن علي المشهدي وعلى الشيخ الفقيه هبة الله بن نما والشيخ المقري جعفر بن أبي الفضل بن شـقرة والشريف أبي الفتح بن الجعفرية والشريف أبي القاسـم بن الزكي العلوي والشيخ سالم بن قبارويه جميعا عن السيد بهاء الشرف. وبالاسـناد عن المحقق، عن ابن نما محمد، عن الشـيخ أبي الحسن علي بن الخياط، عن الشـيخ عربي بن مسافر، عن السيد بهاء الشرف. وعن السـيد فخار، عن الشـيخ علي بن يحيى الخياط، عن حمزة بن شهريار عن السـيد بهاء الشرف.وروى الشـيخ والنجاشي بأسانيدهما المتكثرة إلى أحمد بـن محمـد بن عيسى، عن ابن همـام، عن علي بن مالـك بالصحيفة الكاملة، وجلالة قدر ابن عيسى وإسـماعيل ابن همام تدل على جلالة على أيضا وابن همام راوي الرضا ثقة جليل القدر عظيم الشـأن ومن رواة الصحيفة علي بـن النعمان.»[١] نقل النجاشي أحد كبار علمـاء الحديث وعلماء الرجال عن وثيقة الصحيفة ما يلي: «أخبرنا الحسـين بن عبيدالله، عن ابن أخي طاهر، عـن محمـد بن مطهر، عن أبيه، عن عمير بن المتـوكل، عن أبيه متوكل، عن يحيى بن زيد بالدعاء».[٢] عن صحة هذا الكتاب يرى الشـيخ حرالعاملي أن اسـناد هذا الكتاب مشـهور، فيكتب عن ذلك: «الصحيفة الكاملة عن مولانا عليّ بن الحسـين (عليهما السـلام) فقد كتبها الباقر (عليه السلام) و أخوه زيد بخطّهما، و قوبلت، و أسـانيدها مشهورة.»[٣]

ينقـل حيـدر محمود شـاكر في كتابه «التلقى لصحيفة السـجادية» اسـناد

١. نفس المصدر: ص٦٢.

٢. النجاشي، رجال النجاشي، ج١، ص٤٦٢.

٣. الحرالعاملي، محمد بن حسن،هداية الأمة إلى أحكام الأئمة - منتخب المسائل، ج٨، ص٥٤٩.

ورواة الصحيفة من القرن الثاني إلى القرن الحادي عشر كما يلي:

المتلقّون الرواة لسند الصّحيفة السّجّاديّة:

إنّ الصّحيفة السّجّاديّة من الكتب والنصوص التي تواترت أسانيدها، وثبتت صحّة نسبتها إلى الإمام السّجاد زين العابدين (عليه السلام)، بنحو بلغ حدّ القطع (ترتقي الأسانيد المذكورة إلى ستة وخمسين ألف إسناد ومائة إسناد؛ ولا يزال العلماء يتلقونها موصولة الإسناد بالإسناد) سَبوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِد) ومن أبرز الرواة لها في تداوليتِهم التزامنية والتعاقبية، هم الآتي:

في القرن الثاني الهجري (٩٥-١٩٤هـ)

الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عَلَيْهِمَا السَّلامُ) (ت٩٥هـ) روايته وإملاؤه إلى:

أ. الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) (ت١١٤هـ)، ومنه إلى ابنه: الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عَلَيْهِمَا السَّلامُ) (ت١٤٨هـ).

ب. زيد بن علي الشهيد (عَلَيْهِمَا السَّلامُ) (ت١٢١هـ)، منه إلى ابنه: يحيى بن زيد الشهيد (عَلَيْهِمَا السَّلامُ) (ت١٢٦هـ).

ج. وعن طريق الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، ويحيى بن زيد الشهيد إلى: المتوكل بن هارون البلخي (١٩٤هـ) من هذه السنة إلى:القرن الثالث (٢٦٥هـ)-(٣٠٨هـ)عمير بن المتوكل البلخي)، بروايته إلى: (أحمد المطهر)، بروايته إلى ابنه (محمّد بن أحمد المطهّر)، ومنه إلى(محمّد بن الحَسن)

(علي بن النعمان الأعلم)، وبروايته إلى (عبد الله بن عمر الخطاب الزيات) (ت٢٦٥هـ) ومنه إلى (جعفر بن محمّد بن جعفر الحَسني (ت٣٠٨هـ) في القرن الراب.

وفي القرن الرابع (٣٠٨هـ -٣٨٠هـ):

أ. عن طريق (محمّد بن الحَسن)، و(جعفر بن محمّد بن جعفر) ت (٣٠٨ هـ) إلى (هارون بن موسى التلعكبري) في سنة (٣٣٥هـ)

ب. (الحَسن بن محمّد المعروف بابن أخي طاهر التلعكبري. (ت٣٥٨هـ)

ج. أبي علي محمّد بن همام الإسكافي) (ت٣٣٢هـ)

د. (أبي الفضل محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب الشيباني) (ت٣٨٠هـ)، أو (ت ٣٨٧هـ)

وفي القرن الخامس (٤١١هـ -٤٧٢هـ) عن طريق أبي الفضل، إلى:

(١) (أبي الحسين بن عبد الله الغضائري) (في سنة ٤١١هـ) ومنه إلى (الشيخ محمّد بن الحَسن الطوسيّ) (سنة ٤٥٠هـ) ومنه إلى (أبي علي الحَسن ابن الشيخ الطوسيّ (في سنة ٥١١هـ)

بداية القرن السادس

إلى (أبي منصور محمّد بن محمّد العكبري (ت ٤٧٢هـ)، ومنه إلى:أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن شهريار)، (سنة ٥١٦هـ)، ومنه إلى: (تاج الشرف يحيى بن إسماعيل بن علي الحُسين) في سنة (٥٨٩هـ)

وفي القرن السابع (٦٠٠هـ -٦٩٧هـ)

عن طريق (أبي عبد الله شهريار)، و(ابن الشيخ الطوسيّ)، إلى: (نجم الدين بهاء الشرف عمر بن أحمد بن علي بن محمّد العلوي (ت٦٠٤هـ(. إلى كل من:(علي بن محمّد بن السكون) سنة (٦٠٦هـ). و(عميد الرؤساء هبة الله بن حامد (ت٦٠٩هـ)و(عربي بن مسافر العباديّ) و(جعفر بن أبي الفضل بن شهاب)وعن طريق (هبة الله بن حامد) و(علي بن السكون) وصلت روايتها إلى (فخار بن معد الموسويّ (ت ٦٣٠هـ)) ومنه إلى: (سديد

الدين يوسف بن علي بن المطهر الحليّ وعن طريقه إلى:

القرن الثامن(٧٢٥-٨٢٦هـ)

الحَسن بن يُوسف الحليّ (ت٧٢٦هـ)؛ ومنه إلى كل من: (عميد الدين عبد المطلب الأعرج الحُسيني (ت٧٥٤هـ)، و(فخر الدين محمّد بن الحليّ أبي طالب) (ت٧٧١هـ)، ومنهما إلى محمّد بن مكي الشهيد الأوّل (ت٧٨٦هـ)) ومنه إلى:

القرن التاسع (٨٢٦ -٩٠٠هـ)

ضياء الدين علي بن محمّد (ابن الشهيد الأوّل)، ومنه إلى (شمس الدين محمّد بن محمّد بن داود المؤذن العامليّ) ومنه إلى: (علي بن علي بن محمّد بن طيّ) (ت٨٥٥ هـ) في سنة (٨٥١ هـ)؛ ومنه إلى: (نور الدين علي بن عبد العالي) (ت٩٣٨هـ). ومنه إلى:

القرن العاشر: (٩٠٠-٩٩٦)

زين الدين بن علي- الشهيد الثاني- (ت٩٦٦هـ) ومنه إلى: (حُسين بن عبد الصّمد العامليّ) (ت٩٨٤هـ)ومنه إلى:

القرن الحادي عشر: (١٠٠١- ١٠٩٩)

السيد حُسين بن الحسن الكركيّ (ت١٠٠١هـ)، ومنه إلى: (محمّد بن أحمد بن نعمة الله الخاتون العامليّ (ت١٠٠٨هـ)، ومنه إلى: (بهاء الدين محمّد بن الحُسين العامليّ (ت١٠٣١هـ)) ومنه إلى: (أحمد الكربلائيّ بتأريخ (١٠٤٢هـ))، و(محمّد تقي المجلسي (ت١٠٧٠هـ)

هذه لمحة مُوجَزة عن بعض المتلقّين الذين تداول سند الصّحيفة السّجّاديّة بين أيديهم، وحاولتِ الدراسة تدوينهم في تأريخ تلقّيها: أي، الصّحيفة السّجّاديّة. وكل مجموعة تداولية في بُعْدها التزامني في قرنها الخاصّ بها.

مخطوطات الصّحيفة السّجّاديّة المتداولة

تداولت نُسخ مخطوطات الصّحيفة السّجّاديّة في معظم خزائن المخطوطات في العالم، وستحاول الدراسة تدوين ما وقع بين يديها من مواضع تواجد هذه المخطوطات في بطون الكتب عرضت لها. من ذلك؛ (مخطوطة نفيسة من الصحيفة الكاملة برواية بهاء الشّرف) نسخها محمّد أمين بن محمّد علي سنة (١٠٧٩هـ) في خزانة مخطوطات المكتبة المركزية لجامعة طهران. وهناك في مكتبة مخطوطات لوس أنجلس؛ (مخطوطة بخط محمّد علي الشيرازيّ) سنة ١٠٠٨هـ)؛ وفي مكتبة رامبو (مخطوطة من دون راوٍ ولا ناسخ) تعود إلى سنة (١٠٥٠هـ)، وفي مخطوطات مُتحف الفاتيكان (مخطوطة) تعود إلى سنة (١٠٦٨هـ)، وفي مكتبة مخطوطات صنعاء (مخطوطة بخط عبد الوهاب بن صلاح المديخي الشرفيّ (ت ١٠٥٩هـ)). وفي مخطوطات مكتبة امبروزيانا (مخطوطة) مؤرخة إلى سنة (١٠٨١هـ)، وفي مخطوطات المُتحف البريطاني (مخطوطة) مؤرخة إلى سنة (١٠٨٢هـ)، وفي مكتبة براون في مُتحف كمبريج (مخطوطة بخط الشّهيد الثاني) مؤرخة إلى سنة (١٠٨٧هـ)، وفي مكتبة دانشكاه في إيران (مخطوطة) بخط حيدر محمّد بن جامي الحمصيّ مؤرخة إلى سنة (١١٠٩هـ) وفي مكتبة مُتحف أوبربرداش (مخطوطة) بخط إسحاق بن محمّد جعفر مؤرخة إلى سنة (١١٣٢هـ). وفي مخطوطات مكتبة مانشستر (مخطوطة) مؤرخة إلى سنة (١١٣٣هـ)

وهناك مخطوطات أُخْرى في مكتبات العالم أيضاً، مثل مكتبة برلين الملكية، والمكتبة الأهلية في باريس، والمخطوطات الخاصة بالمستشرق أدوار براون.[١]

١. الشاكر، حيدرمحمود، التلقي لصحيفة السجادية، ص٣١-٣٧.

النقطة الثانية حول صحة كتاب الصحيفة السجادية والرد على من يشكك في صحة الصحيفة؛ هو أن بعض أدعية الصحيفة السجادية قد نقلت باسانيد أخرى في كتب الدعاء الصحيحة وهذا يدل على أن الأدعية الأخرى كانت لها مستندات صحيحة أيضًا. أدعية كتاب الصحيفة متشابهة تماما من حيث أسلوب التعبير وطريقة الاستقراء، وهي تقول من قبل متحدث؛ وهذا يدل على أن جميع الأدعية قد رويت عن نفس متحدث ولذلك فلها وثيقة صحيحة. فمثلاً ينقل الشيخ الطوسي عن بعض أدعية الصحيفة السجادية في كتابه مصباح المتهجد؛[1] وهذا يدل على أن أدعية الصحيفة كانت متاحة للشيخ الطوسي، الذي يأتي ببعضها على حسب كلامه، أو في كتابه الأمالي يذكر بعض الأدعية بوثيقة غير وثيقة الصحيفة السجادية، على سبيل المثال: «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ هَارُونَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) أَنْ يُعَلِّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي الْمُهِمَّاتِ، فَأَخْرَجَ إِلَيَّ أَوْرَاقاً مِنْ صَحِيفَةٍ عَتِيقَةٍ، فَقَالَ: انْتَسِخْ مَا فِيهَا فَهُوَ دُعَاءُ جَدِّي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِلْمُهِمَّاتِ، فَكَتَبْتُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ، فَمَا كَرَبَنِي شَيْءٌ قَطُّ وَ أَهَمَّنِي إِلَّا دَعَوْتُ بِهِ فَفَرَّجَ اللَّهُ هَمِّي وَ كَشَفَ كَرْبِي وَ أَعْطَانِي سُؤْلِي، وَ هُوَ: «اللَّهُمَّ هَدَيْتَنِي فَلَهَوْتُ، وَ وَعَظْتَ فَقَسَوْتُ، وَ أَبْلَيْتَ الْجَمِيلَ فَعَصَيْتُ، وَ عَرَّفْتَ فَأَصْرَرْتُ ثُمَّ عَرَّفْتَ، فَاسْتَغْفَرْتُ فَأَقَلْتَ، فَعُدْتُ فَسَتَرْتَ.....»[2] عبارة

١. الطوسي، مصباح المتهجد، ج١، ص٥٨٢.
٢. الطوسي، الامالي، ص١٥.

«**فَأَخْرَجَ إِلَيَّ أَوْرَاقاً مِنْ صَحِيفَةٍ عَتِيقَةٍ**» تدل على أن الصحيفة السجادية كانت تحتوي على عدة أدعية، يقرأ الإمام الباقر إحدى تلك الأدعية على السائل بمناسبة سؤاله. كلمة مِن في عبارة «**مِنْ صَحِيفَةٍ عَتِيقَةٍ**» من نوع التبعيضية أي أنه قرأ جزءاً أو قسما من الصحيفة العتيقة الذي كان عند الإمام محمد الباقر للسائل. ولذلك وبسبب اسناد الوثيقة فإن هذا الكتاب مشهور وصحيح، مما يدل على صحته العالية.

دراسة حول اعتبار متن الكتاب

في طريقة فقه الحديثي يتم فحص نص الحديث وفحص صحته بدلا من فحص الوثيقة. في دراسة المحتوى لمفهوم الحديث لا ينبغي أن يكون مخالفاً للقرآن والسنة القطعية والتاريخ القطعي والعقل القطعي والعلم القطعي. لا يقتصر الأمر على أن أدعية الصحيفة السجادية لا تتعارض مع الحالات المذكورة، بل إن أدعيتها يعبر عنها في قمة البلاغة والمضمون العميق والأنيق. محتوى أدعية الصحيفة هو ترجمة وتفسير لآيات القرآن. في الصحيفة السجادية أهم موضوعات القرآن والسنة، من أصول العقائدية والاحكام الدينية والتربية الخلقية وموضوعات الاجتماعية والاقتصادية، والتي يدرك قارئ هذا الكتاب صحتها وإتقانها. قد ورد في الصحيفة السجادية أكثر من مئات الاقتباسات القرآنية، ولا يمكن أن يصدر تعبير هذه الاقتباسات بهذا الأسلوب في مكانه إلا من قبل المعصوم. وبسبب هذا المحتوى العميق وصلاحيته المعرفية العالية، أدرك كثير من العلماء صحة هذا الكتاب القيم دون فحص الوثيقة.

المجلسي الاول يكتب عن هذا: «والحاصل أنه لا شك في أن الصحيفة

الكاملة، عن مولانا سـيد الساجدين بذاتها وفصاحتها وبلاغتها، واشتمالها عـلى العلوم الإلهية التـي لا يمكن لغير المعصوم الاتيان بها والحمد لله رب العالمـين على هذه النعمة الجليلة العظيمة التي اختصت بنا معشر الشـيعة، والصلاة على مدينة العلوم الربانية، سـيد المرسـلين وعترتـه أبواب العلوم والحكم القدوسـية، والسـلام عليهم ورحمة الله وبركاتـه.»[١] وكذا كتب محقـق الدامـاد أحـد شراح الصحيفة السـجادية في التأكيد عـلى صحة هذا الكتاب: «الصحيفة الكريمة السجّاديّة، المسمّاة «انجيل أهل البيت» و «زبور آل الرسـول» متواتـرة، كما سـائر الكتـب في نسـبتها إلى مصنّفيها، وذكر الأسـناد لبيـان طريـق حمـل الرواية ، وإجـازة تحمّل النقل ، وذلك سـنن المشـايخ في الاجازات. فنقول: أسـانيد طرق المشـيخة ـ رضوان الله تعالى عليهـم ـ في روايتهـم للصحيفة الكاملة المكرّمة متواتـرة ، وتحمّلهم لنقلها مختلفة. ولفظة «حدّثنا» في هذا الطريق ، لعميد الدين وعمود المذهب عميد الرؤساء، من أئمّة علماء الأدب، ومن أفاخم أصحابنا ـ رضي الله تعالى عنهم ـ فهـو الذي روى الصحيفة الكريمة، عن السـيّد الأجـلّ بهاء الشرف».[٢]

يكتب مؤلف كتاب رياض السالكين في تأكيده على صحة الصحيفة وإسنادها للإمام السـجاد هكذا: «واعلم أن هذه الصحيفة الشريفة عليها مسـحة من العلـم الإلهـى، وفيها عبقة من الكلام النبوي، كيـف لا وهي قبس من نور مشكاة الرسالة ونفحة من شميم رياض الإمامة، حتى قال بعض العارفين: إنهـا تجري مجرى التنزيلات السـماوية، وتسـير مسـير الصحف اللوحية والعرشية، لما اشتملت عليه من أنوار حقائق المعرفة وثمار حدائق الحكمة.

---

١. المجلسي، بحارالانوار، ج١٠٧، ص٦٦.

٢. محقّق الداماد، السيد محمد باقر، شرح الصحيفة الكاملة السجّاديّة، ص٥٦.

وكان أحبار العلماء وجهابذة القدماء من السلف الصالح يلقبونها بزبور آل محمد (صلى الله عليه وآله)، وإنجيل أهل البيت (عليهم السلام».[١] العلامة النجفي صاحب كتاب جواهر الكلام الذي يحرص على فحص وثائق الروايات، يكتب عن هذا الكتاب: «و في الصحيفة- المعلوم أنّها من السّجاد عليه السلام في دعاء يوم الجمعة و ثاني العيدين: «اللّهمّ إنّ هذا المقام مقام لخلفائك و أصفيائك و مواضع امنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزّوها و أنت المقدّر لذلك- إلى أن قال:- حتى عاد صفوتك و خلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزّين يرون حكمك مبدّلاً- إلى أن قال:- اللّهمّ العن أعداءهم من الأوّلين و الآخرين و من رضي بفعالهم و أشياعهم لعناً وبيلًا».[٢] ولذلك فمن ناحية متن ايضاً فإن كتاب الصحيفة السجادية هو في قمة الصحة والإتقان، ومعارفه ترجمة القرآن وتفسير آياته.

ثالثاً: مفهوم "الحياة الطيبة"

ومن وجهة نظر القرآن الكريم، فإن الحياة الإسلامية لها مجالات عديدة، بعضها يشكل أساس الحياة الإسلامية ويتكون المبادئ العامة للحياة الإسلامية وبعض المكونات والمناهج الأخرى عملية وسلوكية وفردية واجتماعية، ولها دور عملي في الحياة الإسلامية؛ ولذلك وعد القرآن الكريم بالحياة الطيبة للأشخاص الذين يتمتعون بهذه الخصائص والمناهج التي هي فرع من الإيمان والعمل الصالح. إن الحياة الطيبة هي مثال للمستوى الرفيع من الحياة، الذي سيعطى آثارها في الدنيا والآخرة لمن كان أسلوب

١. الحسيني المدني الشيرازي، السيد علي خان، رياض السالكين، ج١، ص٥١.
٢. النجفي، الشيخ محمد حسن، جواهر الكلام في ثوبه الجديد، ج٦، ص١٢٥.

حياته في الدنيا إسـلاميا. ولذلك يمكن دراسة العلاقة بين الحياة الإسلامية والحيـاة الطيبـة من وجهة نظر أن الحياة الإسـلامية هي مقدمة للوصول إلـى الحيـاة الطيبة والحيـاة الطيبة هي المظهر الكامل لحياة الله السـامية التي يسعى المؤمن إلى تحقيقها. أهم آية ذكرت في القرآن الكريم عن الحياة الطيبة هي الآية ٩٧ من سورة النحل: «**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُـوَ مُؤْمِـنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَـةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَـنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**» (النحل/ ٩٧)

وكلمـة "طيـب" تعني الطهارة، و"الحياة الطيبـة" تعني الحياة النقية. قد كتـب ابـن منظور في تعريف كلمة "طيب" ما يلي: «طيـب: الطِّيبُ، عَلَى بِنَاءِ فِعْـل، والطَّيِّـب، نَعْتٌ. وَفِي الصِّحَاحِ: الطَّيِّبُ خِـلافُ الخَبيث؛ قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: الأَمـر كَمَـا ذُكِـرَ، إلا أَنه قَدْ تَتَّسِـعُ مَعَانِيه، فَيُقَالُ: أَرضٌ طَيِّبَـة لِلَّتِي تَصْلُح لِلنَّبَاتِ؛ وريحٌ طَيِّبَةٌ إذا كَانَتْ لَيِّنَةً لَيْسَـت بِشَـدِيدَةٍ؛ وطُعْمة طَيِّبة إذا كَانَتْ حَـلَالًا؛ وامـرأَةٌ طَيِّبة إذا كَانَتْ حَصانـاً عَفِيفَةً، وَمِنْهُ قَوْلُـهُ تَعَالَى: الطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِـيَن؛ وكلمةٌ طَيِّبة إذا لَمْ يَكُنْ فِيهَـا مَكْرُوهٌ؛ وبَلْدَة طَيِّبة أَي آمنةٌ كثيرةُ الْخَـيْرِ، وَمِنْهُ قَوْلُـهُ تَعَالَى: بَلْدَةٌ طَيِّبَـةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ».[١]

يقـول الطريحي في مجمـع البحرين بخصوص هذه الكلمـة: «الطيب يقال لمعان: الاول المسـتلذ، الثاني ما حلله الشـارع، الثالث ما كان طاهرا، الرابع مـا خـلي عـن الاذى في النفـس والبـدن. وهو حقيقـة في الاول لتبـادره إلى الذهن عند الاطلاق، والخبيث يقابل الطيب بمعانيه. قوله: * **(ويسـئلونك مـاذا أحـل لهم قل أحل لكم الطيبـات)** * { ٥ / ٤ } قال المفسر: يحتمل أن يكـون (ما) وحدها اسـما، ويكـون (ما) و (ذا) اسـما مرفوعا بالابتداء

١. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٦٣.

(وأحـل) خبر. والطيب: المسـتلذ. قوله: * **(من طيبات ما كسـبتم)*** [٢/٢٦٧] أي ممـا كسـبتم. قوله: * **(فلنحيينـه حياة طيبة)** * [١٦ / ٩٧] قـال المفـسر: يعني في الدنيـا، وهو الظاهر لقولـه* **ولنجزينهم** * الآيـة وعـن ابن عباس هي الرزق الحلال، وعن الحسـن هي القناعة، وقيل يعنـي في الجنة إذ لا تطيب للمؤمـن حياة إلا في الجنة.»[١]

هنـاك اختلاف بـين المفسرين في اصطلاح المفهومي لهـذه العبارة ومعناها ومثالها؛ يصف مؤلف تفسير الفرقان أمثلة الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ويكتب عن ذلك بالإشـارة إلى عدة آيات من القرآن: «قاعدة مطردة في كافة الصالحـات للصالحين و الصالحات، و إذ «**لَيْسَ لِلْإِنْسـانِ إِلَّا ما سَـعى**» فالحياة الطيبة الموعودة هي على قدر الصالحات دون اية فوارق من جنس ام جنسـيات، فالذكر و الأنثى متسـاويان في قاعدة العمل و فائدته العائدة. و «صالحـا» هنـا هـو الصالح لحيـاة طيبة حيـث يخلّفها فتخلفـه برحمة اللّـه و بركاتـه شريطة الايمـان، و تلك هي من مظاهـر الصالحات في هذه النشـأة الاولى، و امـا الأخـرى: «**وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَـنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ**» حياة طيبة اخرى تلو الاولى و ظهورا تاما لملكوتها «**وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسـانِ إِلَّا مـا سَـعى. وَ أَنَّ سَـعْيَهُ سَـوْفَ يُرى، ثُمَّ يُجْـزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى**». فمـن هذه الحياة الطيبة حياة النصرة الإلهية «**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُـلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ**» (٤٠: ٥١) و منها ولايـة الملائكة لهم «**نَحْـنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ**» (٤١: ٣١) و بـشرى اللّـه فيهـا: «**أَلا إِنَّ أَوْلِيـاءَ اللَّهِ لا خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُـونَ. الَّذِيـنَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ. لَهُـمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا**

١. الطريحي، مجمع البحرين، ج٣، ص٨٠.

وَ فِي الْآخِـرَةِ لا تَبْدِيـلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (١٠: ٦٤) و«القنوع بما رزقه الله» مما يسـلب عنه الخوف و الحزن في الحياة الدنيا و الآخـرة أحرى».[١] كتب العلامة الطباطبائي في تفسـيره لهذه العبارة ما يـلي: «الإحياء إلقـاء الحياة في الشيء و إفاضتها عليـه فالجملة بلفظها دالة عـلى أن الله سـبحانه يكرم المؤمن الذي يعمـل صالحا بحياة جديدة غير ما يشاركه سائر الناس من الحياة العامة، و ليس المراد به تغيير صفة الحياة فيه و تبديل الخبيثة من الطيبة مع بقاء أصل الحياة على ما كانت عليه، و لو كان كذلـك لقيـل: فلنطيبـن حياته فالآية نظيرة قولـه: **«أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنـاهُ وَ جَعَلْنـا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ»** :الأنعام: ١٢٢، و تفيد ما يفيده من تكوين حياة ابتدائية جديدة.و ليس من التسـمية المجازية لأن الآيات المتعرضة لهذا الشـأن ترتب عليه آثار الحياة الحقيقية كقوله تعالى: **«أُولئِـكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمـانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ»**: المجادلة:٢٢، و كقوله في آية الأنعام المنقولة آنفا: **«وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ»** فإن المراد بهذا النور العلم الذي يهتدي به الإنسـان إلى الحق في الاعتقاد و العمـل قطعـا.و كما أن لـه من العلم و الإدراك ما ليـس لغيره كذلك له من موهبـة القـدرة على إحيـاء الحق و إماطة الباطل ما ليـس لغيره، و قد قال سـبحانه: **«وَ كانَ حَقًّـا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنـِينَ»**: الروم: ٤٧، و قال: **«مَنْ آمَـنَ بِاللَّـهِ وَ الْيَـوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلا خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ»** :المائدة: ٦٩. و هذا العلم و القدرة الحديثان يمهدان له أن يرى الأشـياء على ما هي عليها فيقسـمها قسمين حق باق و باطل فان، فيعرض بقلبـه عـن الباطل الفاني الذي هـو الحياة الدنيا بزخارفهـا الغارة الفتانة

١. الصادقي الطهراني، الفرقان فى تفسير القرآن بالقرآن و السنه، ج١٦، ص: ٤٧٤.

و يعتز بعزة الله فلا يستذله الشيطان بوساوسه و لا النفس بأهوائها و هوساتها و لا الدنيا بزهرتها لما يشاهد من بطلان أمتعتها و فناء نعمتها.و يتعلق قلبه بربه الحق الذي هو يحق كل حق بكلماته فلا يريد إلا وجهه و لا يحب إلا قربه و لا يخاف إلا سخطه و بعده، يرى لنفسه حياة طاهرة دائمة مخلدة لا يدبر أمرها إلا ربه الغفور الودود، و لا يواجهها في طول مسيرها إلا الحسن الجميل فقد أحسن كل شيء خلقه، و لا قبيح إلا ما قبحه الله من معصيته. فهذا الإنسان يجد في نفسه من البهاء و الكمال و القوة و العزة و اللذة و السرور ما لا يقدر بقدر، و كيف لا؟ و هو مستغرق في حياة دائمة لا زوال لها و نعمة باقية لا نفاد لها و لا ألم فيها و لا كدورة تكدرها، و خير و سعادة لا شقاء معها، هذا ما يؤيده الاعتبار و ينطق به آيات كثيرة من القرآن لا حاجة إلى إيرادها على كثرتها.فهذه آثار حيوية لا تترتب إلا على حياة حقيقية غير مجازية، و قد رتبها الله سبحانه على هذه الحياة التي يذكرها و يخصها بالذين آمنوا و عملوا الصالحات فهي حياة حقيقية جديدة يفيضها الله سبحانه عليهم.و ليست هذه الحياة الجديدة المختصة بمنفصلة عن الحياة القديمة المشتركة و إن كانت غيرها فإنما الاختلاف بالمراتب لا بالعدد فلا يتعدد بها الإنسان، كما أن الروح القدسية التي يذكرها الله سبحانه للأنبياء لا توجب لهم إلا ارتفاع الدرجة دون تعدد الشخصية.[1] و «الحياة الطيبة» في هذه الدنيا هي النتاج الطبيعي للعمل الصالح النابع من الإيمان، أي أنّ المجتمع البشري سيعيش حينها حياة هادئة مطمئنة ملؤها الرفاه و السلم و المحبّة و التعاون، بل و كل ما يرتبط بالمجتمع من المفاهيم الإنسانية، و في أمان من الآلام الناتجة عن

١. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص ٣٤١-٣٤٣.

الاستكبار و الظلم و الطغيان و عبادة الأهواء و الأنانية التي تملأ الدنيا ظلاما و ظلامات.[1]

وعلى ما تقدم فإن للحياة الطيبة أمثلة ومن أهم الأمثلة عليها تحقيق الحياة الروحية النقية التي ترضي الله في الدنيا والآخرة؛ ولهذا فإن الوصول إلى الحياة الطيبة في الدنيا يعني الوصول إلى الحياة التي بشر الله بها والوصول إلى هذه الحياة في الدنيا يؤدي إلى سعادة الأخروية. ولذلك لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة لا بد من تحقيق الحياة الطيبة، ومن ناحية أخرى فإن شرط تحقيق الحياة الطيبة هو الإيمان والعمل الصالح. الإيمان بالقرآن له أمثلة كثيرة وصفات ينبغي للمؤمن أن يؤمن بها جميعها والعمل الصالح أيضاً له أمثلة كثيرة، منها القيام بالفرائض وترك المحرمات إلى فعل المستحبات. إن الصحيفة السجادية وهي ترجمة وتفسير للقرآن الكريم وظهور للتعاليم الإلهية، قد قدمت بشكل صحيح أمثلة الحياة الطيبة وسبل تحقيقها للمؤمنين؛ ومن أجل ذلك ولأهمية هذا الموضوع تم البحث في نماذج الحياة الطيبة وخصائصها في الصحيفة السجادية.

١. المكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج٨، ص ٣١٣.

الفصل الثاني: معرفة الله و التوحيد

إن من أهم موضوعات جميع الكتب السماوية ودعوة جميع الأنبياء معرفة اللـه والتوحيـد. لقد كانت فلسـفة نزول جميع الكتب السـماوية وإرسـال الأنبيـاء هي التأكيـد على وحدانية الله ومعرفته وعبوديـة الله تعالى؛ وهذا مبدأ أسـاسي ومهم في التعاليم الدينية؛ وهذا ما يقوله القرآن الكريم في هذا الشـأن: «**وَ لَقَـدْ بَعَثْنـا فِي كُلِّ أُمَّـةٍ رَسُـولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّـهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُـوتَ فَمِنْهُـمْ مَنْ هَـدَى اللَّهُ وَ مِنْهُـمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْـهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**»[1] ،فإن من أهم مؤشرات الحياة الطيبة هو الإيمان بالله؛ كما يقول القرآن الكريم عن هذا: «**مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَـنِ ما كانُـوا يَعْمَلُون**» **(النحل/٩٧)** ولهذا السـبب فإن من أهم موضوعات وحوارات الصحيفة السـجادية هو التأكيد على التوحيد ومعرفة الله وعبادة الله. يبدأ الإمام السجاد (عليه السلام) في جميع أدعيته بتوحيد الله والاعتراف بصفاته من الجمال والجلال، ويشـير إلى صفـات الله الكثـيرة في ادعيته. إن معرفة الله وعبادته الصحيحة تجلب للإنسـان سـعادة الدنيا والآخرة. وفيما يلي دراسـة وتحليـل لأهم جوانب التوحيد ومعرفة الله في الصحيفة السـجادية.

الاول: الإيمان بالله الواحد و رفض كافة أشكال الشرك

إن أحـد أهـم أبعاد التوحيد والإيمان بالله هـو الإيمان بوحدانية الله ونفي أي شرك. يحمد الإمام السجاد (عليه السلام) في دعائه الله الواحد ويتبرأ منه

١سورة النحل -٣٦

مـن أي الشرك ويقول في وصف توحيد الله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْـهِدُكَ وَ كَفَى بِكَ شَهِيداً، وَ أُشْهِدُ سَمَاءَكَ وَ أَرْضَكَ وَ مَنْ أَسْكَنْتَهُمَا مِنْ مَلائِكَتِكَ وَ سَـائِرِ خَلْقِكَ فِي يَوْمِي هَذَا وَ سَـاعَتِي هَذِهِ وَ لَيْلَتِي هَذِهِ وَ مُسْتَقَرِّي هَذَا، أَنِّي أَشْـهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، قَائِمٌ بِالْقِسْـطِ، عَدْلٌ فِي الْحُكْمِ، رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ، مَالِكُ الْمُلْكِ، رَحِيمٌ بِالْخَلْقِ.**»[1] بهذه العبارات يصف الإمام السـجاد(عليه السـلام) الله، بأنه إله واحد لا نظير له ولا إله غـيره؛ وثمـرة هذا التفكير نفي ورفض أي شرك من الحياة، وهذه المسـألة من أهم المواضيع التوحيدية.

في الدعاء الثامنة والأربعين من الصحيفة السـجادية يسـأل الإمام السـجاد (عليه السلام) الله أن يجعله من أهل التوحيد: «**اللَّهُمَّ وَ اجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيـدِ وَ الْإِيمَانِ بِكَ، وَ التَّصْدِيقِ بِرَسُـولِكَ، وَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ حَتَمْتَ طَاعَتَهُـمْ مِمَّنْ يَجْرِي ذَلِكَ بِهِ وَ عَلَى يَدَيْهِ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِين**».[2] ثمرة هذا الدعاء الدخول في صفوف المؤمنين والتحرر من الشرك وظلمات الجهل والكفـر، كمـا يفسر الإمام هذا الـكلام ويقول في الدعـاء الأول: «**وَ الْحَمْدُ لِلَّـهِ عَـلَى مَا عَرَّفَنَا مِنْ نَفْسِـهِ، وَ أَلْهَمَنَا مِنْ شُـكْرِهِ، وَ فَتَحَ لَنَا مِنْ أَبْـوَابِ الْعِلْـمِ بِرُبُوبِيَّتِـهِ، وَ دَلَّنَا عَلَيْـهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ لَـهُ فِي تَوْحِيدِهِ، وَ جَنَّبَنَـا مِـنَ الْإِلْحَادِ وَ الشَّـكِّ فِي أَمْرِهِ.**»[3] وفي موضع آخر يعبر الإمام بشـكل جميـل عن توحيد الله بهـذه الطريقة: «**أَنْـتَ اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَـدُ الْمُتَوَحِّـدُ الْفَرْدُ الْمُتَفَرِّد**»[4] يقول الإمام السـجاد(عليه السـلام) أن

١. الصحيفة السجادية، الدعاء السادس.
٢. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٨.
٣. المصدر نفسه، الدعاء الأول.
٤. المصدر نفسه، الدعاء ٤٧.

نتيجة التوحيد هو نفي الشرك ولهذا السبب يصف الحياة التوحيدية بأنها خاليـة من أي نوع مـن الشرك. يقدم الإمام الأدلـة والبراهين على وحدانية اللـه والتوحيد، ويوضح سـبب وحدانية اللـه أنه ليس له شريك أو وزير في الخلـق ويقـول: «**أَنْتَ الَّذِي لَمْ يُعِنْكَ عَلَى خَلْقِكَ شَرِيكٌ، وَ لَمْ يُوَازِرْكَ فِي أَمْـرِكَ وَزِيـرٌ، وَ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُشَـاهِدٌ وَ لَا نَظِـير**».[1] يعبر في هذا الدعاء عـن خلوص العبودية لله والإيمان بالتوحيـد ونفي الشرك بهذه الطريقة: «**وَ إِنِّـي وَ إِنْ لَمْ أُقَدِّمْ مَا قَدَّمُـوهُ مِنَ الصَّالِحَاتِ فَقَدْ قَدَّمْتُ تَوْحِيدَكَ وَ نَفْـيَ الْأَضْـدَادِ وَ الْأَنْـدَادِ وَ الْأَشْـبَاهِ عَنْـكَ، وَ أَتَيْتُـكَ مِـنَ الْأَبْـوَابِ الَّتِـي أَمَـرْتَ أَنْ تُؤْتَـى مِنْهَـا، وَ تَقَرَّبْتُ إِلَيْـكَ بِمَا لَا يَقْـرُبُ أَحَدٌ مِنْكَ إِلَّا بِالتَّقَـرُّبِ بِـهِ.**»[2] يعلم الإمام السـجاد (عليه السـلام) كيفية الاعتراف بالتوحيد والتحدث مع الله للباحثين عن الحق وعبودية الله؛ في الواقع يعلم الإمام (عليه السـلام) الانسـان المؤمن كيفية مخاطبة الله وكيفية الاعتراف بعبودية الله وتوحيده. يقول في الدعاء السادس هكذا: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ وَ كَفَى بِكَ شَـهِيداً، وَ أُشْـهِدُ سَـمَاءَكَ وَ أَرْضَكَ وَ مَنْ أَسْـكَنْتَهُمَا مِنْ مَلَائِكَتِكَ وَ سَـائِرِ خَلْقِكَ فِي يَوْمِي هَذَا وَ سَـاعَتِي هَذِهِ وَ لَيْلَتِي هَذِهِ وَ مُسْـتَقَرِّي هَذَا، أَنِّي أَشْـهَدُ أَنَّـكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنْتَ، قَائِمٌ بِالْقِسْـطِ، عَدْلٌ فِي الْحُكْمِ، رَءُوفٌ بِالْعِبَـادِ، مَالِكُ الْمُلْكِ، رَحِيمٌ بِالْخَلْقِ. وَ أَنَّ مُحَمَّـداً عَبْدُكَ وَ رَسُـولُكَ و خِيَرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، حَمَّلْتَهُ رِسَـالَتَكَ فَأَدَّاهَا، وَ أَمَرْتَهُ بِالنُّصْحِ لِأُمَّتِهِ فَنَصَحَ لَهَا**»[3] ولأهمية التوحيد في حياة الإنسان يسأل الله أن يبعده عن كل إلحاد وشرك: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ**

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه، الدعاء السادس.

وَ آلِـهِ، وَ جَنِّبْنَـا الْإِلْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ، وَ الْتَّقْصِيرَ فِي تَمْجِيدِكَ، وَ الشَّـكَ فِي دِينِكَ، وَ الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ، وَ الْإِغْفَالَ لِحُرْمَتِكَ، وَ الِانْخِدَاعَ لِعَدُوِّكَ الشَّـيْطَانِ الرَّجِيـمِ»[1] لذلك فـإن التوحيد والإيمان باللـه الواحد هو أحد أهم جوانب الحياة الطيبة أو الحياة الإلهية، التي يجد فيها الإنسـان معرفة خالقه وربه، وسـتكون حياته خالية من أي نوع من أنواع الشرك؛ ونتيجة هذا الإيمان هي السـعادة في الدنيا والآخرة.

الثاني: المعرفة الصحية بالله تبارك و تعالي

ومـن المواضيع المهمة الأخرى التي تثار فيمـا يتعلق بالتوحيد والله تبارك و تعـالى، هـو المعرفة الصحيحة بالله. مما لا شـك فيه أن الله بريء من أي عيب ونقص، وهذا من أهم تأكيدات القرآن وأهل البيت (عليهم السلام) على معرفـة الله بشـكل صحيح. إن المعرفة الصحيحة بالله هي أسـاس معرفة الله والتدين الصحيح الذي هو أحد الأسس الأساسية للحياة الطيبة. وفيما يتعلق بهذا المحور **أولاً** يقدم الإمام السجاد (عليه السلام) الله على أنه بريء من كل نقائص والعباد غير قادرين على معرفة الله عز وجل معرفة كاملة، فيقـول في هـذا الصـدد: «**الْحَمْدُ لِلَّـهِ الْأَوَّلِ بِلَا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَـهُ، وَ الْآخِرِ بِـلَا آخِـرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ الَّذِي قَـصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَـارُ النَّاظِرِينَ، وَ عَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ.**»[2]

وفي موضـع آخـر يوصف الله بأنه بري من الفهم بحواس العباد الظاهرية و يقـول: «**سُـبْحَانَكَ! لَا تُحَـسُ وَ لَا تُجَـسُّ وَ لَا تُمَـسُّ وَ لَا تُكَادُ وَ لَا**

---

١. المصدر نفسه، الدعاء ٤٤.

٢. الصحيفة السجادية، الدعاء الأول.

تُمَاطُ وَ لَا تُنَازَعُ وَ لَا تُجَارَى وَ لَا تُمَارَى وَ لَا تُخَادَعُ وَ لَا تُمَاكَر».[1]

يقول الإمام السجاد(عليه السلام) هذا في التقديم الصحيح لله بأجمل ما يمكن من خلال تكييف المحتوى من آيات القرآن الكريم:«**اللَّهُمَّ يَا ذَا الْمُلْكِ الْمُتَأَبِّدِ بِالْخُلُودِ وَ السُّلْطَانِ الْمُمْتَنِعِ بِغَيْرِ جُنُودٍ وَ لَا أَعْوَانٍ. وَ الْعِزِّ الْبَاقِي عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ وَ خَوَالِي الْأَعْوَامِ وَ مَوَاضِي الْأَزْمَانِ وَ الْأَيَّامِ عَزَّ سُلْطَانُكَ عِزّاً لَا حَدَّ لَهُ بِأَوَّلِيَّةٍ، وَ لَا مُنْتَهَى لَهُ بِآخِرِيَّةٍ وَ اسْتَعْلَى مُلْكُكَ عُلُوّاً سَقَطَتِ الْأَشْيَاءُ دُونَ بُلُوغِ أَمَدِهِ وَ لَا يَبْلُغُ أَدْنَى مَا اسْتَأْثَرْتَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ أَقْصَى نَعْتِ النَّاعِتِينَ. ضَلَّتْ فِيكَ الصِّفَاتُ، وَ تَفَسَّخَتْ دُونَكَ النُّعُوتُ، وَ حَارَتْ فِي كِبْرِيَائِكَ لَطَائِفُ الْأَوْهَامِ كَذَلِكَ أَنْتَ اللَّهُ الْأَوَّلُ فِي أَوَّلِيَّتِكَ، وَ عَلَى ذَلِكَ أَنْتَ دَائِمٌ لَا تَزُول».**[2] في كل هذه العبارات فإن الإمام السجاد(عليه السلام) وهو يمجد الله ويعظمه، يعبر بشكل صحيح عن صفات الله وتقديمه، وهذه العبارات مأخوذة من تعاليم القرآن الذي يعرض بشكل جميل المعرفة الصحيحة عن الله للمؤمنين. في كثير من الحالات يتناول الإمام السجاد(عليه السلام) المعرفة الصحيحة لله من خلال صفاته ويعبر عن صفات الله بشكل صحيح ودقيق، بما في ذلك:

١.علم الله

وفي القرآن آيات كثيرة تتعلق بعلم الله و تقدم علم الله تعالى بشكل مطلق، بحيث لا يخفى شيء من علمه:«**وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاَّ هُوَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُها وَ لا حَبَّةٍ فِي**

---

١. المصدر نفسه، الدعاء ٤٧.

٢. المصدر نفسه، الدعاء ٣٢.

ظُلُمـاتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْـبٍ وَ لا يابِـسٍ إلاَّ في كِتـابٍ مُبـينٍ» (الانعام/٥٩)
«اللَّـهُ لا إلـهَ إلاَّ هُـوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِـنَةٌ وَ لا نَـوْمٌ لَهُ ما في السَّـماواتِ وَ مـا في الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذي يَشْـفَعُ عِنْـدَهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مـا بَـيْنَ أَيْديهِمْ وَ ما خَلْفَهُـمْ وَ لا يُحيطُونَ بِشَيْءٍ مِـنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِما شـاءَ وَسِـعَ كُرْسِيُّهُ السَّـماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظيمِ»[١].
«قُـلْ إِنْ تُخْفُـوا مـا في صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْـدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّـهُ وَ يَعْلَمُ ما في السَّماواتِ وَ ما في الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٍ» (آل عمران/٢٩)
كمـا يعـبر الإمام السـجاد(عليه السـلام) عـن معرفـة الله بهـذه الطريقة باسـتخدام القـرآن: **«يَا اللَّهُ الَّـذِي لا يَخْفى عَلَيْـهِ شَيْءٌ في الْأَرْضِ وَ لا في السَّـماءِ، وَ كَيْـفَ يَخْفَـى عَلَيْكَ- يَا إِلَهِي- مَا أَنْـتَ خَلَقْتَهُ، وَ كَيْفَ لَا تُحْصِي مَا أَنْتَ صَنَعْتَهُ، أَوْ كَيْفَ يَغِيبُ عَنْكَ مَا أَنْتَ تُدَبِّرُهُ، أَوْ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْرُبَ مِنْكَ مَنْ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِرِزْقِكَ، أَوْ كَيْفَ يَنْجُو مِنْكَ مَنْ لَا مَذْهَبَ لَهُ فِي غَيْرِ مُلْكِكَ. سُبْحَانَكَ! أَخْشَى خَلْقِكَ لَكَ أَعْلَمُهُمْ بِكَ، وَ أَخْضَعُهُـمْ لَكَ أَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِـكَ، وَ أَهْوَنُهُمْ عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ تَرْزُقُهُ وَ هُوَ يَعْبُدُ غَيْرَكَ»**.[٢]

٢.قدرة الله

هكذا يقدم الإمام السـجاد(عليه السـلام) صفة القدرة الإلهيـة: **«وَ الْحَمْدُ لِلَّـهِ الَّـذِي مَـنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّـهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِـهِ دُونَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَـةِ وَ الْقُـرُونِ السَّـالِفَةِ، بِقُدْرَتِـهِ الَّتِي لَا تَعْجِزُ عَـنْ شَيْءٍ وَ إِنْ**

١سورة البقرة – ٢٥٥
٢. الصحيفة السجادية، الدعاء ٥٢.

عَظُـمَ، وَ لَا يَفُوتُهَـا شَيْءٌ وَ إِنْ لَطُفَ. فَخَتَمَ بِنَـا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأَ، وَ جَعَلَنَـا شُـهَدَاءَ عَـلَى مَنْ جَحَـدَ، وَ كَثَّرَنَا بِمَنِّهِ عَـلَى مَنْ قَل»[1] هذه العبارات تظهر بشـكل مناسـب قدرة الله تعالى وتبرئة الله من أي ضعف أو نقص.

٣.غنى الله

فاللـه غنـي تمامًا ولا يحتـاج إلى شيء، بل كل الخلق يحتاجـون إليه في كل الأحـوال، كما يقول القرآن الكريم: «**يـا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّـهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد**»[2].

«**قالُـوا اتَّخَـذَ اللَّهُ وَلَداً سُـبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ ما فِي السَّـماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُـم مِـنْ سُـلْطانٍ بِهـذا أَ تَقُولُـونَ عَـلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُون**»[3].

«**لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد**» [4].

كمـا يصف الإمام السـجاد(عليه السـلام) غنى اللـه في الدعاء الثالث عشر: «**اللَّهُـمَّ يَا مُنْتَهَـى مَطْلَبِ الْحَاجَاتِ وَ يَا مَنْ عِنْدَهُ نَيْلُ الطَّلِبَاتِ وَ يَا مَـنْ لَا يَبِيـعُ نِعَمَهُ بِالْأَثْمَانِ وَ يَا مَنْ لَا يُكَدِّرُ عَطَايَاهُ بِالامْتِنَانِ وَ يَا مَـنْ يُسْـتَغْنَى بِهِ وَ لَا يُسْـتَغْنَى عَنْهُ وَ يَا مَنْ يُرْغَـبُ إِلَيْهِ وَ لَا يُرْغَبُ عَنْـهُ وَ يَـا مَـنْ لَا تُفْنِـي خَزَائِنَهُ الْمَسَـائِلُ وَ يَـا مَنْ لَا تُبَـدِّلُ حِكْمَتَهُ الْوَسَائِلُ وَ يَا مَنْ لَا تَنْقَطِعُ عَنْهُ حَوَائِجُ الْمُحْتَاجِينَ وَ يَا مَنْ لَا يُعَنِّيهِ دُعَـاءُ الدَّاعِـينَ. تَمَدَّحْتَ بِالْغَنَاءِ عَـنْ خَلْقِكَ وَ أَنْتَ أَهْـلُ الْغِنَى عَنْهُمْ**

---

١. المصدر نفسه، الدعاء الثاني.

٢. سورة الفاطر - ١٥

٣. سورة يونس - ٦٨

٤. سورة الحج - ٦٤

وَ نَسَبْتَهُمْ إِلَى الْفَقْرِ وَ هُمْ أَهْلُ الْفَقْرِ إِلَيْكَ. فَمَنْ حَاوَلَ سَدَّ خَلَّتِهِ مِنْ عِنْدِكَ، وَ رَامَ صَرْفَ الْفَقْرِ عَنْ نَفْسِهِ بِكَ فَقَدْ طَلَبَ حَاجَتَهُ فِي مَظَانِّهَا، وَ أَتَى طَلِبَتَهُ مِنْ وَجْهِهَا».[1]

٤.عدالة الله

هكذا يعبر الإمام السجاد(عليه السلام) عن عدالة الله المطلقة: «**وَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي حُكْمِكَ ظُلْمٌ، وَ لَا فِي نَقِمَتِكَ عَجَلَةٌ، وَ إِنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الْفَوْتَ، وَ إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ، وَ قَدْ تَعَالَيْتَ- يَا إِلَهِي- عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.**»[2] **يقول في الدعاء السادس:« اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ وَ كَفَى بِكَ شَهِيداً، وَ أُشْهِدُ سَمَاءَكَ وَ أَرْضَكَ وَ مَنْ أَسْكَنْتَهُمَا مِنْ مَلائِكَتِكَ وَ سَائِرِ خَلْقِكَ فِي يَوْمِي هَذَا وَ سَاعَتِي هَذِهِ وَ لَيْلَتِي هَذِهِ وَ مُسْتَقَرِّي هَذَا، أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، قَائِمٌ بِالْقِسْطِ، عَدْلٌ فِي الْحُكْمِ، رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ، مَالِكُ الْمُلْكِ، رَحِيمٌ بِالْخَلْقِ».**[3]

٥.رحمة الله

بالإضافة إلى تحديد صفة الله للعدالة، يعبر الإمام السجاد (عليه السلام) أيضًا عن رحمة الله الواسعة واللامتناهية فيقول: «**فَمَنْ غَفَرْتَ لَهُ فَبِطَوْلِكَ، وَ مَنْ رَضِيتَ عَنْهُ فَبِفَضْلِكَ تَشْكُرُ يَسِيرَ مَا شَكَرْتَهُ، وَ تُثِيبُ عَلَى قَلِيلِ مَا تُطَاعُ فِيهِ حَتَّى كَأَنَّ شُكْرَ عِبَادِكَ الَّذِي أَوْجَبْتَ عَلَيْهِ ثَوَابَهُمْ وَ أَعْظَمْتَ عَنْهُ جَزَاءَهُمْ أَمْرٌ مَلَكُوا اسْتِطَاعَةَ الِامْتِنَاعِ مِنْهُ دُونَكَ فَكَافَيْتَهُمْ، أَوْ لَمْ يَكُنْ سَبَبُهُ بِيَدِكَ فَجَازَيْتَهُمْ! بَلْ مَلَكْتَ-**

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ١٣.

٢ - المصدر نفسه، ٤٨.

٣. المصدر نفسه، الدعاء السادس.

يَـا إِلَهِـي- أَمْرَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَمْلِكُـوا عِبَادَتَكَ، وَ أَعْـدَدْتَ ثَوَابَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُفِيضُوا فِي طَاعَتِكَ، وَ ذَلِكَ أَنَّ سُـنَّتَكَ الْإِفْضَالُ، وَ عَادَتَكَ الْإِحْسَـانُ، وَ سَـبِيلَكَ الْعَفْو».[١] وفي موضع آخر يقول في تعريف رحمة الله الواسـعة: **«بَابُـكَ مَفْتُـوحٌ لِلرَّاغِبِـينَ، وَ جُودُكَ مُبَاحٌ لِلسَّـائِلِينَ، وَ إِغَاثَتُكَ قَرِيبَةٌ مِـنَ الْمُسْـتَغِيثِينَ. لَا يَخِيـبُ مِنْـكَ الْآمِلُـونَ، وَ لَا يَيْـأَسُ مِـنْ عَطَائِكَ الْمُتَعَرِّضُونَ، وَ لا يَشْـقى بِنَقِمَتِكَ الْمُسْـتَغْفِرُونَ. رِزْقُكَ مَبْسُـوطٌ لِمَنْ عَصَـاكَ، وَ حِلْمُكَ مُعْتَرِضٌ لِمَنْ نَاوَاكَ، عَادَتُكَ الْإِحْسَـانُ إِلَى الْمُسِـيئِينَ، وَ سُـنَّتُكَ الْإِبْقَـاءُ عَـلَى الْمُعْتَدِينَ حَتَّى لَقَدْ غَرَّتْهُـمْ أَنَاتُكَ عَنِ الرُّجُوعِ، وَ صَدَّهُـمْ إِمْهَالُـكَ عَنِ النُّزُوعِ.»**[٢] إن الإمام السـجاد(عليه السـلام) في شرح رحمـة الله الواسـعة يوضح رحمة اللـه ومغفرته أكثر من عذاب الله وغضبـه فيقـول: **«وَ أَنْـتَ الَّـذِي عَفْوُهُ أَعْلَى مِـنْ عِقَابِـهِ وَ أَنْتَ الَّذِي تَسْـعَى رَحْمَتُهُ أَمَـامَ غَضَبِهِ. وَ أَنْتَ الَّذِي عَطَـاؤُهُ أَكْثَرُ مِنْ مَنْعِهِ.»** [٣] يصف الإمام السـجاد رحمة الله اللامتناهية التي لا تنتهي، فيقول: **«وَ يَـا مَـنْ لَا تَفْنَى خَزَائِـنُ رَحْمَتِهِ، صَلِّ عَـلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِـهِ وَ اجْعَلْ لَنَا نَصِيبـاً فِي رَحْمَتِكَ.»**[٤] وكل ما سـبق يعبر عن صفـات جمال وجلال الله تعـالى بأجمـل صورة كما هـي والتعريف بالله بطريقـة صحيحة للتعرف الصحيح والجدير.

بالإضافة إلى الحالات المذكورة أعلاه، يذكر الإمام السـجاد(عليه السلام) في الدعاء السـابع والأربعين من الصحيفة السجادية أبعاداً كثيرة لصفات الله

١. المصدر نفسه، الدعاء ٣٧.
٢. المصدر نفسه، الدعاء ٤٦.
٣. الصحيفة السجادية، الدعاء ١٦.
٤. المصدر نفسه، الدعاء الخامس.

ويعرض صفات الله بطريقة صحيحة ومناسبة، بما في ذلك: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بَدِيعَ السَّماوَاتِ وَ الْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ، رَبَّ الْأَرْبَابِ، وَ إِلَهَ كُلِّ مَأْلُوهٍ، وَ خَالِقَ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَ وَارِثَ كُلِّ شَيْءٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ، وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ، وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ.أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الْمُتَوَحِّدُ الْفَرْدُ الْمُتَفَرِّدُ وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْكَرِيمُ الْمُتَكَرِّمُ، الْعَظِيمُ الْمُتَعَظِّمُ، الْكَبِيرُ الْمُتَكَبِّرُ وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْعَلِيُّ الْمُتَعَالِ، الشَّدِيدُ الْمِحَالِ وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْقَدِيمُ الْخَبِيرُ وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْكَرِيمُ الْأَكْرَمُ، الدَّائِمُ الْأَدْوَمُ، وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، وَ الْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ عَدَدٍ وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الدَّانِي فِي عُلُوِّهِ، وَ الْعَالِي فِي دُنُوِّهِ وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، ذُو الْبَهَاءِ وَ الْمَجْدِ، وَ الْكِبْرِيَاءِ وَ الْحَمْدِ وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الَّذِي أَنْشَأْتَ الْأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ سِنْخٍ، وَ صَوَّرْتَ مَا صَوَّرْتَ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ، وَ ابْتَدَعْتَ الْمُبْتَدَعَاتِ بِلَا احْتِذَاءٍ. أَنْتَ الَّذِي قَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيراً، وَ يَسَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَيْسِيراً، وَ دَبَّرْتَ مَا دُونَكَ تَدْبِيراً أَنْتَ الَّذِي لَمْ يُعِنْكَ عَلَى خَلْقِكَ شَرِيكٌ، وَ لَمْ يُوَازِرْكَ فِي أَمْرِكَ وَزِيرٌ، وَ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُشَاهِدٌ وَ لَا نَظِيرٌ. أَنْتَ الَّذِي أَرَدْتَ فَكَانَ حَتْماً مَا أَرَدْتَ، وَ قَضَيْتَ فَكَانَ عَدْلًا مَا قَضَيْتَ، وَ حَكَمْتَ فَكَانَ نِصْفاً مَا حَكَمْتَ. أَنْتَ الَّذِي لَا يَحْوِيكَ مَكَانٌ، وَ لَمْ يَقُمْ لِسُلْطَانِكَ سُلْطَانٌ، وَ لَمْ يُعْيِكَ بُرْهَانٌ وَ لَا بَيَانٌ. أَنْتَ الَّذِي أَحْصَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً، وَ جَعَلْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَمَداً، وَ قَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيراً. أَنْتَ الَّذِي قَصُرَتِ الْأَوْهَامُ عَنْ ذَاتِيَّتِكَ،**

وَ عَجَـزَتِ الْأَفْهَامُ عَـنْ كَيْفِيَّتِكَ، وَ لَمْ تُدْرِكِ الْأَبْصَـارُ مَوْضِعَ أَيْنِيَّتِكَ. أَنْـتَ الَّـذِي لَا تُحَـدُّ فَتَكُونَ مَحْـدُوداً، وَ لَمْ تُمَثَّلْ فَتَكُـونَ مَوْجُوداً، وَ لَـمْ تَلِدْ فَتَكُـونَ مَوْلُوداً. أَنْتَ الَّذِي لَا ضِدَّ مَعَكَ فَيُعَانِدَكَ، وَ لَا عِدْلَ لَكَ فَيُكَاثِرَكَ، وَ لَا نِدَّ لَكَ فَيُعَارِضَكَ.أَنْتَ الَّذِي ابْتَدَأَ، وَ اخْتَرَعَ، وَ اسْتَحْدَثَ، وَ ابْتَدَعَ، وَ أَحْسَـنَ صُنْعَ مَا صَنَعَ. سُـبْحَانَكَ! مَا أَجَلَّ شَأْنَكَ، وَ أَسْنَى فِي الْأَمَاكِنِ مَكَانَكَ، وَ أَصْدَعَ بِالْحَقِّ فُرْقَانَكَ! سُـبْحَانَكَ! مِنْ لَطِيفٍ مَا أَلْطَفَـكَ، وَ رَءُوفٍ مَـا أَرْأَفَكَ، وَ حَكِيمٍ مَا أَعْرَفَكَ! سُـبْحَانَكَ! مِنْ مَلِيكٍ مَا أَمْنَعَكَ، وَ جَوَادٍ مَا أَوْسَعَكَ، وَ رَفِيعٍ مَا أَرْفَعَكَ! ذُو الْبَهَاءِ وَ الْمَجْدِ وَ الْكِبْرِيَاءِ وَ الْحَمْدِ. سُبْحَانَكَ! بَسَطْتَ بِالْخَيْرَاتِ يَدَكَ، وَ عُرِفَتِ الْهِدَايَةُ مِنْ عِنْدِكَ، فَمَنِ الْتَمَسَكَ لِدِينٍ أَوْ دُنْيَا وَجَدَكَ! سُبْحَانَكَ! خَضَعَ لَكَ مَنْ جَرَى فِي عِلْمِكَ، وَ خَشَـعَ لِعَظَمَتِكَ مَا دُونَ عَرْشِـكَ، وَ انْقَادَ لِلتَّسْـلِيمِ لَكَ كُلُّ خَلْقِكَ!سُبْحَانَكَ! لَا تُحَسُّ وَ لَا تُجَسُّ وَ لَا تُمَسُّ وَ لَا تُكَادُ وَ لَا تُمَـاطُ وَ لَا تُنَـازَعُ وَ لَا تُجَـارَى وَ لَا تُمَارَى وَ لَا تُخَـادَعُ وَ لَا تُمَاكَرُ! سُـبْحَانَكَ! سَـبِيلُكَ جَدَدٌ. وَ أَمْرُكَ رَشَـدٌ، وَ أَنْتَ حَيٌّ صَمَدٌ.سُـبْحَانَكَ! قَولُكَ حُكْمٌ، وَ قَضَاؤُكَ حَتْمٌ، وَ إِرَادَتُكَ عَزْمٌ!.سُبْحَانَكَ! لَا رَادَّ لِمَشِيَّتِكَ، وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِكَ!. سُـبْحَانَكَ! بَاهِرَ الْآيَاتِ، فَاطِرَ السَّـمَاوَاتِ، بَارِئَ النَّسَمَاتِ!»[1]

بالإضافـة إلى تمجيـد الله، فإن هذه العبارات الجميلـة تعبر أيضًا عن حمد اللـه عز وجل ومعرفة الخالق. وهذه العبـارات لها مضمون عميق وجميل يعـرّف الله عـلى عباده بأبهى حلة حتى يعرفوه معرفة صحيحة ويخدموه بالمعرفـة الصحيحـة والكاملـة؛ ولذلك فإن معنى الحيـاة الطيبة يتحقق في

١. المصدر نفسه، الدعاء ٤٧.

حياة المؤمن عندما يعرف الله كما هو، لا كما يعرف الله بالشكوك وافكاره الناقصة؛ وقد تم شرح هذا الأمر بشكل شامل وكامل في أدعية الصحيفة السجادية.

الثالث: حمد الله وشكره

ومن أهم أمثلة التوحيد والحياة الطيبة عبودية الله من خلال شكر نعم الله، النعم التي لا تحصى على حسب نص القرآن: «**وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّار**»[١].

«**وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحيم**» [٢].

يطلب القرآن الكريم من الإنسان أن يشكر الله على النعم التي أنعم بها عليه والتي لا تعد ولا تحصى، بالطبع ليس لأن الله يحتاج إلى عباده أن يشكره، كما يقول في القرآن الكريم: «**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَ لا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُور**»[٣].

«**فيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمين**»[٤]، بل إن هؤلاء العباد هم الذين يصلون إلى درجات أعلى من المعرفة والنعم بهذا الشكر، وفي هذا الصدد يقول القرآن: «**وَ إِذْ تَأَذَّنَ**

١. سورة ابراهيم - ٣٤
٢. سورة النحل - ١٨
٣. سورة الزمر - ٧
٤. سورة آل عمران - ٩٧

رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابي لَشَديد»[١].
«ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كانَ اللَّهُ شاكِراً عَليماً»[٢]، وعلى ضوء المواضيع المذكورة فقد ذكر الإمام السجاد(عليه السلام) باب الحمد والشكر في معظم ادعيته وهو عالم بظاهر القرآن و بطنه؛ وكثير من أدعية كتاب الصحيفة السجادية تبدأ بعبارة الحمد لله؛ وهذا يدل على أن شكر الله وحمده من أهم أمثلة عبودية الله تعالى.

اولاً يعتبر الإمام السجاد(عليه السلام) الحمد والشكر في ادعيته نعمة ورحمة من الله.

ثانيا يعبر عن عدم شكر الله وحمده بمثابة خروجا عن حدود الإنسانية ومساوياً للدواب؛ فيقول عن هذا: **«وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَى مَا أَبْلاهُمْ مِنْ مِنَنِهِ الْمُتَتابِعَةِ، وَ أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظاهِرَةِ، لَتَصَرَّفُوا فِي مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَ تَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ.وَ لَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهيمِيَّةِ فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: «إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلًا.»**[٣]

إن هذا الشكر لنعمة الله مهم جدًا لدرجة أن الإمام السجاد(عليه السلام) يطلب من الله صحة الجسم حتى تتحقق شكرا لنعمة الله بهذه: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اجْعَلْ سَلامَةَ قُلُوبِنَا فِي ذِكْرِ عَظَمَتِكَ، وَ فَرَاغَ أَبْدَانِنَا فِي شُكْرِ نِعْمَتِكَ، وَ انْطِلَاقَ أَلْسِنَتِنَا فِي وَصْفِ مِنَّتِكَ.»**[٤]

---

١. سورة ابراهيم/٧
٢. سورة النساء/١٤٧
٣. الصحيفة السجادية، الدعاء الأول.
٤. المصدر نفسه، الدعاء الخامس.

ويسأل الإمام السجاد(عليه السلام) الله، أن يجعله شاكراً لنعمه في جميع الأحوال، فيذكره الله بفعل الشكر حتى في حالة النسيان: «**وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ تَبْعَثُنِي لِلِقَائِكَ، وَ لَا تَفْضَحْنِي بَيْنَ يَدَيْ أَوْلِيَائِكَ، وَ لَا تُنْسِنِي ذِكْرَكَ، وَ لَا تُذْهِبْ عَنِّي شُكْرَكَ، بَلْ أَلْزِمْنِيهِ فِي أَحْوَالِ السَّهْوِ عِنْدَ غَفَلَاتِ الْجَاهِلِينَ لِآلَائِكَ، وَ أَوْزِعْنِي أَنْ أُثْنِيَ بِمَا أَوْلَيْتَنِيهِ، وَ أَعْتَرِفَ بِمَا أَسْدَيْتَهُ إِلَيَّ.**»[1] وسبب هذا التأكيد على الشكر هو أن تذكر النعم والشكر يزيد تواصل الإنسان مع ربه، ويقوى حبل عبوديته، ثانياً أن شكر نعم الله يسبب كثرة النعم، وهذا سنة الله الثابتة والدائمة.

ثالثًا الشكر هو استخدام النعم في مكانها؛ والشكر العملي يعني استغلال كل نعمة أنعمها الله على الإنسان بما يرضي الله، وليس أن يستخدم نعمة في طريق الإثم والحرام، ثم يشكر الله على نعمته؛ بل إن شكر النعم يعني أن يعلم الإنسان أن جميع النعم والمواهب هي من الله، وعليه أن يستخدم هذه النعم في المكان الذي يرضي الله ويستخدمها بحيث أنه باستعمال تلك النعم بشكل صحيح يزداد معرفته وطريق عبوديته، وهو من أهم أمثلة التوحيد في العبودية.

الرابع: غاية التوحيد هي عبودية الله

إن أهم ثمرات التوحيد ومعرفة الله الصحيحة في حياة المؤمن هي عبودية الله في جميع الأحوال. هناك فرق بين العبودية والعبادة؛ إن العبادة هي القيام بالأفعال والشعائر للوصول إلى القرب من الله، وهي العبودية. قد تكون هذه العبادة مؤقتة؛ فمثلاً يصلي الإنسان في أوقات معينة من اليوم

١. المصدر نفسه، الدعاء ٤٧.

أو يـؤدي العبـادات؛ لكـن العبوديـة تعني خدمـة اللـه في كل الأحوال؛ أي أن الإنسـان المؤمـن يصل إلى مسـتوى من المعرفة يكـون فيه كل تصرفاته وسـلوكياته موجهـة إلى الله، ويعمل لله ويتجنب للـه. يذكر القرآن الكريم أن الهـدف مـن خلق الجـن والإنس هو عبادة الله: «**وَ مـا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْـسَ إِلاَّ لِيَعْبُـدُون**»[1] ، و قولـه: «**إِلَّا لِيَعْبُـدُونِ**» اسـتثناء من النفي لا ريـب في ظهـوره في أن للخلقة غرضا و أن الغـرض العبادة بمعنى كونهم عابديـن للـه لا كونه معبودا فقـد قال: ليعبدون و لـم يقل:لأعبد أو لأكون معبودا لهم.على أن الغرض كيفما كان أمر يسـتكمل به صاحب الغرض و يرتفع به حاجته و الله سـبحانه لا نقص فيه و لا حاجة له حتى يسـتكمل بـه و يرتفـع به حاجته، و من جهة أخـرى الفعل الذي لا ينتهي إلى غرض لفاعله لغو سـفهي و يسـتنتج منه أن له سـبحانه في فعله غرضا هو ذاته لا غـرض خـارج منه، و أن لفعله غرضا يعـود إلى نفس الفعل و هو كمال للفعل لا لفاعله، فالعبادة غرض لخلقة الإنسان و كمال عائد إليه هي و ما يتبعهـا مـن الآثار كالرحمة و المغفـرة و غير ذلك، و لو كان للعبادة غرض كالمعرفـة الحاصلـة بها و الخلوص لله كان هـو الغرض الأقصى و العبادة غرضا متوسـطا.[2] من جهة اخري ما هو مفهـوم العبادة في القرآن؟ فهل هي الشـعائر الخاصة التي اصطلح الناس على تسـميتها بالعبادة كالصلاة و الصـوم و الحـج و الدعـاء و نحوهـا؟ أم هي مفهوم واسـع يتسـع لكل النشاطات التي يرضاها اللّه و يحبها، و يأتي بها العبد من موقع إحساسه بحضـور اللّـه الدائم في كل مفردات حياته الخاصة و العامة، بحيث يشـعر

١. سورة الذاريات/٥٦

٢. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص٣٨٦.

بالذوبـان في وجود اللّه و الحاجـة الدائمة إليه و الارتباط به؟

الظاهـر أن المـراد بالعبـادة المعنى الثانـي الذي يتضمن المعنـى الأول، لأن العبادة كشـعائر لا تسـتغرق وجود الإنسان كله، بل تحتل مساحة صغيرة منـه، بينما تطال العبـادة بالمعنى الثاني حركة الحياة العامة و الخاصة، و هـذا مـا جاء به الحديث المأثور الذي يؤكد أن العبادة تتجسـد في العفاف و في العمل طلبا لكسب عيش الإنسان و كل من يعوله، و في طلب العلم، و في التفكـير، و في قضـاء حوائج الناس، و في كل عمل يرفع مسـتواهم. و بذلك كانـت العبادة معنى في النفـس يتفاعل مع العقيدة التوحيدية، لتكون حالة تعمَّق في الوعي الشعور بعبودية اللّه في كل شيء، و حركة في الواقع العملي تؤكـد الالتـزام الانقيادي الخاضع لـه في كل أوامره و نواهيـه، و ما يحبه و يرضاه، بحيث يعيش الإنسـان الحياة كلها خاشـعا أمام اللّه في الفكر و الشـعور و العاطفة، محصّنا من الانفتاح على أية فئة أو أي شـخص يدّعي لنفسه امتيازا ذاتيا في علاقة الناس به، بعيدا عن اللّه.و هكذا، عند ما تحمل العبـادة كل نشـاط الإنسـان و حركتـه في كل مواقـع الأرض في الداخل و الخارج، يتحول الكون كله إلى عبد للّه سـبحانه.[1] ولهذا السبب فإن الإمام السـجاد(عليه السلام) يعبر في كثير من الأحيان عن ثمرة التوحيد كعبودية اللـه وفي طريق الوصول إلى القرب من الله.

يطلب الإمام السجاد(عليه السلام) من الله أن يطهر قلبه لنفسه فلا يعبده إلا ويعبـده. هذا المضمون يعني الوصول إلى أعلى مسـتوى من معرفة الله، وأن الإنسـان ينقـي جميع أفعاله وسـلوكه الظاهرة والباطنـة لله: «**اللَّهُمَّ**

١. فضل الله، من وحي القرآن، ج٢٥، ص٢٢٥-٢٢٦.

صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ فَرِّغْ قَلْبِي لِمَحَبَّتِكَ، وَ اشْغَلْهُ بِذِكْرِكَ، وَ انْعَشْهُ بِخَوْفِكَ وَ بِالْوَجَلِ مِنْكَ، وَ قَوِّهِ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَ أَمِلْهُ إِلَى طَاعَتِكَ، وَ أَجْرِ بِهِ فِي أَحَبِّ السُّبُلِ إِلَيْكَ، وَ ذَلِّلْهُ بِالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَكَ أَيَّامَ حَيَاتِي كُلِّهَا.»[1] في موضع آخر يسأل الله أن يوفقه للعبادة والعبودية ويقول في هذا الصدد: «**واعْمُرْ لَيْلِي بِإِيقَاظِي فِيهِ لِعِبَادَتِكَ، وَ تَفَرُّدِي بِالتَّهَجُّدِ لَكَ، وَ تَجَرُّدِي بِسُكُونِي إِلَيْكَ، وَ إِنْزَالِ حَوَائِجِي بِكَ، وَ مُنَازَلَتِي إِيَّاكَ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِي مِنْ نَارِكَ، وَ إِجَارَتِي مِمَّا فِيهِ أَهْلُهَا مِنْ عَذَابِكَ. وَ لَا تَذَرْنِي فِي طُغْيَانِي عَامِهاً، وَ لَا فِي غَمْرَتِي سَاهِياً حَتَّى حِينٍ، وَ لَا تَجْعَلْنِي عِظَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَ لَا نَكَالاً لِمَنِ اعْتَبَرَ، وَ لَا فِتْنَةً لِمَنْ نَظَرَ، وَ لَا تَمْكُرْ بِي فِيمَنْ تَمْكُرُ بِهِ، وَ لَا تَسْتَبْدِلْ بِي غَيْرِي، وَ لَا تُغَيِّرْ لِي اسْماً، وَ لَا تُبَدِّلْ لِي جِسْماً، وَ لَا تَتَّخِذْنِي هُزُواً لِخَلْقِكَ، وَ لَا سُخْرِيّاً لَكَ، وَ لَا تَبَعاً إِلَّا لِمَرْضَاتِكَ، وَ لَا مُمْتَهَناً إِلَّا بِالانْتِقَامِ لَكَ. وَ أَوْجِدْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ، وَ حَلَاوَةَ رَحْمَتِكَ وَ رَوْحَكَ وَ رَيْحَانَكَ، وَ جَنَّةِ نَعِيمِكَ، وَ أَذِقْنِي طَعْمَ الْفَرَاغِ لِمَا تُحِبُّ بِسَعَةٍ مِنْ سَعَتِكَ، وَ الِاجْتِهَادِ فِيمَا يُزْلِفُ لَدَيْكَ وَ عِنْدَكَ، وَ أَتْحِفْنِي بِتُحْفَةٍ مِنْ تُحَفَاتِكَ.**»[2] يذكر الإمام السجاد(عليه السلام) في موضع آخر أمثلة العبودية، مثل: الإيمان واليقين والنية والعمل الصالح؛ ويطلب أيضًا من الله أن يضع حياته في الطريق الذي خلق الله الإنسان من أجله، كما يقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ بَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الْإِيمَانِ، وَ اجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَ انْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ النِّيَّاتِ، وَ بِعَمَلِي إِلَى أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ.**

---

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢١.

٢. المصدر نفسه، الدعاء ٤٧.

اللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وَ صَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَ اسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الِاهْتِمَامُ بِهِ، وَ اسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ، وَ اسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَ أَغْنِنِي وَ أَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَ لَا تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَ أَعِزَّنِي وَ لَا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَ عَبِّدْنِي لَكَ وَ لَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَ أَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدِيَ الْخَيْرَ وَ لَا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَ هَبْ لِي مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَ اعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ.»[1] يطلب الإمام السجاد(عليه السلام) الله التوفيق للعبادة التي ترضاه، ومنها عبادة الخاشعين الذين بلغوا حقيقة العبودية: «**أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ كِتَابٍ قَدْ خَلَا، وَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كِتَابٍ قَدْ خَلَا، أَسْأَلُكَ خَوْفَ الْعَابِدِينَ لَكَ، وَ عِبَادَةَ الْخَاشِعِينَ لَكَ، وَ يَقِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، وَ تَوَكُّلَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ.**»[2] ويقول في مكان آخر: «**وَ خُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَا اسْتَعْمَلْتَ بِهِ الْقَانِتِينَ، وَ اسْتَعْبَدْتَ بِهِ الْمُتَعَبِّدِينَ، وَ اسْتَنْقَذْتَ بِهِ الْمُتَهَاوِنِينَ. وَ أَعِذْنِي مِمَّا يُبَاعِدُنِي عَنْكَ، وَ يَحُولُ بَيْنِي وَ بَيْنَ حَظِّي مِنْكَ، وَ يَصُدُّنِي عَمَّا أُحَاوِلُ لَدَيْكَ**».[3] كل هذه الحالات تعبر عن أمثلة العبودية التي هي ثمرة التوحيد، والتي تعطي لحياة الإنسان معنى الحياة الطيبة، وتضعه على طريق القرب من الله، ونتيجتها سعادة الدنيا والآخرة.

الخامس: ثمرات التوحيد وعبادة الله في الحياة الطيبة

إن التوحيد الذي هو البُعد الرئيسي والأساسي في حياة المؤمن، له تأثيرات

---

١. المصدر نفسه، الدعاء ٢٠.

٢. المصدر نفسه، الدعاء ٥٤.

٣. المصدر نفسه، الدعاء ٤٧.

عديـدة عـلى جوانب كثيرة مـن حياة الإنسـان، ويجعل حيـاة المؤمن مليئة بالروحانيـة والسـلام؛ وفيما يلي نذكر بعض أهم ثمـار التوحيد في الحياة، والتي تعتـبر مثالاً للحياة الطيبة:

١.رضا الله والرضا بالقضاء الإلهي

إن ثمـرة التوحيـد المهمـة وخدمـة الله هـي الوصول إلى النفـس المطمئنة؛ بمعنى أن حياة الإنسان موضوعة في طريق يرضاه الله عنه ويرضاه أيضًا بقضاء الله وقدره، وذلك لأنه أسـلم نفسـه لله، واكتفى بكل الخير والمشقة التي يراها في طريق خدمة الله؛ لأن طريقه في الطريق الذي يريده الله. يقول القـرآن الكريـم عن هـذا: «**يا أَيَّتُهَا النَّفْـسُ الْمُطْمَئِنَّـةُ * ارْجِعي إِلى رَبِّكِ راضِيَـةً مَرْضِيَّـة**»[١] ، النفس المطمئنـة التي عاشـت الطمأنينة الروحية، في انفتاحهـا الفكـري الإيماني على آفـاق اللَّه في صفات الكمـال و الجمال، فتخلقـت بأخلاقـه، و وثقت بـه، و اطمأنـت إليه و إلى قضائـه، و التزمت بطاعته، و أنابت إليه، فهي معه، لا مع الناس، و عند ما تكون معهم، فإنها تتحرك بالشـعور الإيماني في محبة اللَّه و رضاه، في ما يريده لها أن تكون علاقتها بهم قريبة إلى رضوانه، لأنّها ترضى برضى اللَّه و تسخط بسخطه، فتوالي من والى اللَّه و تعادي من عاداه.و إذا واجهتها المشـاكل و الضغوط و الآلام و الأحزان و التحديات، فإنها تتلقى ذلك كله بصبر جميل، و روح رضيّة، و أمل كبير باللَّه، و ثقة بما عنده، فلا تجزع، و لا تهلع، و لا تسقط و لا تهتز، لأن الاطمئنان الروحي الذي يغمر روحها و حياتها، يتحوّل إلى اطمئنـان عمليّ بالنتائج الإيجابية من خـلال الموقف القويّ الهادىء الواثق باللَّـه. هكذا يمنح الإيمان صاحبه روحية الطمأنينة للحاضر و للمسـتقبل،

١. سورة الفجر/٢٨-٢٧

لأنـه يثـق بالتدبير الإلهـي، و الرعاية الربوبية للنـاس و للحياة، فكل شيء عنـده بمقـدار، و هـو الرحمـن الرحيم العليـم الحكيم الخبـير، فلا يخاف الإنسـان مـن أيّ اهتزاز أو انحراف في النظام الكونـي المتقن، الذي يضمن للإنسـان مصلحته على الصعيد العام أو الخاص، فلا يريد اللَّه بعباده شرّا، بـل قـد يوقع بهم المصائب و البلايا، ليختبرهـم و ليمنحهم الفرصة لينالوا أعـلى الدرجات. إذا فكر الإنسـان بالحياة و بالمـوت، فإنه يفكر بأنهما بيد اللَّه، فهو الذي يحيي و يميت و إليه المرجع، الذي يجعل الإنسـان هناك في أمن و سـلام، إذا كان من المؤمنين الصالحين الذين عاشـوا في محبة اللَّه و ساروا في طريقه المستقيم. و ينطلق هذا النداء، ليوحي للإنسان بكل معاني التكريم و المحبة و القرب و العطف.[1] إن النفس المطمئنة هي التي تسكن إلى ربها و ترضى بما رضي به فترى نفسـها عبدا لا يملك لنفسـه شـيئا من خـير أو شر أو نفـع أو ضر و يـرى الدنيـا دار مجـاز و ما يسـتقبله فيها مـن غنـى أو فقر أو أي نفع و ضر ابتـلاء و امتحانا إلهيا فلا يدعوه تواتر النعـم عليـه إلى الطغيان و إكثار الفسـاد و العلو و الاسـتكبار، و لا يوقعه الفقر و الفقدان في الكفر و ترك الشـكر بل هو في مسـتقر من العبودية لا ينحـرف عن مسـتقيم صراطه بإفراط أو تفريـط. توصيفها بالراضية لأن اطمئنانهـا إلى ربهـا يسـتلزم رضاها بما قـدر و قضى تكوينـا أو حكم به تشريعا فلا تسخطها سانحة و لا تزيغها معصية، و إذا رضي العبد من ربه رضي الرب منه إذ لا يسـخطه تعالى إلا خروج العبد من زي العبودية فإذا لـزم طريـق العبودية اسـتوجب ذلك رضى ربه و لذا عقـب قوله «راضِيَةً»

١. فضل الله، من وحى القرآن، ج٢٤، ص: ٢٥٤.

بقولـه «مَرْضِيَّةً».[١] راضِيَةً مَرْضِيَّةً في هـذه، العلاقة الروحية بين العبد و ربّـه التـي تحركت في مواقع الـرضى، فهي راضية بما قـضى و قدّر، و بما حكم و شرّع، لأنها ترى أنها ملك اللَّه، و له أن يتصرف في ملكه بما يشـاء، و يحكم بما يريد، و هي مرضيّة عنده سـبحانه، بما آمنت به، و بما قامت بـه مـن فـروض الطاعة لديه، و العمـل على الحصول عـلى محبته، و بذلك عاشـت السـعادة و الطمأنينـة في حبهـا للَّه، و حـبّ اللَّه لهـا. و هذا هو ما تسـتهدفه التربية القرآنية الإسـلامية، في أن يعمل الإنسان على تربية نفسه عـلى الـرضى بقضاء اللَّه من موقع الوعي برحمتـه و علمه و حكمه، و على السعي للحصول على رضاه في موقع الالتزام بطاعته في أوامره و نواهيه.[٢] قد ورد في الصحيفة السـجادية كلا النوعين من رضا الله عن العبد ورضا العبد بقضاء الله. الإمام السـجاد(عليه السـلام) يسـأل اللـه أن يجعله من الراضيـين عن اللـه: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِـه، وَ اجْعَلْهُ أَيْمَنَ يَوْمٍ عَهِدْنَاهُ، وَ أَفْضَلَ صَاحِبٍ صَحِبْنَاهُ، وَ خَيْرَ وَقْتٍ ظَلِلْنَا فِيهِ وَ اجْعَلْنَا مِنْ أَرْضَى مَنْ مَرَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ مِنْ جُمْلَةِ خَلْقِكَ، أَشْكَرَهُمْ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمِكَ، وَ أَقْوَمَهُمْ بِمَا شَرَعْتَ مِنْ شَرَائِعِكَ، وَ أَوْقَفَهُمْ عَمَّا حَذَّرْتَ مِنْ نَهْيِكَ.**»[٣] وقوله «**وَ اجْعَلْنَا مِنْ أَرْضَى مَنْ مَرَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ مِنْ جُمْلَةِ خَلْقِكَ**» يعني أن الإمام يسـأل الله أن يجعله من أكثر الناس رضاً بقضاء الله وقدره ولا ينبغي أن يكون لديه أي شكوى من ربه، وهذه قمة التسليم والرضا لقضاء الله، وهي من علامات قرب الإنسان من اللـه. وفي موضـع آخر يطلب من الله حالة الرضا: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ**

١. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص٢٨٥.
٢. فضل الله، من وحى القرآن، ج٢٤، ص: ٢٥٥.
٣. الصحيفة السجادية، الدعاء السادس.

وَ آلِـهِ، وَ وَفِّقْنِـي لِقَبُـولِ مَا قَضَيْتَ لِي وَ عَـلَيَّ وَ رَضِّنِي بِمَا أَخَذْتَ لِي وَ مِنِّي، وَ اهْدِنِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَ اسْـتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَسْـلَمُ. اللَّهُمَّ وَ إِنْ كَانَـتِ الْخِـيَرَةُ لِي عِنْـدَكَ فِي تَأْخِيرِ الْأَخْذِ لِي وَ تَـرْكِ الِانْتِقَامِ مِمَّنْ ظَلَمَنِـي إِلَى يَـوْمِ الْفَصْـلِ وَ مَجْمَـعِ الْخَصْمِ فَصَلِّ عَـلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَيِّدْنِـي مِنْـكَ بِنِيَّـةٍ صَادِقَةٍ وَ صَبْرٍ دَائِـمٍ».[1] وفي جميع هذه العبارات يظهـر الرضا بقضاء الله وقدره ،كأمثلة على عبودية الله.

ويقـول في دعـاء آخـر: «**وَ أَسْـأَلُكَ فِي أَنْ تُسَـهِّلَ إِلَى رِزْقِي سَـبِيلًا، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ابْتِدَائِكَ بِالنِّعَمِ الْجِسَـامِ، وَ إِلْهَامِكَ الشُّـكْرَ عَلَى الْإِحْسَـانِ وَ الْإِنْعَامِ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ سَـهِّلْ عَلَيَّ رِزْقِي، وَ أَنْ تُقَنِّعَنِي بِتَقْدِيـرِكَ لِي، وَ أَنْ تُرْضِيَنِي بِحِصَّتِي فِيمَا قَسَـمْتَ لِي، وَ أَنْ تَجْعَلَ مَا ذَهَبَ مِنْ جِسْـمِي وَ عُمُرِي فِي سَـبِيلِ طَاعَتِكَ، إِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».**[2] عبـارة «**وَ أَنْ تُقَنِّعَنِـي بِتَقْدِيـرِكَ لِي، وَ أَنْ تُرْضِيَنِـي بِحِصَّتِـي فِيمَـا قَسَـمْتَ لِي**» تعني استسـلام العبـد ورضاه عن اللـه في كل الأحوال، وهذا مثال للشكر القلبي والعملي. الرضا بقضاء الله لا يعني أن الإنسان لا يبذل أي جهد ويقول فقط مهما حدث لي فأنا راضٍ عن رضا الله؛ وليس هذا معنى الرضا بالقضاء الإلهي، وهذا النوع من التفكير تفكير خاطئ. الرضا بقضاء الله يعني أن يبذل الإنسـان كل جهوده وفي هذا السـياق يحاول بالطريقة الصحيحـة ويقوم بجميع الإجـراءات الصحيحة، لكنه يترك النتيجة لله ولا يطمع في تحقيق ما لا يصلح له وإذا أصابته مصيبة أو مشـكلة لا يشـتكي بل يرضى بقضاء الله وقدره، ويصبر على طريق العبودية. لذلك فإن الرضا

١. المصدر نفسه، الدعاء الرابع عشر.
٢. المصدر نفسه، الدعاء ٣٢.

بقضـاء اللـه وقدره هو جهد المؤمن وتفويض نتائج الأمور إلى الله.

بالإضافـة إلى حالة الرضـا عن الله، فإن الأثر المهم ومبدأ التوحيد هو رضا اللـه عن الإنسـان؛ وهذا يعنـي أن المؤمن يصل إلى منزلة يـرضى الله عنها، وهذه هي قمة السـعادة وغاية الحياة الطيبة. الإمام السجاد(عليه السلام) يطلـب من الله أن يضعه على الطريـق الذي يرضي الله فيه: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رَغْبَتِـي فِي مَسْـأَلَتِي مِثْلَ رَغْبَـةِ أَوْلِيَائِكَ فِي مَسَـائِلِهِمْ، وَ رَهْبَتِي مِثْلَ رَهْبَـةِ أَوْلِيَائِـكَ، وَ اسْـتَعْمِلْنِي فِي مَرْضَاتِـكَ عَمَلًا لَا أَتْرُكُ مَعَهُ شَـيْئاً مِـنْ دِينِكَ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِـنْ خَلْقِكَ.**»[1] يقول في مكان آخر: «**وَ تَوَحَّدْنِي بِمَـا تَتَوَحَّـدُ بِهِ مَنْ وَفَى بِعَهْدِكَ، وَ أَتْعَبَ نَفْسَـهُ فِي ذَاتِكَ، وَ أَجْهَدَهَا فِي مَرْضَاتِـكَ.**»[2] يقـول أيضـا: «**وَ اجْعَـلْ تَقْوَاكَ مِـنَ الدُّنْيَـا زَادِي، وَ إِلَى رَحْمَتِـكَ رِحْلَتِـي، وَ فِي مَرْضَاتِـكَ مَدْخَـلِي، وَ اجْعَلْ فِي جَنَّتِـكَ مَثْوَايَ، وَ هَـبْ لِي قُـوَّةً أَحْتَمِـلُ بِهَا جَمِيعَ مَرْضَاتِكَ، وَ اجْعَـلْ فِرَارِي إِلَيْكَ، وَ رَغْبَتِـي فِيمَـا عِنْدَكَ، وَ أَلْبِسْ قَلْبِيَ الْوَحْشَـةَ مِنْ شِرَارِ خَلْقِكَ، وَ هَبْ لِيَ الْأُنْـسَ بِـكَ وَ بِأَوْلِيَائِـكَ وَ أَهْلِ طَاعَتِكَ.**»[3] يقـول في الدعاء الخامس عشر: «**فَمَا أَدْرِي، يَا إِلَهِي، أَيُّ الْحَالَيْنِ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ لَكَ، وَ أَيُّ الْوَقْتَيْنِ أَوْلَى بِالْحَمْدِ لَـكَ أَ وَقْـتُ الصِّحَّـةِ الَّتِـي هَنَّأْتَنِي فِيهَا طَيِّبَـاتِ رِزْقِكَ، وَ نَشَّـطْتَنِي بِهَـا لِابْتِغَـاءِ مَرْضَاتِكَ وَ فَضْلِـكَ، وَ قَوَّيْتَنِـي مَعَهَا عَلَى مَـا وَفَّقْتَنِـي لَهُ مِـنْ طَاعَتِكَ**».[4] وفي دعاء آخر يسـأل اللـه أن يوفقه لما يحبـه اللـه ويكـون راضيا بإكتمالـه: «**اللَّهُمَّ صَـلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِهِ، وَ**

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٥٤.
٢. المصدر نفسه، الدعاء ٤٧.
٣. المصدر نفسه، الدعاء ٢١.
٤. المصدر نفسه، الدعاء ١٥.

اجْعَلْنِي لَهُمْ قَرِيناً، وَ اجْعَلْنِي لَهُمْ نَصِيراً، وَ امْنُنْ عَلَيَّ بِشَوْقٍ إِلَيْكَ، وَ بِالْعَمَلِ لَكَ بِمَا تُحِبُّ وَ تَرْضَى، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَ ذَلِكَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ.»[١] يقول أيضا: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ ادْرَأْ عَنِّي بِلُطْفِكَ، وَ اغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ، وَ أَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ، وَ دَاوِنِي بِصُنْعِكَ، وَ أَظِلَّنِي فِي ذَرَاكَ، وَ جَلِّلْنِي رِضَاكَ، وَ وَفِّقْنِي إِذَا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الْأُمُورُ لِأَهْدَاهَا، وَ إِذَا تَشَابَهَتِ الْأَعْمَالُ لِأَزْكَاهَا، وَ إِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لِأَرْضَاهَا».**[٢] يسأل الإمام السجاد(عليه السلام) الله أن يهديه الطريق للوصول إلى رضا الله ويقول عن هذا: «**اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلِي، وَ حَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَ سَهِّلْ إِلَى بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي، وَ حَسِّنْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِي عَمَلِي**»[٣] هذه الأدعية والطلبات تشير انّ رضا الله هو أعلى درجات السعادة التي يمكن أن يحصل عليها المؤمن، والتي تصله بسعادة الدنيا والآخرة. ولهذا فإن أعظم سعادة وبركة يوم القيامة هو رضاء الله؛ القرآن يقول عن هذا: «**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فيها وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**»[٤] ، أي أن الرضا الّذي ينالونه من ربّهم سبحانه هو أكبر من ذلك كلّه لأن الرضوان هو الموجب لكل ثواب و نعيم، **و ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** أعني الجنان و الرضوان و النعيم الذي وصفه هو النجاح الكبير الذي ليس أكبر منه.[٥]

---

١. المصدر نفسه، الدعاء ٢١.

٢. المصدر نفسه، الدعاء ٢٠.

٣. نفس الدعاء.

٤. سورة التوبة/ ٧٢

٥. السبزواري، الجديد في تفسير القرآن المجيد، ج٣، ص٣٦٠.

إنّ اللذة المعنوية و الإحساس الروحي الذي يحس و يلتذ به الإنسان عند شعوره برضى اللّه سبحانه و تعالى عنه لا يمكن أن يصفه أي بشر، و على قول بعض المفسّرين فإنّ نسمة و لحظة من هذه اللذة الروحية تفوق نعم الجنّة كلها و مواهبها المختلفة و المتنوعة و اللامتناهية. من الطبيعي أنّنا لا نستطيع أن نجسم و نرسم صورة في أفكارنا عن أي نعمة من نعم الحياة الأخرى و نحن في قفص الحياة الدنيا و حياتها المحدودة، فكيف سنصل إلى إدراك هذه النعمة المعنوية و الروحية الكبرى؟! نعم، يمكن إيجاد تصور ضعيف عن الاختلافات المادية و المعنوية التي نعيشها في هذه الدنيا، فمثلا يمكن إدراك الاختلاف في اللذة بين اللقاء بصديق عزيز جدا بعد فراق طويل و لذّة الإحساس الروحي الخاص الذي يعتري الإنسان عند إدراكه أو حلّه لمسألة علمية معقدة صرف في تحصيلها و الوصول إلى دقائقها الشهور، بل السنين، أو الانشداد الروحي الذي يبعث على النشاط و الجد في لحظات خلوص العبادة، أو النشوة عند توجه القلب و حضوره في مناجاة تمتزج بهذا الحضور، و بين اللذة التي نحس بها من تناول طعام لذيذ و أمثالها من اللذائذ، و من الطبيعي أن هذه اللذائذ المادية لا يمكن مقارنتها باللذائذ المعنوية، و لا يمكن أن تصل إلى مصافها.من هنا يتّضح التصور الخاطئ لمن يقول بأن القرآن الكريم عند ما يتحدث عن الجزاء و العطاء الإلهي الذي سيناله المؤمنون الصالحون يؤكّد على النعم المادية، و لا يتطرق إلى النواحي المعنوية، لأن الجملة أعلاه- أي: رضوان من اللّه أكبر- ذكرت أن رضوان اللّه أكبر من كل النعم، خاصّة و أنّها وردت بصيغة النكرة، و هي تدل على أن قسما من رضوان اللّه أفضل من كل النعم المادية الموجودة في الجنّة، و هذا يبيّن القيمة السامية لهذا العطاء المعنوي.

إن الدليل على أفضلية الجزاء المعنوي واضح أيضا، لأنّ الروح في الواقع بمثابة (الجوهر) و الجسم بمكان (الصدف)، فالروح كالآمر و القائد، و الجسم كالجندي المطيع و المنفذ، فالتكامل الروحي هو الهدف، و الجسم وسيلة و لهذا السبب فإن إشعاعات الروح و آفاقها أوسع من الجسم و اللذائذ الروحية لا يمكن قياسها و مقارنتها باللذائذ المادية و الجسمية، كما أن الآلام الروحية أشدّ ألما من الآلام الجسمية.[١]

في آية أخرى يقول عن الرضا المتبادل بين الله وعباده: «**جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّه**»[٢] ، يكتب الطبرسي في مجمع البيان فيما يتعلق بالرضا الإلهي والتوحيد والرضا المتبادل بين الله وعباده هكذا:«رضي الله عنهم إذ وحدوه و نزهوه عما لا يليق به و أطاعوه و رضوا عنه إذ فعل بهم ما رجوا من رحمته و فضله».[٣] لأن ذلك هو وعد اللَّه لعباده المؤمنين العاملين بالصالحات، الذين عاشوا الجهد كله الذي واجهوه بالصبر القاسي الشديد في نتائجه السلبية على حياتهم و نوازعهم الذاتية، طلبا لما عند اللَّه، و هذا هو المظهر الحيّ لرضى اللَّه الذي يناله الذين يعيشون في حياتهم الخضوع المطلق له، و الانفتاح الروحي و العملي عليه، رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ بإيمانهم به و طاعتهم له، وَ رَضُوا عَنْهُ في ما أفاض عليهم من نعمة الوجود و في ما منحهم من نعمه الظاهرة و الباطنة في كل تفاصيل حياتهم.[٤]

---

١. المكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج٦، ص: ١٢٤-١٢٣.
٢. سورة البينة/٨
٣. الطبرسي، مجمع البيان، ج١٠، ص٧٩٥.
٤. فضل الله، من وحي القرآن، ج٢٤، ص٣٦٥.

لا شك أن الطريق إلى رضا الله وهذه السعادة التي لا توصف، هي التوحيد و عبوديـة الله كما يسـتحق، ومعرفة الله كمـا يرضاه، ولذلك فإن من أهم آثار التوحيد وخدمة الله هو تحقيق رضا الله.

٢.الوصول إلى قرب الله

مـن نتائـج التوحيد في الحياة هو التقرب إلى اللـه؛ والقرب من الله لا يعني القـرب المكاني بل القرب الروحي والقلبى، حيث يرفع المؤمن الحجب بينه وبين ربه ويتقرب إليه. القرب من الله يجعل الإنسـان يصل إلى مسـتويات عالية من الروحانية. يريد الإمام السجاد(عليه السلام) الوصول إلى القرب من الله. في الواقع فإن الإمام يعلم المؤمنين والراغبين في تحقيق هذه السعادة كيفية التقرب إلى الله. يدعو الإمام بهذه الطريقة: «**وَ إِنِّي وَ إِنْ لَمْ أُقَدِّمْ مَا قَدَّمُـوهُ مِـنَ الصَّالِحَاتِ فَقَدْ قَدَّمْتُ تَوْحِيدَكَ وَ نَفْيَ الْأَضْدَادِ وَ الْأَنْدَادِ وَ الْأَشْـبَاهِ عَنْـكَ، وَ أَتَيْتُكَ مِـنَ الْأَبْوَابِ الَّتِي أَمَـرْتَ أَنْ تُؤْتَى مِنْهَا، وَ تَقَرَّبْـتُ إِلَيْـكَ بِمَا لَا يَقْرُبُ أَحَدٌ مِنْـكَ إِلَّا بِالتَّقَرُّبِ بِه**».[١] في مكان آخر يسأل الإمام الله أن يقربه فيقول: «**وَ يَا مَنْ تَنْقَطِعُ دُونَ رُؤْيَتِهِ الْأَبْصَارُ صَـلِّ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِهِ، وَ أَدْنِنَـا إِلَى قُرْبِك**».[٢] فالقرب من الله يكسـب الإنسان الروحانية والمعرفة التي يبلغ من خلالها درجات العبودية العالية ويتجنب المعاصي وينال رضا الله.

٣.هادفة الحياة

ومـن أهـم آثـار التوحيـد وخدمة اللـه في الحياة هـو جعل الحيـاة هادفة. الإيمـان باللـه يعطـي معنى للحيـاة ويحررها مـن الفـراغ واللاهدف. في

١. الصحيفة السجادية: الدعاء ٤٧.
٢. المصدر نفسه، الدعاء الخامس.

العديد من الآيات يقدم القرآن حياة الإنسان والخلق على أساس الهدف والنهاية، ويحرر خلق الله من أي عبث وسخافة: «**وَ ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**» [١] ، «**وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ**»[٢]. «**أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ**» [٣].

يكتب الطبرسي في مفهوم غاية الحياة في تفسير هذه الآية: «المعنى أ فظننتم أنا خلقناكم لتفعلوا ما تريدون ثم إنكم لا تحشرون و لا تسألون عما كنتم تعملون هذا عبث فإن من خلق الأشياء لا لينتفع به نفسه أو غيره كان عابثا و الله سبحانه غني لا يلحقه منفعة فلا بد من أن يكون خلق الخلق لينفعهم و يعرضهم للثواب بأن يتعبدهم و إذا تعبدهم فلا بد من الفرق بين المطيع و العاصي و ذلك إنما يكون بعد البعث «**وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ**» أي و حسبتم أنكم لا ترجعون إلى حكمنا و الموضع الذي لا يملك الحكم فيه غيرنا».[٤] لهذا أن هذا الخلق لم يكن لهوا و عبثا، و أنهم إنما خلقوا عن علم، و حكمة و تقدير، لأن هذا الخلق ينطق عن حكمة بالغة، و قدرة قادرة على كل شيء، و علم محيط بكل شيء .. و من كانت تلك صفاته لا يكون منه لهو أو عبث .. ثم إن هذا النظام الدقيق المحكم، الممسك بكل ذرة من ذرات الوجود، أ يدخل عليه شيء من اللهو و العبث؟ إنّ اللاهي العابث، لا يتقيد بنظام، و لا يجرى أعماله على توافق و ترابط، و انسجام، بل يفعل ما تمليه عليه نزواته، و ما تصوره له أهواؤه! و إذن

١. سورة الحجر/ ٨٥
٢. سورة الانبياء/ ١٦
٣. سورة المؤمنون/ ١١٥
٤. الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص١٩٣.

فالنـاس لـم يخلقوا عبثا، و لم تجىء بهم الصّدفة، كما يقول بذلك الماديّون و الملحدون، و إنما هم غراس غارس حكيم، عليم، قادر، مدبر ..هذه قضية .. لا بد من التسـليم بها، و فى إنكارها مكابرة فى الحق، و مجادلة بالباطل .. و من مقتضى التسـليم بهذا أن يسـلّم أيضا ببعث الإنسـان بعد موته، أو بمعنـى آخـر، امتداد حياة الإنسـان، و انتقاله مـن دار إلى دار، و من عالم إلىعالـم، أشـبه فى هذا بانتقاله مـن الطفولة إلى الصبا، أو الشـباب، أو غير هـذا من مراحل العمر ..ذلك أن الإنسـان هو خليفة اللّه على هذه الأرض .. و هـو سـيد هذا الكوكب من غير جدال .. فهـو الكائن الذي ملك من القوى مـا اسـتطاع بهـا أن يغيّر وجـه الأرض، و أن يسـتخرج خبأها، و يسـخّر موجوداتهـا .. و إذا كان هـذا شـأن الإنسـان فـإن مما يجانـب الحكمة، و يدخل فى باب اللهو و العبث، أن تنطفئ جذوة هذا الكائن، بعد سنوات قليلة يقضيها على هذه الأرض .. ثم يصير رمادا، يختلط بتراب هذه الأرض، مع الـدواب، و الحـشرات و الهوام! إن فى هذا لجورا على الإنسـان، و ظلما له، إذ كان الحيوان -على هذا الحساب- خيرا منه، لأنه تنفّس أنفاس الحياة، و ليـس معه هذا العقل الذي لم يدع للإنسـان لحظـة يخلد فيها إلى الراحة و الاطمئنـان .. بـل إنه أبدا فى صراع داخـلى لا يهدأ أبدا، بين رجاء و يأس، و سعادة و شقاء، و طمأنينة و خوف .. فى يقظته و نومه .. على السّواء ..إن الإنصـاف للإنسـان يقضى بـألا تنتهى حياته بالموت، بـل لا بد أن تكون له رجعة أخـرى، إلى حياة أكمل، و أفضل ..[1]

فالقرآن يرى أن بطلان في الخلق هو نتيجة اعتقادات وأفكار الذين كفروا: **«وَ مـا خَلَقْنَـا السَّـماءَ وَ الْأَرْضَ وَ مـا بَيْنَهُما باطِلاً ذلِـكَ ظَنُّ الَّذينَ**

١. خطيب، التفسير القرآنى للقرآن، ج٩، ص: ١١٨٣.

كَفَـرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ»(ص/٢٧)

إن الإيمان بالله يجعل حياة الإنسان هادفة؛ وبهذه الطريقة لا يجد الإنسان خلقـه عبثـاً، بل يعلم أن الله عـز وجل الحكيم خلقه و وضـع لخلقه هدفاً وخطـة. وهـذه الغاية لا تتحقق في العالم فقط، بل إن العالم مرحلة توصل الإنسـان إلى تلـك الحيـاة الخالدة؛ وثمرة هذا التفكير هـو نفي أي عبثية في الحياة، ويجعل المؤمن لا يخيب في كل المواقف السـعيدة والصعبة ومشاكل الدنيـا ومصاعبهـا لا تجعلـه ينسى هدفه الأسـاسي وهو الوصـول إلى الله؛ ولهذا السـبب يعبر الإمام السـجاد(عليه السلام) عن هدف الحياة ومعناها كثمرة التوحيد وخدمة الله. فيقول: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بَديعَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، ذَا الْجَـلالِ وَ الْإِكْـرَامِ، رَبَّ الْأَرْبَابِ، وَ إِلَهَ كُلِّ مَأْلُوهٍ، وَ خَالِقَ كُلِ مَخْلُـوقٍ، وَ وَارِثَ كُلِّ شَيْءٍ، لَيْـسَ كَمِثْلِـهِ شَيْءٌ، وَ لَا يَعْـزُبُ عَنْهُ عِلْـمُ شَيْءٍ، وَ هُـوَ بِـكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ، وَ هُوَ عَـلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ.**»[١]

يصف الإمام السـجاد(عليه السـلام) الاسـتهداف والعزيمة في الخلق هكذا في خلـق اللـه: «**فَخَلَقَ لَهُـمُ اللَّيْلَ لِيَسْـكُنُوا فِيهِ مِنْ حَـرَكَاتِ التَّعَبِ وَ نَهَضَاتِ النَّصَبِ، وَ جَعَلَهُ لِبَاساً لِيَلْبَسُوا مِنْ رَاحَتِهِ وَ مَنَامِهِ، فَيَكُونَ ذَلِكَ لَهُمْ جَمَاماً وَ قُوَّةً، وَ لِيَنَالُوا بِهِ لَذَّةً وَ شَهْوَةً وَ خَلَقَ لَهُمُ النَّهارَ مُبْـصِراً لِيَبْتَغُـوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَ لِيَتَسَـبَّبُوا إِلَى رِزْقِهِ، وَ يَسْرَحُوا فِي أَرْضِهِ، طَلَباً لِمَا فِيهِ نَيْلُ الْعَاجِلِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَ دَرَكُ الْآجِلِ فِي أُخْرَاهُمْ بِكُلِّ ذَلِكَ يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ، وَ يَبْلُو أَخْبَارَهُمْ، وَ يَنْظُرُ كَيْفَ هُمْ فِي أَوْقَاتِ طَاعَتِهِ، وَ مَنَازِلِ فُرُوضِهِ، وَ مَوَاقِعِ أَحْكَامِهِ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِما**

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٧.

عَمِلُوا، وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى.»[١] وفي هذه الكلمة لا يخلو الخلق من هدف، بل يُعبَّر عنه للوصول إلى هدف محدد. يعبر الإمام(عليه السلام) عن غاية خلق الإنسان في خدمة الله بالاشارة الآية «**وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**» [٢]، في موضع آخر يعبر عن الهدف في الخلق وعدم الخلق عبثا: «**وَ أَعِذْنِي وَ ذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِنَّكَ خَلَقْتَنَا وَ أَمَرْتَنَا وَ نَهَيْتَنَا وَ رَغَّبْتَنَا فِي ثَوَابِ مَا أَمَرْتَنَا وَ رَهَّبْتَنَا عِقَابَهُ، وَ جَعَلْتَ لَنَا عَدُوّاً يَكِيدُنَا، سَلَّطْتَهُ مِنَّا عَلَى مَا لَمْ تُسَلِّطْنَا عَلَيْهِ مِنْهُ، أَسْكَنْتَهُ صُدُورَنَا، وَ أَجْرَيْتَهُ مَجَارِيَ دِمَائِنَا، لَا يَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنَا، وَ لَا يَنْسَى إِنْ نَسِينَا، يُؤْمِنُنَا عِقَابَكَ، وَ يُخَوِّفُنَا بِغَيْرِكَ.**»[٣] في موضع آخر يعبر بشكل جميل عن الهدف في خلق جميع البشر مؤمنين وكافرين: «**سُبْحَانَكَ! قَضَيْتَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ الْمَوْتَ: مَنْ وَحَّدَكَ وَ مَنْ كَفَرَ بِكَ، وَ كُلُّ ذَائِقُ الْمَوْتِ، وَ كُلٌّ صَائِرٌ إِلَيْكَ، فَتَبَارَكْتَ وَ تَعَالَيْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**».[٤] يعبر الإمام السجاد(عليه السلام) عن هدف الخلق في عبودية الله ويسأل الله أن يضعه على الطريق الذي خلق من أجله، وهذا هو المعنى الهادف للحياة؛ كما يقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الِاهْتِمَامُ بِهِ، وَ اسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ، وَ اسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَ أَغْنِنِي وَ أَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَ لَا تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَ أَعِزَّنِي وَ لَا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَ عَبِّدْنِي**

١. المصدر نفسه، الدعاء السادس.
٢. سورة النجم/ ٣١
٣. المصدر نفسه، الدعاء ٢٥.
٤. المصدر نفسه، الدعاء ٥٢.

لَكَ وَ لَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَ أَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدِيَ الْخَيْرَ وَ لَا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَ هَبْ لِي مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَ اعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ.»[1]

ولذلك بمعرفة الله والإيمان به يدرك الإنسان الغاية من خلقه ويبذل كل جهده ليتمكن من تحقيق هذه الغاية من خلقه وهذا التفكير والموقف يجعل حياة الإنسان في الدنيا تتغير ونمط حياته بحيث تكون كل شؤونه في طريق التقرب إلى الله وخدمته، وهذا من أهم الأمثلة على الحياة الطيبة في الحياة الدنيا.

٤.الوصول إلى الهدوء وثقة القلب

من أهم نتائج الإيمان بالله وخدمة الله تحقيق الطمأنينة والثقة في القلب، مما يجعل الإنسان مقاومًا لمشاكل الحياة ومصاعبها في الدنيا ويجعل الإنسان لا يخيب في أصعب ظروف الحياة، ويتغلب على الصعوبات والمصاعب بالثقة والاطمئنان بالله. إن سبب كثير من المشاكل العصبية والروحية والاكتئاب هي خيبة الأمل وعدم الثقة بالله؛ ولهذا السبب فإن الإيمان بالله عامل في الوصول إلى النفس الواثقة التي تصل بالإنسان إلى السكينة والطمأنينة. كما يقول القرآن الكريم عن هذا: «**الَّذينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب**»[2] ، انّ الاضطراب و القلق من اكبر المصاعب في حياة الناس، و النتائج الحاصلة منهما في حياة الفرد و المجتمع واضحة للعيان، والاطمئنان واحد من اهمّ اهتمامات البشر، و إذا حاولنا ان نجمع سعي و جهاد الانسانية على طول التاريخ في بحثهم للحصول على الاطمئنان بالطرق الصحيحة غير الصحيحة، فسوف تتكوّن لدينا كتب

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.
٢. سورة الرعد /٢٨

كثـيرة و مختلفـة تعـرض تلـك الجهود.يقول بعـض العلمـاء: عند ظهور بعـض الأمـراض المعدية- كالطاعـون- فإنّ من بين العـشرة الافراد الذين يموتون بسـبب المرض- ظاهرا- أكثرهم يموت بسـبب القلق و الخوف، و عدّة قليلة منهم تموت بسـبب المرض حقيقة. و بشـكل‌عام «الاطمئنان» و «الاضطراب» لهما دور مهمّ في سـلامة ومرض الفرد و المجتمع و سـعادة و شقاء الانسانية، و هذه مسألة لا يمكن التغافل عنها، و لهذا السبب الّفت كتـب كثـيرة في موضوع القلق و طرق التخلّص منه، و كيفيّة الحصول على الراحـة، و التاريـخ الانسـاني مليء بالمواقف مؤسـفة لتحصيـل الراحة، و كيف انّ الإنسان يتشبّث بكلّ وسيلة غير مشروعة كأنواع الاعتياد على المواد المخـدّرة لنيل الاطمئنـان النفسي. لكن القرآن الكريم يبيّن اقصر الطرق من خلال جملة قصيرة و لكنّها كبيرة المعنى حيث يقول: **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**! و لتوضيـح هذا المعنـى و معرفة عوامل القلـق و الاضطراب لا بـدّ مـن ملاحظة مـا يلي: اوّلا: يحـدث الاضطراب مرّة بسـبب ما يجول في فكر الإنسـان عن المسـتقبل المظلم، فيحتمل زوال النعمـة، او الأسر على يد الأعـداء، او الضعف و المرض، فكلّ هذه تؤلم الإنسـان، لكـن الايمان باللّه القادر المتعال الرحمن الرحيم، اللّه الذي تكفّل برحمة عباده .. هذا الايمان يسـتطيع ان يمحو آثـار القلق و الاضطراب و يمنحـه الاطمئنان في مقابل هـذه الاحـداث و يؤكّد له انّك لسـت وحيدا، بل لك ربّ قـادر رحيم. ثانيا: و مرّة يشـغل فكر الإنسـان ماضيه الأسود فيمسي قلقا بسبب الذنوب التي ارتكبها و بسبب التقصير و الزلّات، و لكن بالنظر الى انّ اللّه غفّار الذنوب و قابـل التوبـة و غفـور رحيم، فإنّ هـذه الصفات تمنح الإنسـان الثقة و تجعله اكثر اطمئنانا و تقول له: اعتذر الى اللّه من سوالف أعمالك السيّئة و

اتّجه اليه بالنيّة الصادقة.ثالثا: ضعف الإنسان في مقابل العوامل الطبيعيّة، او مقابل كثرة الأعداء يؤكّد في نفسه حالة القلق و انّه كيف يمكن مواجهة هـؤلاء القـوم في سـاحة الجهـاد او فيالميادين الاخـرى؟ و لكنّـه إذا تذكّر اللّـه، و اسـتند الى قدرتـه و رحمته .. هذه القـدرة المطلقة التي لا يمكن ان تقـف امامهـا ايّة قدرة اخرى، سـوف يطمئنّ قلبه، و يقول في نفسـه: نعم انّني لسـت وحيـدا، بل في ظلّ القـدرة الالهيّة المطلقـة! فالمواقف البطولية للمجاهدين في سـاحات القتال، في الماضي او الحاضر، و شـجاعتهم النادرة حتّـى في المنازلـة الفردية لهم، كلّها تبيّن حالة الاطمئنان التي تنشـأ في ظلّ الايمان.نحـن نشـاهد او نسـمع انّ احـد الضبّاط المؤمنـين فقد بصره مثلا او اصابتـه جراحـات كثيرة بعد قتال شـديد مع اعداء الإسـلام و لكن عند مـا يتحـدّث كأنّه لم يكـن به شيء، و هذه نتيجة الاسـتقرار و الطمأنينة في ظلّ الايمان باللّه. رابعا: و من جانب آخر يمكن ان يكون اصل المشقّة هي التي تؤذي الإنسـان، كالاحسـاس بتفاهة الحياة او اللاهدفية في الحياة، و لكن المؤمن باللّه الذي يعتقد انّ الهدف من الحياة هو السـير نحو التكامل المعنـوي و المـادّي، و يـرى انّ كلّ الحوادث تصبّ في هذا الإطار، سـوف لا يحسّ باللاهدفيّة و لا يضطرب في المسيرة.خامسـا: و من العوامل الاخرى انّ الإنسان مرّة يتحمّل كثيرا من المتاعب للوصول الى الهدف، و لكن لا يرى من يقيّم اعماله و يشـكر له هذا السـعي، و هذه العملية تؤلمه كثيرا فيعيش حالة من الاضطراب و القلق، و امّا إذا علم انّ هناك من يعلم بهذا السـعي و يشـكره عليه و يثيبه، فليس للاضطـراب و القلق هنا محل من الاعراب. سادسـا: سـوء الظنّ عامل آخر من عوامل الاضطراب و الذي يصبّ كثيرا مـن النـاس في حياتهـم و يبعث فيهم الألـم و الهمّ، و لكنّ الايمـان باللّه و

لطفـه المطلق و حسـن الظـنّ به التي هي من وظائف الفرد المؤمن سـوف تزيل عنه حالة العذابو القلق و تحلّ محلّها حالة الاطمئنان و الاسـتقرار. سـابعا: الهـوى و حـبّ الدنيا مـن اهمّ عوامـل القلق و الاضطـراب، و قد تصـل الحالـة في عدم الحصول على لون خاص في الملبـس، او اي شيء آخر مـن مظاهـر الحياة البرّاقـة ان يعيش الإنسـان حالة من القلق قد تسـتمر ايّامـا و شـهورا.و لكـن الايمان باللّـه و التزام المؤمن بالزهـد و الاقتصاد و عـدم الاستئسـار في مخالب الحياة الماديـة و مظاهرها البرّاقة ينهي حالة الاضطراب هذه، و كما قال الامام علي عليه السّـلام: «**دنياكم هذه أهون عنـدي من ورقة في فمّ جرادة تقضمها**» فمن كانت له مثل هذه الرؤية كيـف يمكـن ان تحدث عنده حالـة الخوف و القلق نتيجـة لعدم الحصول عـلى شيء من وسـائل الحياة الماديّة او فقدانهـا؟! ثامنا: من العوامل المهمّة الاخرى الخوف من الموت، و بما انّ الموت لا يحصل فقط في السنّ المتأخّرة، بل في كافّة السنين و خصوصا أثناء المرض و الحروب، و العوامل الاخرى فالقلـق يسـتوعب كافّة الافراد. و لكن إذا اعتقدنـا انّ الموت يعني الفناء و نهايـة كلّ شيء (كمـا يعتقده المادّيون) فإنّ الاضطراب و القلق في محلّه، و لا بدّ ان يخاف الإنسان من هذا الموت الذي ينهي عنده كلّ الآمال و الاماني و الطموحـات. و لكـن الايمان باللّه يمنحنا الثقـة بأنّ الموت هو باب لحياة أوسـع و أفضل من هذه الحياة، و برزخ يمرّ منه الإنسـان الى دار فضاؤها رحـب، فـلا معنى للقلق حينئذ، بل انّ مثل هذا الموت- إذا ما كان في سـبيل اللّـه يكون محبوبا و مطلوبا.[1]

يصبح الإيمان بالله وذكره مصدر الهدوء والسـكينة للشخص الذي يواجه

١. المكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج٧، ص: ٤٠٧-٤٠٩.

الشـدائد ولا يرى الإنسـان نفسـه وحيداً في مواجهة الصعوبات والمشاكل؛ ويهمـس الإمام السـجاد(عليه السـلام) إلى اللـه في هذا الأمـر: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِـي إِنْ حَزِنْـتُ، وَ أَنْـتَ مُنْتَجَعِـي إِنْ حُرِمْتُ، وَ بِكَ اسْـتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْـتُ، وَ عِنْـدَكَ مِمَّـا فَاتَ خَلَفٌ، وَ لِمَا فَسَـدَ صَـلَاحٌ، وَ فِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِـيرٌ، فَامْنُـنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلَاءِ بِالْعَافِيَةِ، وَ قَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدَةِ، وَ قَبْلَ الضَّـلَالِ بِالرَّشَـادِ، وَ اكْفِنِـي مَئُونَةَ مَعَرَّةِ الْعِبَـادِ، وَ هَبْ لِي أَمْنَ يَوْمِ الْمَعَادِ، وَ امْنَحْنِي حُسْنَ الْإِرْشَادِ.**»[1] يطلب الإمام السجاد(عليه السلام) مـن اللـه السـلام الداخلي، وهـذا لا يتحقق إلا بذكـر الله. فيقـول عن هذا: «**اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ حَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَ أَلْبِسْـنِي زِينَـةَ الْمُتَّقِـينَ، فِي بَسْـطِ الْعَدْلِ، وَ كَظْـمِ الْغَيْظِ، وَ إِطْفَـاءِ النَّائِرَةِ، وَ ضَـمِّ أَهْـلِ الْفُرْقَـةِ، وَ إِصْـلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَ إِفْشَـاءِ الْعَارِفَةِ، وَ سَـتْرِ الْعَائِبَةِ، وَ لِينِ الْعَرِيكَةِ، وَ خَفْضِ الْجَنَاحِ، وَ حُسْنِ السِّيرَةِ، وَ سُكُونِ الرِّيـحِ، وَ طِيـبِ الْمُخَالَقَـةِ، وَ السَّـبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وَ إِيثَـارِ التَّفَضُّلِ، وَ تَـرْكِ التَّعْيِـيرِ، وَ الْإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْـتَحِقِّ، وَ الْقَوْلِ بِالْحَقِّ وَ إِنْ عَزَّ، وَ اسْـتِقْلَالِ الْخَيْرِ وَ إِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَ فِعْلِي، وَ اسْـتِكْثَارِ الشَّرِّ وَ إِنْ قَـلَّ مِـنْ قَـوْلِي وَ فِعْلِي، وَ أَكْمِـلْ ذَلِكَ لِي بِـدَوَامِ الطَّاعَةِ، وَ لُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَ رَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَ مُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.**»[2] إن عبارة «**سُـكُونِ الرِّيـحِ**» هي هدوء القلـب واطمئنانه التي تتكـون في ضوء ذكر الله وعبوديته. يقدم الإمام السـجاد(عليه السلام) ذكر الله كمصدر لصحة القلـب، وهو مـن أمثلة صحة القلب تحقيق السـلام الداخـلي: «**اللَّهُمَّ صَلِّ**

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.
٢. المصدر نفسه.

عَـلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِه، وَ اجْعَلْ سَـلاَمَةَ قُلُوبِنَا فِي ذِكْـرِ عَظَمَتِكَ، وَ فَرَاغَ أَبْدَانِنَا فِي شُـكْرِ نِعْمَتِكَ، وَ انْطِلاَقَ أَلْسِـنَتِنَا فِي وَصْفِ مِنَّتِك»[1] ولذلك فإن ثمرة التوحيد المهمة في الحياة هي الوصول إلى السـلام؛ فيجد الإنسان الموحد الهدوء دائماً في الصعوبات والمشاكل مع إيمانه بالله ويبتعد عن أي قلق وخوف.

٥.تجنب الذنوب والتغلب على الشيطان

إن الإيمـان باللـه والاعتقاد به عامـل من عوامل هزيمة الشـيطان وتجنب الذنوب. فالمؤمن يرى الله دائمًا رقيبًا وشـاهدًا على أفعاله وسلوكه؛ ولذلك فهـو لا يـرى اللـه رقيبًا على أفعاله فحسـب، بل يرى اللـه أيضًا ناظرا على معتقدات قلبه، ويؤمن أنه لا يخفى على علم الله شيء. وهذا الاعتقاد عامل مهم في ترك الذنوب والابتعاد عن إغراءات الشـيطان. يقول القرآن الكريم للإنسـان في هـذا الصـدد: «**أَ لَمْ يَعْلَمْ بِـأَنَّ اللَّهَ يَـرى**» (العلق/ ١٤) ثمرة هذا الاعتقاد الابتعاد عن إغراءات الشـيطان، وهذا عامل من عوامل سـعادة المؤمـن وصحته في الدنيا والآخرة. يصف القرآن الكريم أهل التقوى الذين حققـوا إيماناً عالياً بالتوحيـد، وبعدهم عن غوايات الشـيطان: «**إِنَّ الَّذينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّـهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّـيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُون**»[2] (الاعراف/ ٢٠١) طريق المتقين فهم إذا مسـهم طائف من الشيطان تذكروا أن اللـه هو ربهم الـذي يملكهم و يربيهم يرجع إليـه أمرهم فارجعوا إليه الأمـر فكفاهم مئونته، و دفع عنهـم كيده، و رفع عنهم حجاب الغفلة فإذا هـم مبـصرون غير مضروب على أبصارهم بحجاب الغفلة.[3] و هذه حقيقة

١. المصدر نفسه، الدعاء ٤٦.

٢. سورة الاعراف/ ٢٠١

٣. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٨٢.

إنسانية إيمانية في حركة النفس في الموقف الداخلي و الخارجي، فإن التقوى لا تمنع الأفكار السلبية الانفعالية من الطواف حول المشاعر و المواقف لتفسدها و لتوجهها إلى الاتجاهات الخاطئة، لأن ذلك هو شأن الطبيعة الإنسانية التي تتأثر بكل الأوضاع المحيطة بها، في ما تتحرك به غرائزها في حركة ذاتية عفوية، و لكن دور التقوى هو أن يمنع استقرار تلك الأفكار في داخل النفس، أو تحويلها إلى موقف عمليّ منحرف، و لهذا فإنها تقف أمام كل تلك الأفكار و التهاويل و المشاعر الشيطانية التي تطوف بالإنسان، لتجد زاوية تختبئ فيها، من أجل إتمام عملية الإغواء و الإضلال، فتعمل على طردها بإعادة الوعي الإنساني إلى اللَّه، في ما يمثله ذلك من انفتاح على كل آفاق الخير و الصلاح، و ذلك عند ما يتذكر الإنسان ربّه، فتزول الغشاوة الشيطانية عن بصره و بصيرته، فيبصر درب الحق من جديد.[1]

كما يذكر الإمام السجاد(عليه السلام) ذكر الله في كثير من الأحيان كعامل في تجنب إغراءات الشيطان فيقول: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رُوعِي مِنَ التَّمَنِّي وَ التَّظَنِّي وَ الْحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَ تَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ، وَ تَدْبِيراً عَلَى عَدُوِّكَ، وَ مَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ أَوْ هُجْرٍ أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ أَوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ أَوِ اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ، وَ إِغْرَاقاً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ، وَ ذَهَاباً فِي تَمْجِيدِكَ، وَ شُكْراً لِنِعْمَتِكَ، وَ اعْتِرَافاً بِإِحْسَانِكَ، وَ إِحْصَاءً لِمِنَنِك**»[2] يقول في مكان آخر: «**وَ نَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ السَّرِيرَةِ، وَ احْتِقَارِ الصَّغِيرَةِ، وَ أَنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ، أَوْ يَنْكُبَنَا الزَّمَانُ،**

---

١. فضل الله، من وحى القرآن، ج١٠، ص: ٣١٤.

٢. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.

أَوْ يَتَهَضَّمَنَا السُّلْطَان».[1] ويقول في الدعاء السابع عشر من الصحيفة: **«اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَ كَيْدِهِ وَ مَكَايِدِهِ، وَ مِنَ الثِّقَةِ بِأَمَانِيِّهِ وَ مَوَاعِيدِهِ وَ غُرُورِهِ وَ مَصَايِدِهِ.وَ أَنْ يُطْمِعَ نَفْسَهُ فِي إِضْلَالِنَا عَنْ طَاعَتِكَ، وَ امْتِهَانِنَا بِمَعْصِيَتِكَ، أَوْ أَنْ يَحْسُنَ عِنْدَنَا مَا حَسَّنَ لَنَا، أَوْ أَنْ يَثْقُلَ عَلَيْنَا مَا كَرَّهَ إِلَيْنَا. اللَّهُمَّ اخْسَأْهُ عَنَّا بِعِبَادَتِكَ، وَ اكْبِتْهُ بِدُعوبِنَا فِي مَحَبَّتِكَ، وَ اجْعَلْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ سِتْراً لَا يَهْتِكُهُ، وَ رَدْماً مُصْمِتاً لَا يَفْتُقُهُ.»**[2] كل هذه الحالات تعبر عن أهمية التوحيد والإيمان بالله وعبودية الله، فكلما قوي هذا الإيمان وكثرت هذه العبودية كلما كان تأثير الشيطان أصعب وأصبح عاملاً لحصول الإنسان على حياة صحية وسعيدة بعيداً عن الخطيئة، وهذا من أهم أمثلة الحياة الطيبة لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة.

١. المصدر نفسه، الدعاء الثامن.

٢. المصدر نفسه، الدعاء ١٧.

جزء من دعاء يوم عرفة حول التوحيد ومعرفة الله تبارك و تعالي

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (٢) اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بَدِيعَ السَّماوَاتِ وَ الْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ، رَبَّ الْأَرْبَابِ، وَ إِلَهَ كُلِّ مَأْلُوهٍ، وَ خَالِقَ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَ وَارِثَ كُلِّ شَيْءٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ، وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ، وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ.(٣) أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الْمُتَوَحِّدُ الْفَرْدُ الْمُتَفَرِّدُ (٤) وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْكَرِيمُ الْمُتَكَرِّمُ، الْعَظِيمُ الْمُتَعَظِّمُ، الْكَبِيرُ الْمُتَكَبِّرُ (٥) وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْعَلِيُّ الْمُتَعَالِ، الشَّدِيدُ الْمِحَالِ (٦) وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.(٧) وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْقَدِيمُ الْخَبِيرُ (٨) وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْكَرِيمُ الْأَكْرَمُ، الدَّائِمُ الْأَدْوَمُ، (٩) وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، وَ الْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ عَدَدٍ (١٠) وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الدَّانِي فِي عُلُوِّهِ، وَ الْعَالِي فِي دُنُوِّهِ (١١) وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، ذُو الْبَهَاءِ وَ الْمَجْدِ، وَ الْكِبْرِيَاءِ وَ الْحَمْدِ (١٢) وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الَّذِي أَنْشَأْتَ الْأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ سِنْخٍ، وَ صَوَّرْتَ مَا صَوَّرْتَ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ، وَ ابْتَدَعْتَ الْمُبْتَدَعَاتِ بِلَا احْتِذَاءٍ.(١٣) أَنْتَ الَّذِي قَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيراً، وَ يَسَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَيْسِيراً، وَ دَبَّرْتَ مَا دُونَكَ تَدْبِيراً (١٤) أَنْتَ الَّذِي لَمْ يُعِنْكَ عَلَى خَلْقِكَ شَرِيكٌ، وَ لَمْ يُوَازِرْكَ فِي أَمْرِكَ وَزِيرٌ، وَ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُشَاهِدٌ وَ لَا نَظِيرٌ. (١٥) أَنْتَ الَّذِي أَرَدْتَ فَكَانَ حَتْماً مَا أَرَدْتَ، وَ قَضَيْتَ فَكَانَ عَدْلًا مَا قَضَيْتَ، وَ حَكَمْتَ فَكَانَ نِصْفاً مَا حَكَمْتَ. (١٦) أَنْتَ الَّذِي لَا يَحْوِيكَ مَكَانٌ، وَ لَمْ يَقُمْ لِسُلْطَانِكَ سُلْطَانٌ، وَ لَمْ يُعْيِكَ بُرْهَانٌ وَ لَا بَيَانٌ. (١٧) أَنْتَ الَّذِي أَحْصَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً، وَ جَعَلْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَمَداً، وَ قَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيراً. (١٨)

أَنْتَ الَّذِي قَصُرَتِ الْأَوْهَامُ عَنْ ذَاتِيَّتِكَ، وَ عَجَزَتِ الْأَفْهَامُ عَنْ كَيْفِيَّتِكَ، وَ لَمْ تُدْرِكِ الْأَبْصَارُ مَوْضِعَ أَيْنِيَّتِكَ. (١٩) أَنْتَ الَّذِي لَا تُحَدُّ فَتَكُونَ مَحْدُوداً، وَ لَمْ تُمَثَّلْ فَتَكُونَ مَوْجُوداً، وَ لَمْ تَلِدْ فَتَكُونَ مَوْلُوداً. (٢٠) أَنْتَ الَّذِي لَا ضِدَّ مَعَكَ فَيُعَانِدَكَ، وَ لَا عِدْلَ لَكَ فَيُكَاثِرَكَ، وَ لَا نِدَّ لَكَ فَيُعَارِضَكَ.(٢١) أَنْتَ الَّذِي ابْتَدَأَ، وَ اخْتَرَعَ، وَ اسْتَحْدَثَ، وَ ابْتَدَعَ، وَ أَحْسَنَ صُنْعَ مَا صَنَعَ. (٢٢) سُبْحَانَكَ! مَا أَجَلَّ شَأْنَكَ، وَ أَسْنَى فِي الْأَمَاكِنِ مَكَانَكَ، وَ أَصْدَعَ بِالْحَقِّ فُرْقَانَكَ! (٢٣) سُبْحَانَكَ! مِنْ لَطِيفٍ مَا أَلْطَفَكَ، وَ رَءُوفٍ مَا أَرْأَفَكَ، وَ حَكِيمٍ مَا أَعْرَفَكَ! (٢٤) سُبْحَانَكَ! مِنْ مَلِيكٍ مَا أَمْنَعَكَ، وَ جَوَادٍ مَا أَوْسَعَكَ، وَ رَفِيعٍ مَا أَرْفَعَكَ! ذُو الْبَهَاءِ وَ الْمَجْدِ وَ الْكِبْرِيَاءِ وَ الْحَمْدِ. (٢٥) سُبْحَانَكَ! بَسَطْتَ بِالْخَيْرَاتِ يَدَكَ، وَ عُرِفَتِ الْهِدَايَةُ مِنْ عِنْدِكَ، فَمَنِ الْتَمَسَكَ لِدِينٍ أَوْ دُنْيَا وَجَدَكَ! (٢٦) سُبْحَانَكَ! خَضَعَ لَكَ مَنْ جَرَى فِي عِلْمِكَ، وَ خَشَعَ لِعَظَمَتِكَ مَا دُونَ عَرْشِكَ، وَ انْقَادَ لِلتَّسْلِيمِ لَكَ كُلُّ خَلْقِكَ!(٢٧) سُبْحَانَكَ! لَا تُحَسُّ وَ لَا تُجَسُّ وَ لَا تُمَسُّ وَ لَا تُكَادُ وَ لَا تُمَاطُ وَ لَا تُنَازَعُ وَ لَا تُجَارَى وَ لَا تُمَارَى وَ لَا تُخَادَعُ وَ لَا تُمَاكَرُ! (٢٨) سُبْحَانَكَ! سَبِيلُكَ جَدَدٌ. وَ أَمْرُكَ رَشَدٌ، وَ أَنْتَ حَيٌّ صَمَدٌ.(٢٩) سُبْحَانَكَ! قَوْلُكَ حُكْمٌ، وَ قَضَاؤُكَ حَتْمٌ، وَ إِرَادَتُكَ عَزْمٌ!.(٣٠) سُبْحَانَكَ! لَا رَادَّ لِمَشِيَّتِكَ، وَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِكَ!. (٣١) سُبْحَانَكَ! بَاهِرَ الْآيَاتِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ، بَارِئَ النَّسَمَاتِ! (٣٢) لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يَدُومُ بِدَوَامِكَ (٣٣) وَ لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً خَالِداً بِنِعْمَتِكَ. (٣٤) وَ لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يُوَازِي صُنْعَكَ (٣٥) وَ لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يَزِيدُ عَلَى رِضَاكَ.(٣٦) وَ لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً مَعَ حَمْدِ كُلِّ حَامِدٍ، وَ شُكْراً يَقْصُرُ عَنْهُ شُكْرُ كُلِّ شَاكِرٍ (٣٧) حَمْداً لَا يَنْبَغِي إِلَّا لَكَ، وَ لَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَّا إِلَيْكَ (٣٨) حَمْداً يُسْتَدَامُ بِهِ الْأَوَّلُ، وَ يُسْتَدْعَى بِهِ دَوَامُ الْآخِرِ. (٣٩) حَمْداً يَتَضَاعَفُ عَلَى كُرُورِ الْأَزْمِنَةِ، وَ يَتَزَايَدُ أَضْعَافاً مُتَرَادِفَةً.

(٤٠) حَمْـداً يَعْجِزُ عَـنْ إِحْصَائِهِ الْحَفَظَةُ، وَ يَزِيدُ عَلَى مَـا أَحْصَتْهُ فِي كِتَابِكَ الْكَتَبَـةُ (٤١) حَمْـداً يُوازِنُ عَرْشَـكَ الْمَجِيدَ وَ يُعَادِلُ كُرْسِـيَّكَ الرَّفِيعَ. (٤٢) حَمْـداً يَكْمُلُ لَدَيْكَ ثَوَابُهُ، وَ يَسْـتَغْرِقُ كُلَّ جَـزَاءٍ جَزَاؤُهُ (٤٣) حَمْداً ظَاهِرُهُ وَفْقٌ لِبَاطِنِهِ، وَ بَاطِنُهُ وَفْقٌ لِصِدْقِ النِّيَّةِ (٤٤) حَمْداً لَمْ يَحْمَدْكَ خَلْقٌ مِثْلَهُ، وَ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ سِوَاكَ فَضْلَهُ (٤٥) حَمْداً يُعَانُ مَنِ اجْتَهَدَ فِي تَعْدِيدِهِ، وَ يُؤَيَّدُ مَنْ أَغْرَقَ نَزْعاً فِي تَوْفِيَتِهِ. (٤٦) حَمْداً يَجْمَعُ مَا خَلَقْتَ مِنَ الْحَمْدِ، وَ يَنْتَظِمُ مَـا أَنْـتَ خَالِقُهُ مِنْ بَعْدُ. (٤٧) حَمْـداً لَا حَمْدَ أَقْرَبُ إِلَى قَوْلِكَ مِنْهُ، وَ لَا أَحْمَدَ مِمَّـنْ يَحْمَدُكَ بِهِ. (٤٨) حَمْداً يُوجِبُ بِكَرَمِكَ الْمَزِيدَ بِوُفُورِهِ، وَ تَصِلُهُ بِمَزِيدٍ بَعْـدَ مَزِيـدٍ طَوْلاً مِنْكَ(٤٩) حَمْـداً يَجِبُ لِكَرَمِ وَجْهِـكَ، وَ يُقَابِلُ عِزَّ جَلَالِكَ. (٥٠) رَبِّ صَـلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، الْمُنْتَجَبِ الْمُصْطَفَـى الْمُكَرَّمِ الْمُقَرَّبِ، أَفْضَـلَ صَلَوَاتِـكَ، وَ بَارِكْ عَلَيْهِ أَتَمَّ بَرَكَاتِكَ، وَ تَرَحَّمْ عَلَيْهِ أَمْتَعَ رَحَمَاتِكَ.

الفصل الثالث

الاعتقاد بولاية الائمة المعصومين (عليهم السلام)

اولاً: الوضع السياسي والاجتماعي في زمن الإمام السجّاد حول الإمامة

إذا أردنا تسمية واحدة من أصعب الأوقات في عصر الأئمة (عليهم السلام) فيمكننا الإشارة إلى زمن الإمام السجّاد (عليه السلام) والذي بدأت إمامته بعد واقعة عاشوراء. والواقع أن بداية إمامته بدأت باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه وأسر آل بيت النبي. إن الأسر من الكوفة والشام وخطب الإمام السجاد في هذا السياق شاهد مهم في رسالته العظيمة والمهمة. ارتبطت إمامة الإمام السجّاد بعهد الحكام الأمويين والمرواني والزبيري الغاصبيين والقمعيّين. الأمويون الذين كثر العداء لأهل البيت كما اتبع المروانيون نفس طريق الأمويين في عداوتهم لآل النبي.[١] كان الخليفة الزبيري لديه عداوة شديدة لآل الرسالة[٢] وبهذه الطريقة هدد في بداية خلافته بحرق بعض بني هاشم الذين رفضوا مبايعته.[٣] في ظل هذه الظروف السياسية والاجتماعية الصعبة كان الإمام السجّاد (عليه السلام) مسؤولاً عن إمامة المجتمع وحاول شرح التعاليم الإسلامية بالشكل المناسب والضروري. يمكن بيان أهم الأضرار والانحرافات في زمن الإمام السّجاد (عليه السلام) في الحالات التالية:

الجور و الاستبداد، الارهاب و التجويع، اقضاء علي الحريات العامه، احياء النزعة القبلية و الاعراف الجاهلية، اقصاء دين الله و شريعته، سياسة

١- المسعودي، اثبات الوصية، ص١٧١.
٢- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٨.
٣- المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٨٩.

التجهيل، قسوة بني امية و طغيانهم و انحرافهم عن الاسلام، انتشار التمايز الطبقي و الافراط فيه، انتشار العبيد و الاماء في المجتمع، شيوع الرقص و الغناء و المجول و الانحلال الخلقي.[١] إلا أن الانحراف عن الإمامة والاعتراف بالإمام كان من أهم الأذى والانحراف في هذا العصر الذي وصل إلى درجة حتي استشهدوا الإمام الحق و سبط النبي بأسوأ الطرق في صحراء كربلاء في أصعب الظروف. كان هذا الوضع الخانق لدرجة أن عدد المؤمنين الحقيقيين بالإمامة حسب بعض الباحثين لم يصل إلى أكثر من خمسة أشخاص.[٢] وعليه في ذلك العصر المليء بالفتن والظلام والجهل الذي أوجده الحكام المغتصبون والظالمون شرح الإمام سجاد في أدعيته وزياراته وخطبه استنادا بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية حقيقة الإمامة للناس بشكل مباشر وغير مباشر؛ وفيما يلي نشير إلي أهم المحاور لشرح مكانة الإمامة في تعاليم الإمام السّجاد.

ثانياً: دور الامام السجاد(عليه السلام) لتبيين مكانة اهل البيت(عليهم السلام)

دور الامام السجاد(عليه السلام) لتبيين مكانة اهل البيت في عدة محاور كما يلي:

١.عصمة أهل البيت (عليهم السلام)

الإمام السجّاد يؤكد على عصمة أهل البيت في مختلف المواقف وهذا التأكيد يشير إلى أن الإمام أراد أن يجعل الناس يفهمون أن آل بيت النبي خالٍ من الأخطاء والمعاصي وأن عصمتهم دليل على المؤيدات الإلهية، لهذا السبب هم

١- انظروا: الطيار، رزاق عبد الأمير مهدي، فلسفة الاحياء عند الامام علي بن الحسين (عليه السلام): ص١٣-٢١.

٢- قرشي، تحليل لحياة الإمام السجّاد (عليه السلام)، ج٢، ص١٥٩-٧٥.

وحدهـم الذين تكون أقوالهـم وأفعالهم صحيحة وحقيقية وهم الوحيدون الذين يستطيعون أن يرشدوا الناس إلى الصراط المستقيم والطريق الإلهي. يفسر هذا الأمر بشـكل غير مباشر أن من يسـتطيع أن يتولى قيادة وخلافة الأمـة الإسـلامية هم أبريـاء وخالون من الأخطاء والمعـاصي. هذا ما يقوله الإمام السجّاد في التأكيد على هذا الأمر المهم وإثباته: «**رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَايِبِ أَهْـلِ بَيْتِـهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ، وَ جَعَلْتَهُـمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَ حَفَظَةَ دِينِـكَ، وَ خُلَفَـاءَكَ فِي أَرْضِـكَ، وَ حُجَجَكَ عَلَى عِبَـادِكَ، وَ طَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ وَ الدَّنَسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ، وَ جَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَ الْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِـكَ.**»[١]

في موضع آخر و في وصف طهارة أهل البيت وعصمتهم قال: «**عَلَى خِيَرَتِكَ اللَّهُـمَّ مِنْ خَلْقِـكَ: مُحَمَّدٍ وَ عِتْرَتِهِ الصَّفْوَةِ مِـنْ بَرِيَّتِكَ الطَّاهِرِينَ، وَ اجْعَلْنَا لَهُمْ سَـامِعِينَ وَ مُطِيعِينَ كَمَا أَمَرْتَ.**»[٢]

**التحليل والدراسة

من أهم الاقتباسـات القرآنية للإمام السـجّاد (عليه السلام) عن عصمة أهل البيت (عليهم السلام) آية التطهير: «**إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**»[٣] ، آيَةُ التَّطْهِيرِ هِيَ مُنْحَصِرٌ فِي شَرَفِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَـلَّم وَ الْإِمامِ عَلِي (عَلَيْهِ السَّـلامُ) وَ حَضْرَةِ فاطِمَةَ سَلامُ اللَّهِ عَلَيْها وَ الْإِمامِ الْحَسَنِ وَ الْإِمامِ الْحُسَيْنِ عَلَيهِما السَّلامُ وَ لا تَشمُلُ الْآخِرِينَ بِأَيِّ شَـكلٍ مِنَ الْأَشكالِ وَ مِنْ ناحِيَةٍ أُخرَى تَثبُتُ عِصْمَتُهُمُ الْمُطَلَّقَةَ لِأَسْـبابٍ مِثْل: أَوَّلاً: وَ قَدْ وَرَدَت فِي هَذَا الصَّدَدِ رِواياتٌ كَثِيرَةٌ تُقَدِّمُ مِصْداقَ

١ - الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٧.

٢- المصدر نفسه، الدعاء ٣٤.

٣- سورة الأحزاب /٣٣

أَهْـلِ الْبَيْـتِ عَلَى أَنَّهُمْ خَمْسَـةُ أَهْلِ الْعَبـا وَ يَكْتُبُ الشَّـوْكانِيّ فِي هَذَا الصَّدَدِ: اَلرواياتُ الصَّحِيحَةُ وَ الْمُعْتَبِرَةُ لَكَثِيرٍ مِنَ الرُّوَاةِ مِنْها رِواياتُ التِّرْمِذِيِّ وَ ابْنُ جَرِيـرٍ وَ ابْـنُ مُنْذِرٍ وَ حاكِمُ النّيْشـابُورِيُّ وَ ابْنُ مَردوَيـةَ وَ الْبيهَقِيِّ وَ ابْنُ أَبِـي حاتَمٍ وَ نَحْوهمْ وَ الْعَديـدُ مِنَ العُلَماءِ الْآخِرِينَ الَّذِينَ نَقَلُوا آيَةَ التَّطْهِيرِ وَ هِـيَ تَضُمُّ خَمسَـةَ أَهْلِ الْعَبا وَ تَسْـتَثْنِي زَوْجاتُ النَّبِيِّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَـلَّم مِنْ نِطاقِ الْآيَةِ.[1] يَنقُلُ صاحِبُ مُسـتَدرَك عَلَي الصَحيحين نَفسَ شَأنِ النُزولِ مِن أُمِّ سَلَمَه: «عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضيَ اللهُ عَنْها، أَنَّها قالَتْ: فِي بَيْتِي نُزِلَتْ هَـذِهِ الْآيَةُ **{إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ}** [الأحزاب: ٣٣] قَالَتْ: فَأَرْسَـلَ رَسـولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَـلَّمَ إِلَى عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَ الْحَسَـنِ وَ الْحُسَيْنِ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَجْمَعِينَ فَقالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي» قالَتْ أُمُّ سَـلَمَة: يا رَسـولَ الله، ما أَنا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ؟ قالَ: «إِنَّكِ أَهْلِي خَيْرٌ وَ هَـؤُلَاءِ أَهْـلُ بَيْتِي اللَّهُمَّ أَهْلِي أَحَقُّ» هَذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخارِيِّ وَ لَمْ يُخْرِجاهُ»[2] قَدْ نَقَلَ المَوْضُوعَ نَفْسَـهُ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْمَصادِرِ السُّـنِيَّةِ وَ قَدْ وَرَدَت رِواياتٌ أُخْرَى فِي مَصادِرَ سُـنِيَةٍ تُؤَكِّدُ شَـأْنَ النُّزولِ، يَكتُبُ التِّرْمذيّ فِي تَفْسـيرِ هَـذِهِ الرِّوايَـةِ هَذا حَدِيثٌ حَسَـنٌ وَ هُوَ أَحْسَـنُ شَيْءٍ رُوِيَ فِي هَذا الباب.»[3] الْعَلامَةُ الطَباطَبايي يكتُبُ عَنِ الرِّواياتِ الْمُنْحَصِرَةِ لِ"أَهْلِ الْبَيْتِ" فِي خَمْسَـةِ أَهْـلِ الْعَبـا: وَ بِهَـذا الَّذِي تقـدَّم يَتَأَيَّدُ ما وَرَدَ فِي أَسْـبابِ النُّزولِ أَنَّ الْآيَـةَ نُزِلَـتْ فِي النَّبِـيِّ صَلّى اللهُ عليـهِ و آلِه وَ عَلِيٍ وَ فاطِمَةَ وَ الْحَسَـنَيْنِ عَلَيْهِما السَّـلامُ خاصَّةً لا يُشـارِكُهُمْ فِيها غَيْرُهُمْ. وَ هِيَ رِواياتٌ جَمَّةٌ تَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ حديثاً يَربُو ما وَرَدَ مِنْها مِنْ طُرُقِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى ما وَرَدَ مِنْها

١- الشوكاني، فتح القدير : ج٤، ص٢٧٠.

٢- الحاكم النيشابوري، مستدرك علي الصحيحين: ج٢، ص ٤١٦.

٣- الترمذي، سنن الترمذي: ج٥، ص ٦٩٩.

مِنْ طُرُقِ الشّيعَةِ فَقَد رَواها أهلُ السُّنَّة بِطُرُقٍ كَثيرَةٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ و عائشَة وَ أَبـي سَـعيد الْخِدْرِيِّ وَ سَـعْدٍ وَ واثِلَةَ بْنِ الْأَسْـقَعِ وَ أَبـي الْحَمْراءِ وَ ابنِ عَبّـاس وَ ثَوْبـان مَـوْلَى النَّبي وَ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرٍ وَ عَلي وَ الْحَسَـنِ بْنِ عَلي عَليهِ السَّـلامُ في قَريبٍ مِنْ أَرْبَعينَ طَريقاً.[1] اَلرِواياتُ المَرويةُ عَن أُمِّ سَـلمَى في المَصادِرِ السُـنيةِ الَّتي قالَها الرَّسـولُ الكَريمُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم: «إنَّكَ عَـلَى الخَيرِ»[2] إنَّـهُ قَدْ رَفَضَ نَظريَةَ صِدْقِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَنْ زَوْجاتِ الرَّسُـولِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَـلَّمَ. ثانيَاً: إنَّ أَلْفَ وَ لامَ في أَهْـلِ الْبَيْتِ مِنْ نَوْعِ الْعَهْدِيَّةِ يُشِـيرُ إلَى أُنـاسٍ مُعينِينَ مِنْ اَهْـلِ الْبَيْتِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَـلَّم. ثالثًا: الآيـاتُ مِنَ التَّاسِـعَةِ وَ الْعِشْرِينَ إلَى الرَّابِعَةِ وَ الثَلاثِينَ مِنْ سُـورَةِ الأَحزابِ (ماعَدا آيَةَ التَّطْهيرِ) عَنْ زَوْجاتِ الرَّسُـولِ الْكَريمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَـلَّم، وَ في كُلِّ هَـذهِ الآيـاتِ الضَّمائِرُ المُتَعَلِّقَةُ بِزَوْجاتِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَـلَّم بِشَكلٍ أُنْثَويَّةٍ (كُنْتُنَّ فَتَعالَيْنَ اِتَّقينَ قَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ). لَكِن عِنْدَما يَصِلُ الْأَمْرُ بِآيَـةِ التَّطْهـيرِ تَتَغَيَّرُ نَبرَةُ الآيَةِ بِحَيْثُ يَتَغَـيُر الْمُخاطَبُ أَيْضاً فَتُصْبِحُ ضَمائِرُ الْمُؤَنَّـثِ ذُكُوريَّـة. هَـذا التَّغْييرُ في العُنـوانِ وَ تَغْييرُ اللَّهْجَةِ لَيْـسَ إلَّا حَقيقَةً أَنَّ هَـذهِ الآيَـةَ الْكَريمَـةَ نُزِلَـتْ عَنْ جَماعَةٍ غَـيْرِ زَوْجاتِ الرَّسُـولِ لِأَنَّ ذِكرَ ضَمائِـرِ الْمُذَكَّـرِ لا يَجُوزُ لِلْأُناثِ.[3] لِذلِـكَ فإنّ المِصداقَ الحَقيقـيَّ وَ الفَريدَ لِأَهلِ البَيتِ هُم خَمسَـةُ أَهلِ العَـبـا عَلَيهِمُ السَّـلامُ. رابعاً: لِهَذهِ الآيَةِ دَلالَةٌ مُطَلَّقَـةٌ عَـلَى عِصمَةِ أَهْـلِ الْبَيْتِ (عَلَيهِمُ السَّـلامُ). اَشرَحُ أَنَّ لِكَلِمَةِ رِجْسٍ في الْقُرْآنِ مَعانٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنها الْخَمْرُ وَ الْمُقامَرَةُ وَ الصَّنَمُ (المائدة: ٩٠) و ضَلالَةٌ

١- الطباطبايي، الميزان في تفسير القرآن: ج١٦، ص ٣١١.

٢- الترمذي، سـنن الترمذي: ج٥، ٦٩٩؛ الحاكم النيشـابوري، مستدرك علي الصحيحين: ج٢، ص٤١٦.

٣- الابطحي، آية التطهير في احاديث الفريقين: ج٢، ص١٠.

(الأنعام: ١٢٥) وَ الذَبيحَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحمُ الخِنزيرِ(الأنعام: ١٤٥) وَ العَذابُ (الأعـراف: ٧١) وَ أهـلُ النِفاقِ (التوبة: ٩٥) وَ الأوثـانُ وَ الأَصنامُ (الحج: ٣٠) وَ الكُفرُ وَ النِفاقُ (التوبة: ١٢٥) وَ الشَّكُ وَ الظَّنُ (يونس: ١٠٠). أَلفُ وَ لامُ لِكَلِمَةِ (الرجس) فِي آيَةِ التَّطهيرِ هِيَ اَلفُ وَ لامُ الجِنسيةِ، وَ هيَ تَشمُلُ جَميعَ ما سَـبَقَ وَ غَيرَها مِنَ الحالاتِ مِن أَيِّ نَوعٍ مِنَ القَذارَةِ، سَـواءً أَ كانَت النِّجاسَـةُ الظّاهِريـةُ أَو الباطِنيَةُ أَوِ الطَّبيعَةُ البَشَريـةُ أَوِ العَقلُ إِمّا الشَّريعَةُ أَو كُلٌّ هَذِهِ.[١]

كَلِمَةُ "إِنَّما" تَدُلُّ عَلَى حَصْرِ الْإِرادَةِ فِي إِذْهابِ الرِّجْسِ وَ التَّطْهِيرِ و كَلِمَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ سَـواءً كانَ لِمُجَـرَّدِ الاخْتِصاصِ أَوْ مَدْحاً أَوْ نِـداءً يَدُلُّ عَلَى اخْتِصاصِ إِذْهابِ الرِّجْسِ وَ التَّطْهِيرِ بِالْمُخاطَبِينَ بِقَوْلِهِ: "عَنْكُمْ" فَفِي الْآيَةِ فِي الْحَقِيقَةِ قَـصْرانِ قَـصرُ الْإِرادَةِ فِي إِذْهابِ الرِّجْـسِ وَ التَّطْهِيرِ وَ قَصْرُ إِذْهابِ الرِّجْسِ وَ التَّطْهِـيرِ فِي أَهْـلِ الْبَيْتِ.[٢] لِذَلِـكَ فَإِنَّ مَعْنى آيَةِ التَّطْهِيرِ عَلَى خَمْسَـةِ أَهْلِ العَبا و عِصْمَتِهِمْ كامِلَةٌ ، لِأَنَّ شَرْطَ خِلافَةِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ وَ الْوِلايَةِ مِنَ اللهِ عِصْمَةً تَامَّةً.

٢. ضرورة ولاية الإمام في المجتمع

من الأمور التي يشير إليها الإمام السجاد(عليه السلام) ويتناولها في أدعيته ضرورة وجود الإمام في المجتمع. وغني عن القول أن معنى الإمام في كلام الإمام السـجّاد (عليه السـلام)، هو الإمام على الحق و ولي و وصي من الله على الناس وأفعاله مثل أقوال وأفعال الله والنبي. شرح الإمام السجّاد (عليه السـلام) مكانة الولي والإمام في مجتمع ذلك اليوم وكذلك للناس من بعده.

١- الذولفقاري، تاريخ تفسير القرآن الكريم: ٥٨.

٢- الطباطبايي، الميزان في تفسير القرآن: ج١٦، ص٣٠٩.

يقـول الإمـام في شرحه لضرورة وجود الإمام: «**اللَّهُمَّ وَ اجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَ الْإِيمَانِ بِكَ، وَ التَّصْدِيقِ بِرَسُولِكَ، وَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ حَتَمْتَ طَاعَتَهُمْ مِمَّنْ يَجْرِي ذَلِكَ بِهِ وَ عَلَى يَدَيْهِ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.**»[1] في مكان آخر يقول في هذا الصدد:« **اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ، وَ مَنَاراً فِي بِلَادِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَ جَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَ افْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَ حَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَ أَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَ الِانْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَ أَلَّا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَ لَا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ فَهُوَ عِصْمَةُ اللَّائِذِينَ، وَ كَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ وَ عُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَ بَهَاءُ الْعَالَمِينَ.**»[2]

بالإضافة إلى ذلك تحدث الإمام السجّاد (عليه السلام) في أدعيته عن مشتقات كلمة الولي التي لها علاقة كبيرة بإمامة أهل البيت، أن هذه التفسيرات تشير إلى شرح موقـف أهـل البيـت بأنهم أوليـاء الله. يقول في طاعـة أولياء الله: «**وَاجْعَلْهُمْ أَبْرَاراً أَتْقِيَاءَ بُصَرَاءَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ لَكَ، وَ لِأَوْلِيَائِكَ مُحِبِّينَ مُنَاصِحِينَ، وَ لِجَمِيعِ أَعْدَائِكَ مُعَانِدِينَ وَ مُبْغِضِينَ، آمِينَ.**»[3] في دعاء دخول شـهر رمضان يقول عن أولياء الله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الشَّهْرِ، وَ بِحَقِّ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ مِنِ ابْتِدَائِهِ إِلَى وَقْتِ فَنَائِهِ: مِنْ مَلَكٍ قَرَّبْتَهُ، أَوْ نَبِيٍّ أَرْسَلْتَهُ، أَوْ عَبْدٍ صَالِحٍ اخْتَصَصْتَهُ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَهِّلْنَا فِيهِ لِمَا وَعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ مِنْ كَرَامَتِكَ، وَ أَوْجِبْ لَنَا فِيهِ مَا أَوْجَبْتَ لِأَهْلِ الْمُبَالَغَةِ فِي طَاعَتِكَ، وَ اجْعَلْنَا فِي نَظْمِ مَنِ**

١- الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٨.

٢- نفس المصدر: الدعاء٤٧.

٣- الصحيفة السجادية: الدعاء٣٥.

اسْتَحَقَّ الرَّفِيعَ الْأَعْلَى بِرَحْمَتِكَ.»[1] يقول هكذا في اقتداء بأولياء الله: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رَغْبَتِي فِي مَسْأَلَتِي مِثْلَ رَغْبَةِ أَوْلِيَائِكَ فِي مَسَائِلِهِمْ، وَ رَهْبَتِي مِثْلَ رَهْبَةِ أَوْلِيَائِكَ، وَ اسْتَعْمِلْنِي فِي مَرْضَاتِكَ عَمَلًا لَا أَتْرُكُ مَعَهُ شَيْئاً مِنْ دِينِكَ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ.**»[2] في مكان آخر يقول عن التقرب إلي أولياء الله: «**مَوْلَايَ وَ ارْحَمْنِي فِي حَشْرِي وَ نَشْرِي، وَ اجْعَلْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَعَ أَوْلِيَائِكَ مَوْقِفِي، وَ فِي أَحِبَّائِكَ مَصْدَرِي، وَ فِي جِوَارِكَ مَسْكَنِي، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.**»[3] تشير هذه التفسيرات بشكل مباشر وغير مباشر إلى موقف ولاية أهل البيت وسيتم ذكر إحدى هذه الحالات أدناه.

**التحليل والدراسة

من أهم الوثائق القرآنية للإمام سجاد فيما يتعلق بضرورة الإمامة و ولاية أهل البيت والتي استخدمت بشكل غير مباشر مشتقات كلمة الولي هي آية الولاية «**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ» (المائدة/٥٥)**

في هَذِهِ الْآيَةِ يَذْكُرُ اللهُ دَرَجَةَ الْوِلايَةِ بِحَيْث تَكونُ وِلايَةُ اللهِ أَوَّلاً ثُمَّ الْوِلايَةُ لِلرَّسُولِ الكَرِيم (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) ثُمَّ وِلايَةُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ آتُوا الزَّكَاةَ أَثْناءَ الرُّكُوعِ. لا شَكَّ فِي الحالَتَين الأُولى وَ الثّانِيَة. جدالُ الْمُفَسِّرِيَن حَوْلَ عِبارَةِ "الَّذِينَ آمَنُوا" و الْبَحْثُ عَنْ أَمْثِلَةٍ أو مِثال رَئِيسي لَها. إِنَّ التَّحْدِيدَ المُطلَقَ لِعِبارَةِ "الَّذِينَ آمَنُوا" هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ وَلِيّ المُسْلِمِينَ وَ وَصِيُّهُمْ بَعْدَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) لِشَرْحِ تَفْسِيرِ

١- نفس المصدر: الدعاء٤٤.
٢- نفس المصدر: الدعاء٥٤.
٣- نفس المصدر: الدعاء٥٤.

الْآيَـةِ الْمَذْكورَةِ يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ المَرْءُ أَوَّلاً كَرامَةَ نُزولِ الْآيَةِ. يَعتَبِرُ المُفَسِّرُونَ الشِّيعَةِ بِالإجماعِ نُزولَ الْآيَةِ عَنِ الْإِمامِ عَلِي (عَلَيْهِ السَّلامُ) وَ فِي هذا الصَّدَدِ يَتَّفِقـونَ عَـلَى أَنَّ خَبَرَ نُزُولِ الآيَةِ عَنهُم يَعتَبِرُ أَكْثَـرِ دِقَّةً وَ مُتَواتِرَةً.[١] رُوِيَ عَنِ الإمامَينِ الباقِرِ و الصّادِقِ (عَلَيْهِما السَّـلامُ) أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ تكريماً لِعَـلِّي بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّـلامُ) عِنْدَمـا أَعْطَى الزَّكَاةَ فِي الرُّكُوعِ.[٢]

اِعْتَبَرَ بَعْضُ مُفَسرِينَ السُّـنَّةِ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طالِبٍ (عَلَيْهِ السَّـلامُ) المِصْداقُ الأَسـاسي الْوَحِيدُ لِلْآيَـةِ.[٣] اعْتَقَدَ مُعظَمُ اَهْلِ السُّـنَّةِ أَنَّ نُزُولَ الشَّـأْنِ لِهَذِهِ الْآيَـةِ هُـوَ جَريانُ تَدَفُّقِ الْإِمامِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّـلامُ) وَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ اِعْتَبَرُوا أَنّ هَـذا الْوَعْـدَ هُوَ الْوَحْيُ الرَئيـسيُ لِلْآيَةِ؛ يَكْتُبُ ابْـنُ عَطِيَّةَ الأَندلسي: «هَذا قَـوْلُ الْمُفَسِّريـنَ وَ لَكِـن اتَّفَـقَ انَّ عَـلِيَّ بْنَ أَبي طالِـبٍ اَعْطَي صَدَقَـةً وَ هُوَ راكِـعٌ.»[٤] يَعْتبِرُ الثَّعْلَبِيُّ كَأَحَدِ المُفَسرِينَ الْمَشْـهورِينَ لِأَهْلِ السُّـنةِ أَنَّ شَـأْنَ النُّزولِ لِآيَةِ الْوِلايَةِ حَوْلَ إِعْطاءِ الْخاتَمِ مِنْ جانِبِ الْإِمامِ عَلِي (عَلَيْهِ السَّلامُ) أَثْناءَ الرُّكوعِ.[٥] وَ قَدْ رَوَى كِبارُ الرُّواةِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذا الْمَوْضُوعِ رِواياتٍ كَثِيرَةً مِنها ما قالَهُ الرَّسُـولُ الْكَرِيمُ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَـلَّمَ): «إِنَّ عَلِيًّا مِنِّـي وَ أَنَـا مِنْهُ، و هُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِـنٍ مِنْ بَعْدِي.»[٦]

١- المفيد، تفسير القرآن المجيد:ج١، ص١٨٢؛ الطبري، دلائل الامامة:١٩؛ تفسير روح الجنان: ج٧، ص٢٧؛ الراوندي، فقه القرآن فى شرح آيات الأحكام: ج١، ص١١٦؛ ابن شهر آشوب، متشابه القرآن و مختلفة: ج٢، ص٣٠؛ منهاج الكرامة فى معرفة الامامة: ١٧٢.

٢- الطبرسي، مجمع البيان فى علوم القرآن: ج٣، ص٢١٠.

٣- الطبري، جامع البيان: ج٦، ص٣٨٨؛ احكام القرآن: ٢/٥٥٧؛ ابن كثير دمشقي، تفسير القرآن العظيم: ج٢، ص٧٤؛ السيوطي، تفسير الدر المنثور: ٨١.

٤- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز: ج٢، ص٢٠٩.

٥- الثعلبي، الكشف و البيان تفسير الثعلبي، ٧٥؛ أيضاً اُنظُر: جواهر الحسان فى تفسير القرآن: ج٢، ص٣٩٦.

٦- الترمذي، سنن الترمذي: ج٢، ص٢٩٧.

تَدُلُّ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى إمامَةِ الْإمام عَلِي (عَلَيْهِ السَّلامُ) لِعِدَّةِ أَسْباب، أَوَّلاً: نُزِلَتْ هذِهِ الآيَةُ عَنِ الْإمام عَلِي (عَلَيْهِ السَّلامُ) بِإِجْماعِ الشّيعَةِ وَ بِناءً عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الرِواياتِ السُّنِيَّةِ، بِحَيْثُ تَصِلُ هَذِهِ الرِّواياتُ إِلَى مُسْتَوَى التّكْرارِ وَ التَوَتُّر. يَرْوِي السيّدُ هاشِم الْبَحْرانِيّ فِي غايَةِ الْمَرام ٢٤ حَدِيثاً مِنْ جانِبِ أَهْلِ السُّنَةِ وَ ١٩ حَدِيثاً عَنْ طَرِيقِ الشِّيعَةِ أَنَّ سَبَبَ نُزولِ هَذِهِ الْآيَةِ كانَ وِلايَةَ الْإمام عَلِي (عَلَيْهِ السَّلامُ).[١] يَروِي حاكِمُ الحسكانِي (عالِمُ أَهلِ السُّنَةِ) فِي كِتابِ شَواهِدِ التَنزيلِ سَبَبَ نُزولِهِ عَن ٢٦ طَرِيقَةً.[٢] يَروِي الجَصاصُ فِي أَحكامِ القُرآنِ: «رُوِيَ عَنْ مُجاهِد وَ السَّدَى وَ أَبِي جَعْفَرٍ وَ عُتْبَةِ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ أَنَّها نَزَلَتْ فِي عَلِي بنِ أَبِي طالِبٍ حِينَ تَصَدَّقَ بِخاتَمِهِ وَ هُوَ راكِعٌ.»[٣] ثانِياً: "وَ الَّذِينَ آمَنُوا" لا يَشْمُلُونَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّ فِي هَذِهِ الْحالِ سَيُصبِحُ الْمَولِي وَ الْمَولِي عَلَيْهِ واحِداً وَ تَثبُتُ أَيْضاً رِواياتُ الْفَرِيقَيْنِ أَنَّ الْمُرادَ عَنْ "وَ الَّذِينَ آمَنوا و الّذِينَ يُقِيمونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ" هُوَ الْإمامُ عَلِيٌ (عَلَيْهِ السَّلامُ) و لَيْس كُلَّ الْمُؤْمِنِين. مِنْ ناحِيَةٍ أُخْرَى فَإِنَّ كَلِمَةَ "الْوَلِيِّ" فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَعْنَى أُولَي فِي التَّصَرُّفِ وَ هُوَ مُرادِفٌ لِمَعنى الإمام وَ الخَلِيفَةِ وَ لَيْسَ بِمَعْنَى النّصْرَةِ وَ الْمَحَبَّةِ، لِأَنَّ كُلَّ الْمُؤمِنِينَ لَهُمْ وِلايَةٌ فِي الحُبِّ وَ النّصْرةِ لِبَعْضِهِم البَعْضَ. بَيْنَما بِحَسَبِ التَّحْلِيلِ الدّاخِلِيِّ لِنَصِّ الْآيَةِ وَ رِواياتِهِمْ عَنْ شَأْنِ نُزولِها، فَإِنَّ الوِلايَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَنُوطٌ بِاللَّهِ وَ النَّبِيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) و الْإمامُ عَلِيٌ (عَلَيهِ السَّلامُ) وَ لا بُدَّ أَنَّ مَعْنَى هذِهِ الْوِلايَةِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلامُ) هُوَ نَفْسُ الْوِلايَةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِاللَّهِ وَ النَّبِيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) وَ هِيَ الْأَولَى فِي

١- غاية المرام: ج٢، ص ٥-٢٢.

٢- الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل: ج١، ص٢٠٩-٢٣٩.

٣- أحكام القرآن: ج٤، ص ١٠٢.

التَّصَرُّف.[١] ثالثاً: يَسْتَنْبِطُ مِنَ الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّ أَوْلِياءَ الْمُسْلِمِينَ ثَلاثَةٌ: اللهُ، الرَّسُولُ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) وَ الْمُؤمنونَ الَّذينَ لَهُمْ ثَلاثُ خِصالٍ، ومِنْ غَيْرِ هؤُلاءِ يَكونُ الآخَرُونَ هُمْ "مَولي عَلَيْهِمْ" وَ طَرَفُ الآخَرِ لِلْوِلايَةِ وَ قابِلُ الوِلايَةِ وَ لَن يَتَحَقَّقَ ذلكَ إلّا إذاً الْوَلِيُّ وَ الْقائِدُ وَ صاحِبُ الشُّؤُونِ الماليَةِ هُوَ المَولي عَلَيْهِ، لأنَّ هَذِهِ الولايةَ هِيَ ولايةُ الَّتي يَحتاجُ إثباتُهُ إلى سَبَبٍ خاصٍّ، وَ لا يَكفيهِ الإيمانُ وَحدَهُ. وَ خِلافاً لِلوِلايَةِ فَهِيَ بِمَعنِي المَحَبَةِ وَ المُساعَدَةِ لأنَّ هَذِهِ فَرعٌ مِن فُروعِ الإيمانِ وَ كُلُّ مُؤمِنٍ مُحِبٌّ لأَخيهِ المُؤمِنِ وَ مُساعِدِهِ. هُناكَ شاهِدانِ آخَرانِ تُؤَكِّدانِ تَفسيرَ الولايةِ بِهذا المَعنى؛ أَحَدُهُما هُوَ الانحِصارُ وَ الخُصُوصيَةُ المَفهومَةُ مِن كَلِمَةِ "إنَّما" وَ الآخَرُ هُوَ شَأنُ نُزولِ الآيَةِ عَنِ الإمامِ عَلي (عَلَيهِ السَّلامُ). وَ تَحَوّلَ هَذِهِ الجَوانِبُ الثَلاثَةُ مِنَ الآيَةِ إلَى نَصٍّ يُشيرُ إلَى النَّظريَةِ الإماميَةِ الشِّيعيَةِ في مَسأَلَةِ الإمامَةِ.[٢] رابِعاً: مِنْ أَهَمِّ النِّقاطِ في هَذِهِ الْآيَةِ اِحْتِجَاجُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلامُ) عَلَى آيَةِ الْوِلايَةِ في مَواقِفَ مُخْتَلِفَةٍ قَدْ عَبَّرَ عَنْ هَذا الاحْتِجاجِ بِاخْتِلافٍ طَفِيفٍ في الْكَلِماتِ في مَصادِرَ سُنِيَّةٍ مُهِمَّةٍ: «اَنشَدَكُم بِاللّهِ اَتعلمون حيث نزلت انّما وليكم اللّه و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكاة و هم راكعون و ... امراللّه عزّوجلّ نبيه ان يعلمهم ولاة امرهم و ان يفسّر لهم من الولاية كما فسّر لهم من صلاتهم و زكاتهم و حجّهم فنصبني للناس بغدير خم.»[٣] وَ في مَصادِرَ شِيعيَّةٍ عَبَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلامُ)

١- ينظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ج٣، ص ٥٥٩-٥٦٤؛ الطباطبايي، الميزان في تفسير القرآن: ج٦، ص ٥-١٥

٢- السبحاني، محاضرات في الالهيات: ٣٣٠-٣٣١.

٣- قندوزي الحنفي، ينابيع المودة: باب ٨٣/١١٤.

عَـن احْتجاجِه عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ فِي مُناسِـباتٍ مُخْتَلِفَـةٍ مِنْها زَمَنَ الْخُلَفَاءِ.[1] وَ خُلاصَـةُ القَوْلِ فَإِنَّ مُعظَمَ الْمُفَكِّرينَ فِي مَجالِ التَّفسـيرِ وَ الرّواياتِ يَتَّفِقُونَ عَـلَى أَنَّ آيَـةَ الْوِلايَةِ نَزَلَـتْ عَلَى الْإِمامِ عَلِي (عَلَيْهِ السَّـلامُ) وَ الدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ النُّقْطَـةِ فِي حَدِّ ذاتِهِ يُثْبِتُ وِلايَتَهُ بَعْدَ الرَّسُـولِ الْكَرِيمِ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ).

٣. علم الإمام

يشـير الإمام السـجّاد في محور آخر و في شرحه لمكانة أهل البيت ومنزلتهم إلى علمهـم اللدنـي. غرض الإمام من الإشـارة إلى علم أهـل البيت هو شرح إحـدى أهـم خصائص الخليفة الإلهـي؛ وهذا يعني أنه يمكن لأي شـخص أن يتـولى منصـب الخلافة وإمامة المجتمع الإسـلامي إذا كان علمه من الله وتأييـده منـه ويجـب أن يكون علمًا يجيـب على جميع أسـئلة الناس حول الديـن وهـذه الميـزة موجودة فقـط في آل بيت النبي. قـال الإمام في شرحه لموقـف العلمي لأهل البيت (عليهم السـلام): «**رَبِّ صَلِّ عَـلى أَطَايِبِ أَهْلِ بَيْتِـهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ، وَ جَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَ حَفَظَةَ دِينِكَ، وَ خُلَفَـاءَكَ فِي أَرْضِـكَ، وَ حُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَ طَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ وَ الدَّنَـسِ تَطْهِـيراً بِإِرَادَتِـكَ، وَ جَعَلْتَهُمُ الْوَسِـيلَةَ إِلَيْكَ، وَ الْمَسْـلَكَ إِلَى جَنَّتِك**»[2] يقول في مكان آخر: «**فَكَمَا جَعَلْتَ قُلُوبَنَا لَهُ حَمَلَةً، وَ عَرَّفْتَنَا بِرَحْمَتِـكَ شَرَفَـهُ وَ فَضْلَـهُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ الْخَطِيـبِ بِهِ، وَ عَلَى آلِهِ الْخُـزَّانِ لَـهُ، وَ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْـدِكَ حَتَّى لَا يُعَارِضَنَا الشَّـكُّ فِي تَصْدِيقِـهِ، وَ لَا يَخْتَلِجَنَـا الزَّيْغُ عَنْ قَصْـدِ طَرِيقِهِ.**»[3] يقول

١- الطبرسي، الاحتجاج: ج١، ص١٩٧.

٢- الصحيفة السجادية: الدعاء٤٦.

٣- نفس المصدر: الدعاء٤٢.

في هـذا الصدد: «**اللَّهُـمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّـد- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِـه- مُجْمَلًا، وَ أَلْهَمْتَهُ عِلْمَ عَجَائِبِـه مُكَمَّلًا، وَ وَرَّثْتَنَا عِلْمَهُ مُفَسَّراً، وَ فَضَّلْتَنَـا عَـلَى مَنْ جَهِلَ عِلْمَهُ، وَ قَوَّيْتَنَا عَلَيْـهِ لِتَرْفَعَنَا فَوْقَ مَنْ لَمْ يُطِقْ حَمْلَه.**»[1]

**التحليل والدراسة

مـن الآيـات الأكثـر وضوحا الّتـي تنص عـلى السـلطة العلمية لأهل البيـت (عليهم السـلام) بمعنى معرفتهم المطلقـة بالقرآن هي الآية ٤٩ من العنكبوت:«**بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ الظَّالِمُونَ**» قد جاء الكليني في كتابه الكافي باباً اسـمه «ان الائمه قـد اوتـو العلـم و اثبت في صدورهم» و في تفسـير هذه الآيـة ذكر أحاديث عـلى شرف أهـل البيـت (عليهم السـلام):«عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السـلام فِي قَـوْلِ اللَّـهِ عَزَّ وَ جَلَّ- **بَلْ هُوَ آيـاتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِيـنَ أُوتُوا الْعِلْمَ** قَـالَ **هُـمُ الْأَئِمَّـةُ عليهم السـلام**»؛ «وَ عَـنِ الْبَاقِـرِ عليه السـلام فِي قَوْلِهِ تَعَـالَى **بَـلْ هُوَ آياتٌ بَيِّنـاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْـمَ** قَالَ **إِيَّانَا عَنَى الْأَئِمَّةَ مِنْ آلِ مُحَمَّد**»[2] قدم الإمام علي (عليه السـلام) أهل البيت (عليهم السـلام) باعتبارهم الوحيدين الذين اعتبروا الدين كما يسـتحقه و تعلموا كمـا قدمهـم كأركان للدين:«**هُـمْ عَيْشُ الْعِلْـمِ وَ مَوْتُ الْجَهْـلِ يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُـمْ عَـنْ عِلْمِهِـمْ وَ ظَاهِرُهُمْ عَـنْ بَاطِنِهِمْ وَ صَمْتُهُـمْ عَنْ حِكَمِ [حُكْـمِ مَنْطِقِهِـمْ لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَ لَا يَخْتَلِفُـونَ فِيهِ وَ هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَ وَلَائِجُ الِاعْتِصَامِ بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ وَ انْزَاحَ الْبَاطِلُ**

١- نفس المصدر: الدعاء٤٢.

٢- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، المجلد ١، ص، ٢١٥.

عَـنْ مُقَامِـهِ [مَقَامِهِ وَ انْقَطَعَ لِسَـانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ عَقَلُـوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَ رِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَ رُعَاتَهُ قَلِيـلٌ»[1] مـن جهة أخرى يذكرهـم الإمام (عليه السـلام) في توبيخ الناس بوجود أهل البيت (عليهم السـلام) بينهم، و يعرّفهم على أنهم حكام الحق و آيات الدين، و يطلب من الناس أن يلجؤوا إليهم لإرشـادهم و سـعادتهم مثـل الإبل التي تلجأ إلى الماء: «**فَأَيْـنَ تَذْهَبُونَ وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ وَ الْأَعْلَامُ قَائِمَـةٌ وَ الْآيَـاتُ وَاضِحَـةٌ وَ الْمَنَـارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُتَـاهُ بِكُمْ وَ كَيْفَ تَعْمَهُـونَ وَ بَيْنَكُـمْ عِـتْرَةُ نَبِيِّكُـمْ وَ هُـمْ أَزِمَّـةُ الْحَقِّ وَ أَعْـلَامُ الدِّينِ وَ أَلْسِـنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَـنِ مَنَازِلِ الْقُـرْآنِ وَ رِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيـمِ الْعِطَاشِ**»[2] مما لا شـك فيه أنـه إذا كان الجميع يهتدون بالاعتماد على القرآن، فلن تكون هناك حاجة للإمام (عليه السـلام) لتشـجيع الناس عـلى آل البيت (عليهم السـلام) للهدايـة و التعريف بهـم كأركان للدين. و هذا يدل على أن القرآن يحتاج لمفسر و مبين، للقرآن ظاهر و باطن، محكم و متشـابه و تفسـير و تأويل؛ و فقط أهل البيت (عليهم السـلام) هم من يدركون هذه الحالات تمامًا و قد وفر لهم الله هذه المعرفة و سيجد الناس الطريـق الصحيح للهداية و السـعادة بالرجوع إليهم.

آيـة أخـرى تدل على فضيلة العلـم الذي اوتي لأهل البيت عليهم السـلام و تثبـت جامعيـة القـرآن المطلقة لهم و هذه الآيـة: «**وَ يَقُولُ الَّذِيـنَ كَفَرُوا لَسْـتَ مُرْسَـلاً قُـلْ كَفَـى بِاللَّـهِ شَـهِيداً بَيْنِـي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَـنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**» (الرّعد/ ٤٣) و قد وردت روايات عديدة و صحيحة السـند

١- نهج البلاغة، خطبة ٢٣٩.

٢- المصدر نفسه، خطبة ٨٧.

في المجامع السردية و التفسيرية للفريقين، التي تعتقد أن مصداق لهذه الآية هو الإمام علي (عليه السلام)، وبنفس الطريقة فإن بعض الروايات الأخرى تمد دائرة أمثلة "مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتاب" إلى معصومين آخرين (عليهم السلام). الروايات في هذا الشأن: «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ **قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ قَالَ فَفَرَّجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَوَضَعَهَا عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ عِنْدَنَا وَ اللَّهِ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّه**»[1] ؛ «عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام- **قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ** قَالَ **إِيَّانَا عَنَى وَ عَلِيٌّ أَوَّلُنَا وَ أَفْضَلُنَا وَ خَيْرُنَا بَعْدَ النَّبِيِّ عليه السلام**»[2]

كما أوردت بعض المصادر السنية روايات في هذا الشأن وقد كتب البعض عن معنى هذه الآية في العلم المطلق لأهل البيت عليهم السلام بالقرآن كما يلي: (الف و لام) في الكتاب أو العهدية الحضورية، و معنى الكتاب هو القرآن الكريم أو (الف و لام) هو الجنسية و يعني اللوح المحفوظ و المطلق من الكتب السماوية ومن بينها القرآن الكريم. على أية حال فإن هذه الكلمة بالإضافة إلى الروايات المفسرة تدل على أن علم القرآن عند أمير المؤمنين (عليه السلام). إن إضافة "علم" إلى "الكتاب" تعني أن كل علم الكتاب لديهم، لأن إضافة المصدر إلى الكل الذي يمكن أن تنتمي جميع مكوناته متعلقة إلى ذلك المصدر بشكل متساو فتظهر في الاستيعاب و العموم. ومن ثم ، في آية أخرى ، يستخدم هذا التفسير عن شخص كان

١- المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٦، ص ١٧١.

٢- الكليني، الكافي، ج ١، ص٢٣٠.

لـه جـزء من علم الكتاب. و من ثم في آية أخرى يسـتخدم هذا التفسـير عن شـخص كان له جزء من علم الكتاب: «**قالَ الَّـذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَـا آتيـكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُك**»(النمل/ ٤٠).[١] لذلك سـواء كنا نعنـي "الكتاب" القـرآن الكريم أو اللوح المحفوظ فإن دلالة علم أهل البيت (عليهم السـلام) عليها بشكل كامل.

٤. ولاية الإمام علي في غدير خم

والشيء الآخر المشـهور في كلام الإمام سـجاد هو التفسير الصحيح لحديث الغدير وفلسـفة تعبيره عن الرسـول الكريم (صلى الله عليه وآله وسـلم). ورداً على أسـئلة الناس يشرح الإمام بشكل صحيح أن معنى حديث الغدير للرسـول كان عـن ولايـة وخلافـة الإمام علي عليه السـلام وليـس بمعنى الصداقـة الذي حـاول أعداء أهل البيت التعبير عنه باعتباره المعنى الرئيسي للحديث. قال الإمام رداً علي السائل عن مفهوم المولي في حديث الغدير: «عَنْ شَرِيـك عَنْ أَبِي إِسْـحَاقَ قَالَ قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَـيْنِ ع مَـا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ **مَـنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَـلِيٌّ مَوْلَاهُ** قَالَ **أَخْبَرَهُمْ أَنَّـه الْإِمَامُ بَعْدَه**.»[٢]

- **التحليل والدراسة**

في خطـاب الإمام هذا تم ذكـر عدة أمور مهمة: أولاً بتوضيح الحديث يؤكد الإمـام أصل واقعـة غدير خم وإعلان ولاية الإمام عـلي. ثانياً يشرح الإمام أهـم أقـوال الرسـول في غدير خم ومعنـي الولي هو الإمامـة والخلافة بعد النبـي. إنَّ حادثـةَ غَديرِخم وَ الحَجِ الأَخيرِ لِلنَّبي الكَريـم (صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَ آلِـهِ وَ سَـلَم) هُو مِنَ القَطعياتِ و البَديهياتِ لِلنَّبي (صَـلّى اللهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَ

١- البابائي، علي أكبر، المدارس التفسيرية، المجلد ١، ص ٥٠-٤٦.
٢- الصدوق، محمد بن بابويه، الأمالي، ص١٢٣.

سَـلَم) وَ التّاريخ الأَكيد. قَد أَقَرت الكُتُبُ التّاريخيةُ وَ السَردِيةُ وَ التَفسـيريةُ لِلفَريقَـينِ بِصِحَةِ حادِثَةِ الغَدير. ابنُ كَثـير يَكتُبُ عَن حَدَثِ غَديرِخُم: «وَ قَدْ خَطَبَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَ سَلَّمَ فِي هَذَا الْيَوْم الشَّرِيف خُطْبَةً عَظِيمَةً تَوَاتَـرَتْ بِهَـا الْأَحَادِيثُ وَ نَحْنُ نَذْكُرُ مِنْهَا مَا يَـسَّرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَل.»[١] وَ فِي الغَديـرِ نَقَـلَ العَلامَةُ أميني حَديثَ الغَدير عَـن ١١٠ صَحابةَ وَ ٨٤ تابعاً وَ ٣٦٠ عالماً سُـنياً. وَ هُوَ يُشـيرُ إلى ٢٦ كِتابَاً مُسـتَقلاً عَن عُلماء الفَريقَين تَمَّ تَأليفُهـا لإثبـاتِ تَواتُرِ حَديثِ الغَديـر.[٢] الخطيبُ البَغـدادي أَحَدُ المُؤرخينَ لِأهلِ السُّـنةِ فِي تاريخِ بَغدادَ يَكتُبُ بِالتَفصيـلِ عَن حادِثَةِ غَديرِخُم فِي ملحَقِ الآيـةِ الإكمـالِ: وَ هُـوَ يومَ غَديرِخم لمـا اَخَذَ النَّبي (صَلّى اللـهُ عَلَيهِ وَ آلِه وَ سَلَم) بِيَدِ عَلي بن أبي طالب فَقالَ: أ لَستُ وَلي المُؤمنينَ؟ قالوا بَلي يا رَسولَ اللـه، قـالَ: مَن كُنتُ مَـولاهُ فَعَلي مَولاهُ، فَقال عُمر بـن الخطاب: بَخ بَخ لَكَ يَابنَ أبي طالب أصبَحتَ مَولاي وَ مَولي كُلِّ مُسلم، فَاَنزلَ اللهُ «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُـمْ دِينَكُـمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْـلامَ دينا.»[٣] يَروي ابـنُ كَثير كَلامَ عُمر بِهَـذهِ الطَريقَة: أصبَحتَ اليومَ وَلي كُلِّ مُؤمنٍ.[٤] يَروي أَحمدُ بن حَنبَل أَحدُ كِبارِ رُواةِ السُّنةِ بِالإضافَةِ إلى تَوضيحِ حادِثَةِ غَديرِخُم، كَلامَ أَبي بَكر وَ عُمَر لِلإمامِ عَلي (عَلَيهِ السَّلامُ) عَلَى النَحوِ التّالي: بَخ بَخ لَكَ يَابـنَ أَبـي طالِب أصبَحتَ وَ أمسـيتَ مَولاي وَ مَولا كُلِّ مُؤمـنٍ وَ مُؤمنةٍ.[٥] حاكِمُ النِيشـابوري أَحَدُ الرُواةِ السُنَةِ البارِزينَ ينقُلُ حَديثَ الغَديرِ كَما يَلِي:

١- ابن كثير دمشقي، البدايه و النهايه: ج٥، ص٢١٣.
٢- الاميني، الغدير: ٣١١-٤١.
٣- خطيب البغدادي، تاريخ بغداد،: ج٨، ص٢٨٤.
٤- ابن كثير دمشقي، البدايه و النهايه: ج٧، ص٣٥٠.
٥- ابن حنبل، مسند ابن حنبل: ج٤، ص٢٨١.

«عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: خَرَجْنا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ حَتَّى انْتَهَيْنا إِلَى غَدِيرِ خُمٍّ فَأَمَرَ بِدَوْحٍ، فَكُسِحَ فِي يَوْمٍ ما أَتَى عَلَيْنا يَوْمٌ كانَ أَشَدَّ حَرًّا مِنْهُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ قَالَ: «**يا أَيُّها النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا ما عاشَ نِصْفَ ما عاشَ الَّذِي كانَ قَبْلَهُ، وَ إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَ إِنِّي تارِكٌ فِيكُمْ ما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ كِتابَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ**»، ثُمَّ قامَ فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ رَضيَ اللهُ عَنْهُ فَقالَ: «**يا أَيُّها النَّاسُ، مَنْ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟**» قالُوا: اللهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ، «**أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟**» قالُوا: بَلَى، قالَ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ**» هَذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنادِ، وَ لَمْ يُخَرِّجاهُ».[1] اعتَرَفَ العَديدُ من عُلَماءِ السُنَةِ بتَواتُرِ حَديثِ الغَدير.[2] أشار المفسرون السُنَة إلى حادِثَةِ غَديرخُم في مُلحَقِ الآيةِ التَبليغ، فَيَكتُبُ فَخرُ الرازي في هَذا الصَدَد: نُزِلَت الآيةُ «**يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ**» في فَضلِ عَلي وَ لَما نُزِلَت هذهِ الآيةُ اَخَذَ بِيَدِهِ وَ قالَ: **مَن كُنتُ مَولاهُ فَعَلي مَولاهُ اللّهُمَّ وال مَن والاهُ وَ عاد مَن عاداهُ.**[3]

ترتبط واقعة الغدير وتشكيله بعدة آيات قرآنية موضحة أدناه:

الآية التبليغ: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ»[4]

١- الحاكم النيشابوري، مستدرك علي الصحيحين: ج٣، ص٦١٣.

٢- ينظر: العاملي، المراجعات: ٢٠٧-٢٠٨.

٣- الرازي، مفاتيح الغيب: ج٣، ص٦٣٦.

٤- سورة المائدة /٦٧

فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبارَكَةِ يَأْمُرُ اللّهُ تَعالَى الرَّسُولَ الْكَرِيمَ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) أَنْ يَنْقُلَ أَمْراً هامّاً. أَهميَةُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي أَنَّ عَدَمَ تَوْصِيلِ المَوضوعِ الْمَذْكُورِ يُساوِي عَدَمَ إِنْجازِ الرِّسالَةِ. لا شَكَّ أَنَّ رِسالَةَ الرَّسولِ الْكَرِيم (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) مُهِمَّةٌ لِلغايَةِ لِدَرَجَةٍ أَنْ لا شَيْءَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَلِّلَ مِنْ قِيمَتِها. كانَ أداءُ الْواجِباتِ الْإِلهِيَّةِ وَ ابْلاغُ الْوَحْيِ وَ تَبْيِينُ الْوَحْيِ وَ تَوْجِيهُ النّاسِ وَ ما إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَهَمِّ الْواجِباتِ الَّتِي قامَ بِها نَبِيُّ الْإِسْلام (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) وَ مَعَ ذَلِكَ هُناكَ شَيْءٌ مُهِمٌ فِي آيَةِ التَّبْلِيغِ وَ هُوَ أَنَّ عَدَمَ الْقِيامِ بِذَلِكَ وَ ابْلاغَهُ يُساوِي عَدَمَ الْقِيامِ بِالْمُهِمَّةِ الإلهِيَةِ الْعَظِيمَةِ. إِنَّ تَحْلِيلَ وَ شَرْحَ مِصْداقِ التَّبْلِيغِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يُحَدِّدُ تِلْكَ النقطَةَ الْمُهِمَّةَ يَعْتَبِرُ الْمُفَسِّرونَ وَ الْمُفَكِّرونَ الشّيعَةُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَتَحَدَّثُ عَنْ وِلايَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيم (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) لِلْإِمامِ عَلِي (عَلَيْهِ السَّلامُ).[1]كما ذَكَرَ عُلَماءُ السُّنَّةِ أَقْوالاً مُخْتَلِفَةً عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَ فِي مَصادِرِهِمُ الْمُهِمَّةِ رِواياتٌ عَدِيدَةٌ عَنْ شَأْنِ نُزولِ هَذِهِ الْآيَةِ. يَرْوِي السُّيُوطِيّ رِوايَةً بِهَذا الْمَوْضُوعِ فِي تَفْسِيرِ الدُّرَ الْمَنْثُورِ: «و أخرج ابن أبي حاتم و ابن مردويه و ابن عساكر عن أبى سعيد الخدري قال نزلت هذه الآية يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ على رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم غدير خم في على بن أبى طالب و أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ {انَّ عَلِياً مَولَى الْمُؤمِنِينَ} وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللّهُ يَعْصِمُكَ

١- العياشي، تفسير العياشى: ج٢، ص٦٢-٦٣؛ الكوفي، تفسير فرات الكوفي: ١٨٠-١٨١؛ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ج٣، ص١٤٤؛ الطبرسي، مجمع البيان فى علوم القرآن:ج١، ص٦٦-٨٦.

مِنَ النَّاس».[١] وَ قَد نَقَلَ المُفَسرونَ وَ الرُّواةُ السُنَةُ الآخرونَ نَفسَ الأَمرِ.[٢] تَدُلُّ هذهِ الآيَةُ عَلَى إمامَةِ وَ خِلافَةِ الْإمام عَلي (عَلَيْهِ السَّلامُ) بَعْدَ الرَّسُولِ الْأَعْظَم (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) لِلْأَسْبابِ التَّالِيَة: أَوَلاً: إِنَّ سَبَبَ نُزولِ الآيَةِ فِي الرِّواياتِ وَ هُوَ الْمَوْضُوعُ الَّذي نَشَرَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) وَ الَّذي يَأْمُرُ اللهُ بِنَشْرِهِ هُوَ وِلايَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيهِ السَّلامُ. ثانياً: اَلْوِلايَةُ الْواردَةُ فِي الرِّواياتِ تَعْني الْوِلايَةَ فِي الْحِيازَةِ وَ التَصَرُّفَ وَ لَيْسَ بِأَيِّ مَعنًى آخَرَ، لِأَنَّ سُورَةَ الْمائِدَةِ مِنْ آخِرِ السُّوَرِ الَّتي نُزِلَتْ وَ هِيَ مِنَ الْمَواضِيعِ الدِّينِيَةِ الْمُهِمَّةِ حَتَّى الْآنَ مِثْلَ التَّوْحِيد، النُّبُوَّة، الْمَعاد، الصَّلاة، وَ الْجِهاد، وَ غَيْرِها مِنَ الْأُمُورِ المُهِمَّةِ وَ ما لَم يُعلِنْ حَتَّى ذَلِكَ الْيَوْمِ وَ لَمْ يُنْزَعِ الْعَهْدُ وَ الوَلاءُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كانَ وَصِيَّةُ الرَّسُولِ الْكَرِيم (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) وَ خِلافَتِه. ثالثًا: اَلشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذي كانَ عَدَمُ تَبْلِيغِهِ مُساوِياً لِعَدَمِ تَبْلِيغِ كُلِّ رِسالَةِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) هُوَ مَوْضُوعُ خِلافَتِه لِأَنَّ رِسالَةَ الرَّسُولِ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) تَمْتَدُّ إِذا كانَتْ خَلفاً لِلنُّبُوَّةِ حَتَّي تُقَوّي الدّينَ، لِذَلِكَ مَوْضُوعُ التَّبْلِيغِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وِصايَةُ وَ خِلافَةُ الْإِمام عَلي (عَلَيْهِ السَّلامُ). رابِعًا: مِنَ الأَحاديثِ الْمُتواتِرَةِ فِي مَصادِرِ الفَريقَينِ حَديثُ الغَديرِ الَّذي جاءَ فِي اِستمرارِ آيَةِ التَبليغِ و تَشكيلِ واقِعَةِ غَديرِ خُم[٣]. عَلَى الرُغمِ مِن وُجودِ إِجماعٍ فِي حَديثِ الغَديرِ مِن حَيثِ التِكرارِ

١- السيوطي، الدر المنثور: ج٢، ٢٩٨.

٢- الشوكاني، فتح القدير: ج٢، ص٦٠؛ آلوسي، روح المعانى فى تفسير العظيم و سبع المثانى: ج٥، ص٣٥٩؛ الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل:ج١، ص٢٥٠.

٣- عدد الأحاديث المتواترة نادر جدا. في تعريف الحديث المتواتر ذكروا: إنّ المتواتر هو خبر مجموعة مقطوعة بشكل صحيح من تلقاء نفسها. أو إذا وصل الأفراد و سلسلة الأخبار في كل فئة إلى نقطة يتم فيها تأمين موافقتهم على الكذب ، فإن هذه الأخبار متواترة. (صدر، نهاية الدراية، ٩٨)

وَ لا فَرقَ إلّا أنَّ الرَّسـولَ الكَريمَ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَـلَّمَ) أَلقَى خُطبَةً غَراءَ في الغَديرِ أَنَّه بالإضافَةِ إلى الحَمدِ لِلّه، تَمَّ تَعيينُ الإمامِ عَلي عَلَيهِ السَّلامُ خَليفـةً، وَ تَعريفُ المَلامِحِ المُنافقينَ، وَ تَقديمُ الأَئمَةِ الاثنَي عَشَر.

آيـة إكمال الدين: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُـمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَ رَضيتُ لَكُمُ الْإِسْـلامَ دينا»[١].

في المَصـادِرِ الشَّـيعِيَّةِ بـلا خِـلافٍ إنَّ آيَـةَ الإكْمـالِ مَعْرُوفَةٌ بإعْـلانِ ولايَةِ الإمامِ عَلي (عَلَيْهِ السَّـلامُ). عِنْدَما انجازَ الرَّسُـولُ الكَريمُ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آلـه و سَـلَّمَ) مِثالَ آيَةِ التَّبْليـغِ نُزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ بَعْدَ تَعْيـينِ الإمامِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلامُ).[٢]

في المَصـادِرِ السُّـنِيَّةِ المُهِمَّةِ هُناكَ العَديـدُ مِنَ الرِّواياتِ المُتَوافِقَـةِ مَعَ وُجْهَةِ النَّظَرِ الشِّـيعِيَّةِ، ينقُلُ الحسكاني من ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى النَّحْوِ التَّالي: «لمّا نصب رسـول الله (صلي الله عليه و سـلّم) علياً يوم غدير خم فنادي له بالولاية هبط جبرئيل بهذه الآيه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ.»[٣]وَ يَنقُلُ السُّـيوطي في شَرحِ الدُرِ المَنثورِ ما يَلي: «نَقَلَ ابنُ مَردوية عَن ابنِ عَسـاكِرَ عَن أَبي سَـعيد الخدري أَنَّ: لَمَّا نَصَبَ رَسُـولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَـلَّمَ عَلِيّاً يَوْمَ غَديرِ خُم فَنادَى لَهُ بالْولايَةِ هَبَطَ جِبْريلُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الآيَةِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُم.»[٤] يَـرْوِي ابْنُ عَسـاكِرَ في كِتابِـهِ واقِعَةَ الْغَديرِ وَ نُزولَ آيَـةِ الاكْمالِ عَلَى النَّحْوِ التَّالي: «عن ابي هريرة قال من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب

١- سورة المائدة/٣

٢- تفسير روح الجنان: ج٢، ص٩٧؛ الطبرسي، مجمع البيان فى علوم القرآن: ج١، ص٣١٢؛ منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة: ١١٨؛ الاميني، الغدير: ج١، ص٢٣٤.

٣- الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل: ج١، ص٢٠٧-٢٠٨.

٤- السيوطي، الدر المنثور:ج٢، ص٢٥٩.

له صيام ستين شهرا وهو يوم غدير خم لما اخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) بيد علي بن أبي طالب فقال ألست ولي المؤمنين قالوا بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي و مولى كل مسلم فأنزل الله عز وجل " اليوم أكملت لكم دينكم.»[١] يُمكِنُ رُؤيَةَ نَفسَ المَوضوعِ في مَصادِرَ سُنيَةٍ أُخرَى.[٢] يُثبِتُ التَّحليلُ الدّاخِلي لِلنُصوصِ وَ الخارِجي لِلآيَةِ أَنَّ مَعنَى إكمالِ الدِّينِ وَ إتمامَ النِّعمَةِ هُوَ إمامَةُ الإمامِ عَلي (عَلَيهِ السَّلامُ) وَ هَكَذا: أولاً: إنَّ المَبحَثَ مِنَ الآيَةِ الثّالِثَةِ مِنَ المائِدَةِ «الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ دينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَ رَضيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ ديناً» مَبنِي عَلَى آياتٍ وَ رواياتٍ مُنفَصِلَةٍ عَن ما قَبلَها وَ بَعدَها وَ لا عِلاقَةَ لَها بِها.[٣] ثانياً: إنَّ آيَةَ الْإِكْمالِ نَزَلَتْ في حَجَّةِ الْوِداعِ بِحَسَبِ تُوافُقِ الطَّرَفَيْنِ وَ يُشيرُ تَفسيراً "الْيَوْمَ" إلَى يَوْمٍ مُعَينٍ أَوْ إلَى فَترَةٍ مُحَدَّدَةٍ الَّذي يَقُومُ عَلَى ظُهُورِ الآيَةِ وَ الدَّليلِ السَّردِي لِيَوْمٍ مُعَيَّنٍ.[٤] ثالثاً: قيلَ لِهَذَيْنِ "اليَوْمَ" أَرْبَعُ خِصالٍ: يَوْمُ يَأسِ الْكُفّارِ وَ يَوْمُ إكْمالِ الدِّينِ وَ يَوْمُ إتمامِ النِّعَمِ وَ الْيَوْمُ الَّذي أَجازَ اللهُ فيهِ الْإِسْلامَ كَدينٍ.

وَ الْآنَ بالنَّظَرِ إلى أَنَّ الْآيَةَ الْمَذْكُورَةَ قَدْ نُزِلَت في حَجَّةِ الوداعِ فَإنَّ الْحَدَثَ الْكَبيرَ الْوَحيدَ في هَذا الْحَجِّ غَيْرَ حادِثَةِ الْغَديرِ هُوَ حَجُّ الْمُسْلِمينَ الْعَظيمِ الَّذي لا يَيْأَسُ الكُفّارُ. لِذلِكَ يَجِبُ الْبَحْثُ عَنْ خَصائِصِ الْآيَةِ الْأَرْبَعَةِ في

١- ابن كثير دمشقي، تاريخ مدينة دمشق: ج٢، ص٧٥.

٢- ابن شهر آشوب، مناقب على بن أبي طالب (عليه السلام): ١٣٥؛ خطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج٨، ص٢٩٠.

٣- الطباطبايي، الميزان في تفسير القرآن: ج٥، ص ١٦٧.

٤- نجارزادكان، دراسة مقارنة لآيات الولاية في رأي الفريقين: ١٧٩-١٨١.

واقعَـةِ الْغَدِيـرِ. الْآنَ إذا قِيـلَ أَنَّ مَعنَى حَدِيثِ الْغَدِيرِ هُـوَ تَقْدِيمُ الْإمام عَلِي (عَلَيْهِ السَّـلامُ) بِصِفَتِهِ مَحْبُوبِ الْمُسْـلِمِينَ، فَإِنَّ مَحْبُوبِيَّتَهُ لا يُمْكِنُ أَنْ تَشْمُلَ خَصائِصَ الْآيَةِ الْأَرْبَعِ.

مـا يُمْكِـنُ أَنْ يَحْتَـوِيَ عَـلَى خَصائِـصِ الْآيَةِ هُـوَ تَعْيِـينُ الْإمام عَـلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّـلامُ) فِي إمامَةِ الرَّسُـولِ الْكَرِيمِ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آله و سَلَّمَ) لِأَنَّهُ عِندَما يَـرَى الْكُفـارُ أَنَّـهُ بَعْدَ وَفاةِ الرَّسُـولِ (صَلَّى اللـهُ عَلَيهِ وَ آله و سَـلَّمَ) هُناكَ مَنْ سَـيُواصِلُ طَرِيقَهُ، فَإِنَّهُمْ سَيُصابُونَ بِالْيَأْسِ وَ الْخَيْبَةِ.[1] رابعاً: إجماعُ الرِوايات الشِيعيَةِ عَلَى أَنَّ آيَةَ الإكمالِ نُزِلَت فِي حَجَةِ الوداعِ (اَلبَعضُ يُشيرُ إِلَى نُزولِها يَومَ عَرَفَةَ وَ آخرُ يَومُ الغَدِيرِ) عَن وِلايةِ الإمامِ عَلي (عَلَيهِ السَّـلامُ).

ثالثاً: آثار ونتائج الإيمان بالإمامة في الحياة الطيبة

إن الاعتقـاد بولايـة أهـل البيـت وإمامتهم يعنـي القبول بولايـة الله؛ لأن المؤمن يقبل ولاية وقيادة من أمر الله بقبول ولايتهم؛ وهذا بمعنى أن الله قد جعلهم خلفاءه في الأرض وأن أقوالهم وأفعالهم وسـلوكهم مقبولة عند الله، ويتصرفون بما يرضي الله ويقولون ما هو مقبول عند الله. لذلك فإن القبـول بولاية أهل البيت يعني القبول بولاية الله والاستسـلام لما أمر الله به. أثناء سجود الملائكة لآدم، أمرهم الله جميعاً أن يسجدوا لآدم؛ فالسجود لآدم هنـا يعني السـجود لله والاستسـلام لأمر اللـه، وعندما يعصى إبليس أمر الله هذا يعتبر كافرا: «**وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْـجُدُوا لِآدَمَ فَسَـجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيَـس أَبـى وَ اسْـتَكْبَرَ وَ كانَ مِـنَ الْكافِرِينَ**» (البقـرة/ ٣٤) لذلك فإن الاستسـلام لله والتوحيد الحقيقي يعنـي الخضوع لجميع ما أمر الله

١- الطباطبايي، الميزان في تفسير القرآن: ٥ / ١٦٨-١٧٦ .

بـه واجتنـاب كل ما حرمها الله. إن القبول بولاية أهل البيت يعني التوحيد والرضا بما أمر الله به، كما تؤكد وتقول الآية ٥٥ من المائدة: «**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُـولُهُ وَ الَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ**».[١]

في آية أخرى وصفت طاعة أهل البيت وهم اولى الأمر بأنها عطف لطاعة النبي (صلى الله عليه وسـلم) والله: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللَّهَ وَ أَطيعُـوا الرَّسُـولَ وَ أُولِي الْأَمْـرِ مِنْكُـمْ فَـإِنْ تَنازَعْتُـمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَ الرَّسُـولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْويلا**﴾[٢] ومعنى «**أُولِي الْأَمْرِ**» في هذه الآية المباركة هو أهل البيت (عليهـم السّـلام)، الذين طاعتهم عطف علي طاعـة النبي(صلواتُ الله عليه وآله وسلّم) والله، وغني عن القول أن الله لا يأمر بطاعة أصحاب الأخطاء والمعاصي. وفي هذا الصدد أجمع مفسري الشيعة على أن معنى «أُولِي الْأَمْرِ» هم أهل البيت، وقد ورد في هذا الباب روايات متعددة. ولسبب منطقي يثار هذا الاسـتدلال بأنه لا يمكن لأحد أن يحمل هذا اللقب إلا أهل البيت(عليهم السّلام) الذين لهم مقام العصمة والعلم، لأن الآخرين ليسوا أبرياء وهناك احتمـال لأخطائهـم وذنوبهـم، بينما في هذه الآية أمر مطلـق بإطاعة «أُولِي الْأَمْـرِ». العلامـة فضل اللـه يكتب عن هذا: «و قال علماء الشـيعة الإمامية: إن المـراد بهم الأئمـة الاثنا عشر المعصومون، لأنهم الذين ثبت عن رسـول اللّـه صلّى اللّه عليه وآله وسـلّم الأثر في ولايتهم، كمـا دلّت آية التطهير على عصمتهـم، بعـد أن كانت الآية دليلا على وجوب عصمـة أولي الأمر لإطلاق

١- المائدة /٥٥.
٢- النساء/٥٩.

الأمر بالطاعة، كما ألمحنا إليه آنفا. و قد وردت أحاديث كثيرة مستفيضة في إرادة هذا المعنى من الآية.»[١] قد تحدث العلامة الطباطبائي بالتفصيل عن هذه الآية المباركة في "الميزان في تفسير القرآن"، ولا يرى جواز تطبيق أولي الأمر على غير أهل البيت(عليهم السّـلام) على أصول معينة وفي هذا الصدد أجاب على كثير من الشـكوك في هذا الشأن.[٢]

هـذا القبول بالولايـة، بالإضافة إلى إظهار قبول الإنسـان فعلاً للتوحيد و وصايا الله، له آثار كثيرة في حياته ويوصله إلى موضع الرضا الإلهي، وفيما يلي نذكر بعض أعمال قبول ولاية أهل البيت في حياة الطيبة.

١. القبول بولاية أهل البيت ، دخول في حصن التوحيد

تم التأكيد على الولاية كأسـاس مهم للثقافة الإسـلامية في التعاليم الدينية. معرفة الإمام ومتابعته هي الشـكل الأساسي للولاية. يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسـلم عن الاعتقاد بامامة اهل البيت(عليهم السـلام) في كل عصر و زمن: «**من مات و لم يعرف امام زمانه مات ميتةجاهلية**».[٣] بالنظر إلى محتوى هذا الحديث، لا تعني الثقافة الإسلامية أن تكون إسلاميًا بدون إمامة. تكمن أهمية مناقشـة الإمامـة والولاية وعلاقتها بالتوحيد إلى حد أنه تم تقديم الأئمة (عليه السـلام) في روايات القادة الدينيين على أنهم "أركان التوحيـد"؛ شرط دخـول حصن التوحيد الإيمـان بالإمامة والولاية (عليه السلام). بمعنى آخر لا يقبل الله إيمانه بالتوحيد من أحد إلا إذا كان مصحوبًـا بإيمـان بولاية وقيادة الأئمة (عليه السـلام)؛ أي أن شرط قبول

١- فضل الله، من وحي القرآن، ج٧، ص٣٢٤.
٢- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص٣٩٠-٤٠٨.
٣- الكافي، المجلد ١ ص ٣٧٧.

التوحيـد الإيمان بالولاية والإمامة. على هذا النحـو قبول أهل البيت(عليهِمَ السّـلام) كخلفـاء للنّبي- هو دخول حصن التوحيـد، كما قد جاء في حديث سلسـلة الذهـب: «**لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ حِصْنِي فَمَـنْ دَخَلَ حِصْنِـي أَمِنَ مِنْ عَذَابِـي**»[١] الإمـام الرضا(عليـهِ السّـلام) بعـد نقلها يتناول بتفسـيرها و شرحهـا و يقـول: «**بِشُرُوطِهَا وَ أَنَـا مِنْ شُرُوطِهَا**»[٢] الشرط الأسـاسي لدخـول حصـن التوحيد و البقـاء بأمان من معاقبة الله، هـو قبول الولاية لأهل البيت(عليهِمَ السّـلام). وبهذا التفسـير تكون ولاية الأئمة مثل الأسس التي تحافظ على بيت التوحيد والإيمان بالتوحيد، وبدون تلك الأسس ينهار الإيمـان بالتوحيد. مـن ناحية أخرى، لولا هؤلاء النبـلاء، لما تم التعبير عن وحدانيـة اللـه وتوحيده للناس ، ولما عرف الناس الله كما ينبغي.[٣] يقول الإمـام باقـر (عليـه السـلام) في هـذا الصدد: «**لقـد عُبد الله مـن خلالنا وعـرف اللـه مـن خلالنا ومن خلالنا عرفـوا الله تعالى واحـدًا**»[٤] قد ارتبـط ولايـة أهـل البيت(عليهِمَ السّـلام) بموضـوع التوحيـد. و قد اهتمّ الإمام الحسـين(عليهِ السّلام) أيضاً بهذه القضية الهامة في مختلف الحالات و أوضحهـا. إنّـه يقول حول أهمية هذه المسـئلة: «**إِنَّا أَهْـلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَ مَعْـدِنُ الرِّسَـالَةِ وَ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَ بِنَـا فَتَحَ اللَّهُ وَ بِنَا خَتَمَ اللَّهُ**»[٥] عندما تحدَّث إلى الناس عن التوحيد و كيفية معرفة الله و العبادة له فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: «يَا ابْنَ رَسُـولِ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي فَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ» و اسـتجاب

١- الشيخ صدوق، عيون اخبار الرضا (عليهِ السّلام)، ج٢، ص١٣٥.
٢- المصدر نفسه.
٣- التدبر في الزيارة جامعة الكبيرة، ص ١٦٥.
٤- الكافي، ج ١ ص ١٤٥.
٥- السيد ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، قم: نشر بلوغ، ١٣٨٢ش، ص١٠.

الإمام(عليهِ السّلام): «**مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِمَامَهُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُه**»[١] في هذا البيان يرتبط الإمام(عليهِ السّلام) معرفة الله من خلال معرفة الإمام في كل عصر، بهذا المعنى فإنّ معرفة الله الصحيحة لا تتم إلا من خلال الإمام(عليهِ السّلام). من ناحية أخرى فإنّ قبول ولاية الأئمة (عليهِمَ السّلام) بمعني الاستسلام لأمر الله و التوحيد.

قد أشار الإمام السجاد (عليه السلام) إلى أهمية قبول ولاية أهل البيت وارتباطها بالتوحيد والولاية الإلهية في مختلف المواقف. يقول في الدعاء الثامن والأربعين: «**اللَّهُمَّ وَ اجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَ الْإِيمَانِ بِكَ، وَ التَّصْدِيقِ بِرَسُولِكَ، وَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ حَتَمْتَ طَاعَتَهُمْ مِمَّنْ يَجْرِي ذَلِكَ بِهِ وَ عَلَى يَدَيْهِ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.**»[٢] النقطة الهامة في هذه العبارة، أن الإمام يسأل الله أولاً أن يجعله من أهل التوحيد والإيمان بالله؛ ثم في تكملة هذه الجملة يسأل الله الإيمان والتصديق بالنبي والأئمة (عليهم السلام) بواو العطف؛ وهذه الجملة تعني أن الإيمان بالله له ملحقاته، وهي أن يؤمن المؤمن بكل ما أمر الله بالإيمان به، ولذلك فإن الإيمان بالله ليس شيئًا أحادي البعد. يوبخ القرآن الكريم من يؤمن ببعض آيات الله ولا يؤمن ببعضها: «**أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**»[٣] (البقرة/ ٨٥) تعني هذه الآية أن الإيمان أمر شامل يشمل جميع أبعاد الحياة البشرية؛ ولهذا السبب فإن الإيمان والاعتقاد بولاية أهل البيت يعني

١- الشيخ صدوق، علل الشرايع، ج١، ص٩.
٢- الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٨.
٣- سورة البقرة / ٨٥

القبـول بولايـة اللـه، لأن المؤمن يؤمن بمن أمر اللـه بالإيمان بهم والطاعة لهـم، فقد دلت عـدة آيات في القرآن الكريم على هـذا المفهوم، منها:

«يـا أَيُّهَـا الَّذيـنَ آمَنُوا أَطيعُـوا اللَّهَ وَ أَطيعُـوا الرَّسُـولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُـمْ فَـإِنْ تَنازَعْتُـمْ فِي شَيْءٍ فَـرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَ الرَّسُـولِ إِنْ كُنْتُـمْ تُؤْمِنُـونَ بِاللَّـهِ وَ الْيَـوْمِ الْآخِرِ ذلِـكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَـنُ تَأْوِيلاً»[١] .

«يَسْـئَلُونَكَ عَـنِ الْأَنْفـالِ قُـلِ الْأَنْفـالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُـولِ فَاتَّقُـوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُـوا ذاتَ بَيْنِكُـمْ وَ أَطيعُـوا اللَّهَ وَ رَسُـولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ»[٢] .

«وَ أَطيعُـوا اللَّـهَ وَ أَطيعُوا الرَّسُـولَ فَـإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّما عَلى رَسُـولِنَا الْبَلاغُ الْمُبينُ»[٣].

اَلآياتُ الّتي تَعبُرُ عَن طاعَةِ النّبي طاعةً لِلّه:

«مَـنْ يُطِعِ الرَّسُـولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّـهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَـلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفيظاً»[٤].

آياتٌ كَثيرةٌ تَعبُرُ عَن أَجرٍ كَثيرٍ لطاعةِ الرَّسول:

«وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظيماً» (الاحزاب/٧١)

«وَ مَـنْ يُطِـعِ اللَّـهَ وَ رَسُـولَهُ وَ يَخْـشَ اللَّـهَ وَ يَتَّقْـهِ فَأُولئِـكَ هُـمُ الْفائِـزُونَ»[٥].

اَلآياتُ الَّتي تَعدَّدَ العُقوباتِ الإلهيةَ الشَّديدةَ للعُصيانِ على النَّبي:

«وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُـولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ

١- سورة النساء /٥٩

٢- سورة الانفال /١

٣- سورة التغابن /١٢

٤- سورة النساء /٨٠

٥- سورة النور /٢٥

لَهُـمُ الْخِـيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُـولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً»[١] (الاحزاب/٣٦)

«وَ مَـنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُـولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُـدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فيها وَ لَهُ عَذابٌ مُهينٌ»[٢] (النساء/١٤)

«يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذينَ كَفَرُوا وَ عَصَوُا الرَّسُـولَ لَوْ تُسَـوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَديثاً»[٣] (النساء/٤٢)

الآياتُ الَّتي تَنُصُّ عَلَى شَرطِ الحُبِّ الحَقيقي لِلّهِ هِيَ طاعَةُ الرَّسول:

«قُـلْ إِنْ كُنْتُـمْ تُحِبُّـونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونـي يُحْبِبْكُـمُ اللَّـهُ وَ يَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُـمْ وَ اللَّـهُ غَفُـورٌ رَحيـمٌ»[٤] (آل عمران/٣١)

آياتٌ تَدعُو إِلَى الإيمانِ بِالنَّبي مَعَ الإيمانِ بِاللهِ:

«يـا أَيُّهَـا الَّذينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُـولِهِ وَ الْكِتـابِ الَّذي نَزَّلَ عَلى رَسُـولِه»[٥] (النسـاء/١٣٦)

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُـولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِـمْ وَ أَنْفُسِـهِمْ فِي سَـبيلِ اللَّـهِ أُولئِـكَ هُـمُ الصَّادِقُـونَ»[٦] (الحجرات/١٥)

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُـولِهِ وَ إِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْـتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذينَ يَسْـتَأْذِنُونَكَ أُولئِكَ الَّذينَ

١- سورة الاحزاب /٢٦
٢- سورة النساء /١٤
٣- سورة النساء /٤٢
٤- سورة آل عمران /٣١
٥- سورة النساء /١٣٦
٦- سورة الحجرات /١٥

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِه»[1].

لذلـك فإن أول وأهم ثمرة الإيمان بإمامة وولاية أهل البيت هو الدخول إلى حصن التوحيد المنيع والرفيع.

٢.الفهم الصحيح لتعاليم الدين وأحكامه

مـن الآثـار الأخرى للإيمـان بولاية أهـل البيت، حصول النـاس على الفهم الصحيح لتعاليم وأحكام الدين الإلهي؛ بمعنى أنه يتصرف في أمور العقائد والأحـكام والقضايـا الدينيـة والأخلاقية بمـا يرضي الله. يعنـي في الأمور الدينية كالصلاة والصيام والحج والزكاة والخمس؛ وفي المسائل الاعتقادية كالإيمـان بالله، والإيمـان بالأنبياء، والإيمان بالآخـرة؛ وفي الفهم الصحيح للآيـات القرآنية، بما في ذلك الآيات المتشـابهة لهـا، يمكن الإيمان بالطريقة التـي يريدهـا الله. إن أداء الإنسـان للعبادة على الوجه الـذي يرضي الله لا يكـون إلا عـن طريـق أولياء الله الصالحـين؛ الذين هم أهـل العلم والعامل بتعاليم القرآن والدين الإلهي. ولو أن القرآن وحده أنار طريق الهدى ولم تكـن هنـاك حاجة إلى إمـام وحجة من الله، لما طلب اللـه من النبي أن يبين للناس تعاليم القرآن وأحكامه كما يقول: «**بالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْـرَ لِتُبَـيِّنَ لِلنَّـاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِـمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّـرُون**»[2] ،إن وجود النبـي وآل بيتـه عامل في تعزيز تعاليـم القرآن الصحيحـة والدين الإلهي، ويقومون بتفسير وتبيين آيات القرآن بالطريقة التي أرادها الله؛ لأنهم نالوا علمهـم من الله، وهم مؤيدون من الله، وقد تطهروا من كل دنس ورجس. اختار الله أهل البيت (عَليهِمَ السَّلام) لتفسير ما نزل على الأنبياء السابقين،

١- سورة النور /٦٢

٢- سورة النحل /٤٤

وكذلك تفسير القرآن والأحاديث القدسية وإظهار بداعتها وأناقتها. لأن الإمام(عَليهِ السَّلام) وحده يعرف كل مستويات الوحي الإلهي ولا يفهمه الآخرون[١]. لذلك فإن علماء القرآن الحقيقيين والذين لديهم معرفة بكل مفاهيم الكتاب المقدس، هم أهل البيت(عَليهِمَ السَّلام). كما يقول الإمام باقر(عَليهِ السَّلام) في هذا السياق: «**نحنُ تراجمةَ وحي الله**» [٢]. قال الإمام الكاظم (عَليهِ السَّلام): «**نَحْنُ مِفْتَاحُ الْكِتَابِ بِنَا نَطَقَ الْعُلَمَاءُ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَخَرِسُوا**».[٣] للقرآن ظاهر و باطن، محكم ومتشابه، تنزيل وتأويل ونحو ذلك، والمعرفة المطلقة لهذه الأمور لا تكون إلا في حيازة المعصومين(عَليهِمَ السَّلام). هم الذين يعبرون عن التفسير الصحيح للقرآن. يشمل تفسير أهل البيت(عَليهِمَ السَّلام) من القرآن كل تعاليم التنزيل والتفسير، وظاهر القرآن وباطنه، ولا يقترن بالتزلزل والشك، ولا يرتبط بالوهم والخطأ و الهوي. يمكن إثبات هذا النوع من تفسير آل البيت(عَليهِمَ السَّلام) بمصادر ووثائق الفريقين. وهذا القول مبني على الأدلة القرآنية والسردية.[٤] عن هذا يقول الإمام باقر(عَليهِ السَّلام): «**نَحْنُ خُزَّانُ عِلْمِ اللَّهِ وَنَحْنُ تَرَاجِمَةُ وَحْيِ اللَّهِ وَنَحْنُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى مَنْ دُونَ السَّمَاءِ وَمَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ**».[٥] كما يقول: «**مَا ادَّعَى أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ جَمَعَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ كَمَا أُنْزِلَ إِلَّا كَذَّابٌ وَمَا جَمَعَهُ وَ حَفِظَهُ كَمَا نَزَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ(عَليهِ السَّلام) وَالْأَئِمَّةُ مِنْ**

١. ري شهري، شرح زيارة الجامعة الكبيرة، ص ٣٥٧-٣٥٦.
٢. الكليني، الكافي، ج١، ص١٩٢.
٣. المجلسي، بحارالأنوار، ج٢٦، ص٢٥٧.
٤. انظر: دراسة المدارس التفسيرية، د. فتح الله نجارزادكان، (٥١-٦٨) انظر أيضًا: مشابهة القرآن وأهل البيت، آية الله جوادي الآملي، ص ٢٣٣ – ٢٥١.
٥. الكليني، الكافي، ج١، ص ١٩٢.

بَعْدِهِ »[1] والسبب في ذلك اشتراك أهل البيت(عَليهِمَ السَّلام) مع القرآن وعدم انفصالهما عن بعضهما البعض وعدم هذا الافتراق بين القرآن وأهل البيت وملازمتهما مذكور في حديث المتواتر[2] الثقلين. عن هذا، يقول الرسول الكريم(صَلواتُ الله عليهِ و آله): «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا- كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ كَهَاتَيْنِ وَجَمَعَ بَيْنَ مُسَبِّحَتَيْهِ وَ لَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ وَجَمَعَ بَيْنَ الْمُسَبِّحَةِ وَ الْوُسْطَى فَتَسْبِقَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى فَتَمَسَّكُوا بِهِمَا لَا تَزِلُّوا وَلَا تَضِلُّوا وَلَا تَقَدَّمُوهُمْ فَتَضِلُّوا**».[3] يقول الإمام علي(عَليهِ السَّلام) عن ملازمة القرآن وأهل البيت(عَليهِمَ السَّلام): «**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى طَهَّرَنَا وَعَصَمَنَا وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَّتَهُ فِي أَرْضِهِ وَجَعَلَنَا مَعَ الْقُرْآنِ- وَ جَعَلَ الْقُرْآنَ مَعَنَا لَا نُفَارِقُهُ وَ لَا يُفَارِقُنَا**».[4] يقول الرسول الكريم(صَلواتُ الله عليهِ و آله) عن أهل البيت: «**القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ الحوض**».[5] كل هذه الحالات تدل على أن القرآن معهم وهم مع القرآن، فهما متلازمان ولا ينفصلان، هم ناطق بالقرآن والمفسرون الحقيقيون

---

١. المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٨.

٢. يشير حديث المتواتر إلى حديث تعدد رواه لدرجة أنه يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب ويجب أن تستمر هذه الميزة في جميع الفئات. (النفيسي، دراية الحديث، ٧١).

٣. الكليني، الكافي، ج٢، ص٤١٥ ؛ المجلسي، بحارالأنوار: ج٢٣، ص ١٠٦؛ أحمد بن حنبل، المسند: ٣/ ١٤؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص ٦٢٢؛ حاكم النيشابوري، مستدرک علي الصحيحين، ج٣، ص ١١٠-١٠٩.

٤. الكليني، الكافي، ج١، ص ١٩١.

٥. حمويي، فرائد السمطين، ج١، ص ٣١٤.

للقـرآن. كان الرسـول الكريم(صَلـواتُ الله عليهِ و آلـه) أول معلم ومفسر للقـرآن، وكان مسـؤولاً عـن شرح آيـات القـرآن والفرائـض الدينية. قال اللـه تعـالى في القـرآن: «**وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْـرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُـزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُـمْ يَتَفَكَّـرُونَ**»[١] ؛ «**وَما أَنْزَلْنا عَلَيْـكَ الْكِتابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُـوا فيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**»[٢] ،وقد كان الأئمة(عَليهِمَ السَّـلام) بعد الرسـول الكريم وخلفاؤه مسـئولين عن هذا الواجب وقاموا به على الوجه الصحيح. يقول الإمام علي(عَليهِ السَّـلام): «**أنا والله الإمام المبـين، ابين الحق من الباطل. ورثته من رسـول الله**».[٣] يقول الإمام الصادق(عَليـه السَّـلام) في هذا الصدد: «**مَا زَالَـتِ الْأَرْضُ إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهَا الْحُجَّـةُ يُعَرِّفُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى سَـبِيلِ اللَّهِ**».[٤] لذلك فـإن مكانـة الأئمة في تشريع وتفسـير أحكام الله وفرائضـه تحدد من هذا المقطع حفاظاً على الدين.

قد أشار الإمام السجاد (عليه السلام) إلى هذا الموقف من أهل البيت (عليهم السـلام) وهم خلفاؤه الشرعيين في مقاطع كثيرة من صحيفته السـجادية وادعيتـه؛ وأنهم هـم الذين يفسرون ويشرحون التعاليـم الإلهية بالطريقة التي ترضي الله؛ يعتبر الإمام السـجاد أن الأئمة هم حاملي القرآن وتعاليمه و يقـول: «**اللَّهُـمَّ إِنَّـكَ أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ- صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ- مُجْمَـلاً، وَ أَلْهَمْتَـهُ عِلْـمَ عَجَائِبِهِ مُكَمَّـلاً، وَ وَرَّثْتَنَا عِلْمَـهُ مُفَسَّراً، وَ فَضَّلْتَنَـا عَـلَى مَنْ جَهِلَ عِلْمَـهُ، وَ قَوَّيْتَنَـا عَلَيْهِ لِتَرْفَعَنَا فَـوْقَ مَنْ لَمْ**

١- سورة النحل /٤٤
٢- سورة النحل/٦٤
٣. المجلسي، بحارالأنوار، ج٣٥، ٤٢٧.
٤- الكليني، الكافي ج١، ص١٧٨.

يُطِـقْ حَمْلَهُ. اللَّهُمَّ فَكَمَا جَعَلْـتَ قُلُوبَنَا لَهُ حَمَلَةً، وَ عَرَّفْتَنَا بِرَحْمَتِكَ شَرَفَـهُ وَ فَضْلَـهُ، فَصَـلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ الْخَطِيبِ بِهِ، وَ عَلَى آلِـهِ الْخُزَّانِ لَـهُ، وَ اجْعَلْنَـا مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّى لَا يُعَارِضَنَا الشَّـكُّ فِي تَصْدِيقِـهِ، وَ لَا يَخْتَلِجَنَـا الزَّيْغُ عَـنْ قَصْدِ طَرِيقِهِ.»[1]

إن عبـارة «**وَ عَـلَى آلِـهِ الْخُزَّانِ لَـهُ**» تفيد أن الأئمة (عليهم السـلام) هم خزائن تعاليم القرآن. قد أعطيهم تفسير القرآن، ولهذا ينبغي الرجوع إليهم في الفهم الصحيح لتعاليم الدين. لذلك فإن الإيمان بأهل البيت واتباعهم هو فهـم صحيح لتعاليم الدين التي عبروا عنها لطالبي الكمال والنعيم الإلهي. مـن ناحية أخرى فإن عدم الإيمـان بولاية أهل البيت وعدم اتباعهم يصبح عاملاً في الضلال ويؤدي إلى ممارسـة المعارف التي شـوهت وغيرها أعداء الديـن. يشـير الإمام السـجاد إلى هذه الكارثة والضرر الموجـود في التعاليم الدينيـة ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْمَقَـامَ لِخُلَفَائِكَ وَ أَصْفِيَائِكَ وَ مَوَاضِعَ أُمَنَائِـكَ فِي الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَـةِ الَّتِي اخْتَصَصْتَهُمْ بِهَا قَدِ ابْتَزُّوهَا، وَ أَنْتَ الْمُقَـدِّرُ لِذَلِـكَ، لَا يُغَالَـبُ أَمْـرُكَ، وَ لَا يُجَاوَزُ الْمَحْتُومُ مِـنْ تَدْبِيرِكَكَيْفَ شِـئْتَ وَ أَنَّـى شِـئْتَ، وَ لِمَـا أَنْـتَ أَعْلَمُ بِهِ غَـيْرٌ مُتَّهَمٍ عَـلَى خَلْقِكَ وَ لَا لِإِرَادَتِـكَ حَتَّـى عَادَ صِفْوَتُكَ وَ خُلَفَاؤُكَ مَغْلُوبِـينَ مَقْهُورِينَ مُبْتَزِّينَ، يَـرَوْنَ حُكْمَكَ مُبَدَّلًا، وَ كِتَابَكَ مَنْبُوذاً، وَ فَرَائِضَكَ مُحَرَّفَةً عَنْ جِهَاتِ أَشْرَاعِكَ، وَ سُـنَنَ نَبِيِّـكَ مَتْرُوكَةً. اللَّهُمَّ الْعَنْ أَعْدَاءَهُـمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ، وَ مَنْ رَضِيَ بِفِعَالِهِمْ وَ أَشْـيَاعَهُمْ وَ أَتْبَاعَهُمْ.»**[2]

لذلك فإن من أهم ثمرات الإيمان بولاية الأئمة بعد الرسول الكريم وطاعتهم

١- الصحيفة السجادية: الدعاء ٤٢.

٢- الصحيفة السجادية: الدعاء ٤٨.

هو التمسك بالدين الحق والوصول إلى التعاليم والأحكام التي ترضي الله..

٣.الوصول إلى رضوان الله و رضاه

إن قبول ولاية أهل البيت وطاعتهم يعني السير على صراط الله المستقيم والمشي في طريق الله المستقيم لا يأتي بنتيجة إلا رضا الله. لذلك فإن الإنسان بالإيمان بولاية أهل البيت وطاعتهم يكون قد خطى خطوة في ما يرضاه الله. إن الإمام السجاد (عليه السلام) يصف أهل بيت النبي بأنهم وسيلة لنيل رضوان الله، فيقول: «**اللَّهُمَّ وَ كَمَا نَصَبْتَ بِهِ مُحَمَّداً عَلَماً لِلدَّلَالَةِ عَلَيْكَ، وَ أَنْهَجْتَ بِآلِهِ سُبُلَ الرِّضَا إِلَيْكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اجْعَلِ الْقُرْآنَ وَسِيلَةً لَنَا إِلَى أَشْرَفِ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ، وَ سُلَّماً نَعْرُجُ فِيهِ إِلَى مَحَلِّ السَّلَامَةِ، وَ سَبَباً نُجْزَى بِهِ النَّجَاةَ فِي عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ، وَ ذَرِيعَةً نَقْدَمُ بِهَا عَلَى نَعِيمِ دَارِ الْمُقَامَةِ.**»[١]

إن عبارة «**وَ أَنْهَجْتَ بِآلِهِ سُبُلَ الرِّضَا إِلَيْكَ**» تعني أن الله جعل الإيمان بولاية أهل البيت وطاعتهم سبيلاً لنيل رضاه؛ لأنه كما قيل إن الإنسان بطاعة أهل البيت في الواقع إنه يتبع تلك التعاليم التي يرضي الله بها.

ويقول هذا في مكان آخر: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ، وَ مَنَاراً فِي بِلَادِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَ جَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَ افْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَ حَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَ أَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَ الِانْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَ أَلَّا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَ لَا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ فَهُوَ عِصْمَةُ اللَّائِذِينَ، وَ كَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ وَ عُرْوَةُ**

١- المصدر نفسه: الدعاء ٤٢.

الْمُتَمَسِّكِينَ، وَ بَهَاءُ الْعَالَمِينَ.»[١]

بهـذه العبارة يعبر الإمام السـجاد (عليه السـلام) حبل أهـل البيت المتصل بالحبـل الإلهي، بمعنى أن الإيمان بهم هو في الحقيقة استسـلام لله، ولهذا يقـول أيضـاً في القـرآن الكريـم: «**وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْـلِ اللَّـهِ جَميعاً وَ لا تَفَرَّقُـوا وَ اذْكُـرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَـفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون**» [٢] وأما عن معني "حبل الله" في هذه الآية فقد وردت عدة أمثلة، كلها بالطبع تعود إلى حقيقة واحدة وفي بعض الأحاديث تفسـير "حبل الله" لأهل البيت(عليهم السّلام) [٣] وفي بعض الأحاديث تم تفسيره بالقرآن.[٤] لكن في الحقيقة هما مثال ومصداق واحد؛ فإذا تم تفسـير القرآن وتبيينه بشـكل صحيح، سيتحدد موقف أهل البيت(عليهم السّـلام) وسـيعرف النـاس قادتهم الحقيقيـين ويطيعونهم، وهذا سـيمنع أي خلافات و إذا رجع الناس إلى أهل البيت(عليهم السّـلام) وقبلـوا بإمامتهـم، فإن أهـل البيت(عليهم السّـلام) في هذه الحالة سـوف يفـسرون القـرآن كما أراده تعالى، ويقود الإنسـان إلى مقصده. ولهذا فمن خـلال ملاحظة اختـلاف الآراء واختلاف المذاهب ووجـود أديان ومدارس مختلفـة في الرجـوع إلى القرآن بعد وفاة الرسـول الكريـم، توصلنا إلى أن كل مدرسـة ودين اعتـبرت نفسـها على حـق في رجوعه إلى القـرآن فأنكر الآخـر، وهـذا يدل عـلى أن معني "حبل الله" لم يتحقـق في هذا الصدد؛ لأن

١- الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٧.
٢- آل عمران/١٠٣.
٣- العياشي، تفسير العياشي، ج١، ص١٩٤.
٤- الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص٥٤٥.

الاعتصام بحبل الله لا يسبب الفرقة وهذا يدل على أن القرآن له ثقل، وأن ثقله أهل البيت(عليهم السّلام) الذين يستطيعون تفسير القرآن على الوجه الذي أراده الله والنتيجة هي أنه لن تكون هناك خلافات بين الناس، وفي ظل قيادة أهل البيت(عليهم السّلام) موحدين ومتحدين وبمدرسة واحدة ومهنة واحدة سوف يسيرون على الطريق الصحيح. لذلك فإن اتباع أهل البيت والإيمان بهم عامل من عوامل الوصول إلى رضوان الله و رضاه وهذه نعمة تأتي للأشخاص الذين يؤمنون بآل النبي بإخلاص ويتبعون طريقهم ونهجهم.

٤.تهذيب النفس والوصول إلى درجات الكمال

يصبح الإيمان بولاية أهل البيت وطاعتهم عاملاً يضع الإنسان على طريق الارتقاء بالذات ونمو كماله وسعادته. فهو يتعلم طريق الوصول إلى الله من خلال الاقتداء بمن هم قدوة للوصول إلى الله ويعيش بالضبط بالطريقة التي ترضي الله. قد جعل الله النبي قدوة ومثالا لمن يرجو لقاء الله ويوم القيامة، وقد قال القرآن الكريم عن ذلك: «**لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرا**» (الاحزاب/٢١) أي قدوة حسنة في ما يأخذ به أو يدعه من الأفعال و المواقف، لأنه الإنسان الذي تتمثل فيه الصفات المثلى للكمال الإنساني، فقد ربّاه اللّه التربية الفضلى و أدبه الأدب العظيم، و صاغ شخصيته أفضل صياغة. و بهذا كان التجسيد الحي للإسلام في كل ملامح ذاته في الجانب الداخلي منها، في ما يحمله في فكره و قلبه و شعوره من طهر الفكرة، و نقاء القلب، و صدق الشعور، و إخلاص النيّة، و في الجانب الخارجي منها، من الإخلاص للّه و العمل بطاعته، و الجهاد في سبيله، و الإحسان إلى الناس، و

الصدق في الدعوة، و الصبر على آلامها، و الانفتاح على الحياة كلها من موقع الرسالة الباحثة عن الخير في كل صعيد، و عن الحق في كل أفق، و عن العدل في كل مجتمع، لتؤكد القيم الأخلاقية الإنسانية الروحية من خلال المعاناة، و ليكون رضاه في ما يرضاه اللّه، و سخطه في ما لا يرضيه، مما جعل عمله سنّة و شريعة، كما كان قوله مصدرا لذلك.و هذا هو الذي خاطب اللّه به المسلمين الذين كانوا معه، ليعتبروه أساسا لسلوكهم الإيماني و خطهم الإسلامي، بأن يتطلعوا إليه ليرصدوه في كل عمله، لتكون صورتهم صورته، يتأسّون به، و يقتدون به في مواقفه و سجاياه.و تلك هي ميزة الرسل في شخصيتهم النبويّة، أنهم لا يمثلون الرسالة في الكلمة فقط، بل يجسّدونها في الموقف، فيرى الناس صورة القيمة الإسلامية في الواقع، كما يسمعونها في الكلمة. و قد كان رسول اللّه إسلاما يتحرك علىالأرض، فيفهمون الدعوة في سلوكه بعد أن يسمعوها من قوله، مما يوحي لهم بأنها ليست فكرا مثاليا يعيش في عالم المثال و في آفاق الخيال، بل هي فكر متجسّد في الواقع العملي من شخصية الداعية.[1]

لذلك فإن هذه الآية المباركة تنص على أن من يقبل النبي وولايته سيوضع على طريق يؤدي بطاعة النبي إلى لقاء الله، وهو أعلى درجات السعادة والرخاء. كذلك الأمر بالنسبة لأهل البيت وهم خلفاء النبي ومن اتخذ أهل البيت قدوة لنفسه عليه أن يعيش مثلهم في كل جوانب حياته. في كثير من الأحيان يصف الإمام السجاد صفات الأشخاص الذين يؤمنون بولاية أهل البيت ومن يتبعهم على هذا النحو: «**اللَّهُمَّ وَ صَلِّ عَلَى أَوْلِيَائِهِمُ الْمُعْتَرِفِينَ بِمَقَامِهِمُ، الْمُتَّبِعِينَ مَنْهَجَهُمُ، الْمُقْتَفِينَ آثَارَهُمُ، الْمُسْتَمْسِكِينَ**

١- فضل الله، من وحى القرآن، ج١٨، ص:٢٨٣- ٢٨٤.

بِعُرْوَتِهِمُ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِوِلَايَتِهِمُ، الْمُؤْتَمِّينَ بِإِمَامَتِهِمُ، الْمُسَلِّمِينَ لِأَمْرِهِمُ، الْمُجْتَهِدِينَ فِي طَاعَتِهِمُ، الْمُنْتَظِرِينَ أَيَّامَهُمُ، الْمَادِّينَ إِلَيْهِمْ أَعْيُنَهُمُ، الصَّلَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ الزَّاكِيَاتِ النَّامِيَاتِ الْغَادِيَاتِ الرَّائِحَاتِ. وَ سَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ، وَ اجْمَعْ عَلَى التَّقْوَى أَمْرَهُمْ، وَ أَصْلِحْ لَهُمْ شُئُونَهُمْ، وَ تُبْ عَلَيْهِمْ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ، وَ اجْعَلْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلَامِ بِرَحْمَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.»[1]

في هذه العبارات يوضح الإمام السجاد (عليه السلام) فعلياً واجبات الأشخاص الذين يؤمنون بولاية أهل البيت، والذين يجب عليهم أن يعيشوا في ضوء التقوى الإلهية ويديروا شؤونهم بما يليق بأهل البيت، كما أشار الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً إلى هذه المهمة فيقول: «**مَعَاشِرَ الشِّيعَةِ كُونُوا لَنَا زَيْناً وَ لَا تَكُونُوا عَلَيْنَا شَيْناً قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً احْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ وَ كُفُّوهَا عَنِ الْفُضُولِ وَ قَبِيحِ الْقَوْلِ**»[2] ولذلك فإن الإيمان بولاية أهل البيت وطاعتهم يصبح عاملاً يجعلهم الإنسان قدوة لنفسه ويتبع أسلوب حياتهم، ليصل إلى أعلى درجات الكمال والعلم.

جزء من دعاء يوم عرفة حول معرفة الائمة عليهم السلام

«رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، الْمُنْتَجَبِ الْمُصْطَفَى الْمُكَرَّمِ الْمُقَرَّبِ، أَفْضَلَ صَلَوَاتِكَ، وَ بَارِكْ عَلَيْهِ أَتَمَّ بَرَكَاتِكَ، وَ تَرَحَّمْ عَلَيْهِ أَمْتَعَ رَحَمَاتِكَ. (٥١) رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، صَلَاةً زَاكِيَةً لَا تَكُونُ صَلَاةٌ أَزْكَى

١- الصحيفة السجادية: الدعاء ٤٧.

٢- الصدوق، الامالي، ص٤٠٠.

مِنْهَـا، وَ صَـلِّ عَلَيْهِ صَـلَاةً نَامِيَةً لَا تَكُونُ صَلَاةٌ أَنْمَـى مِنْهَا، وَ صَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً رَاضِيَةً لَا تَكُونُ صَلَاةٌ فَوْقَهَا. (٥٢) رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِـهِ، صَـلَاةً تُرْضِيهِ وَ تَزِيدُ عَلَى رِضَـاهُ، وَ صَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً تُرْضِيكَ و تَزِيـدُ عَـلَى رِضَـاكَ لَهُ وَ صَـلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً لَا تَرْضَى لَـهُ إِلَّا بِهَا، وَ لَا تَـرَى غَيْرَهُ لَهَـا أَهْلًا. (٥٣) رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِهِ صَلَاةً تُجَاوِزُ رِضْوَانَـكَ، وَ يَتَّصِـلُ اتِّصَالُهَا بِبَقَائِكَ، وَ لَا يَنْفَـدُ كَمَا لَا تَنْفَدُ كَلِمَاتُكَ. (٥٤) رَبِّ صَـلِّ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِهِ، صَلَاةً تَنْتَظِمُ صَلَـوَاتِ مَلَائِكَتِكَ وَ أَنْبِيَائِكَ وَ رُسُلِكَ وَ أَهْلِ طَاعَتِكَ، وَ تَشْتَمِلُ عَلَى صَلَوَاتِ عِبَادِكَ مِنْ جِنِّكَ وَ إِنْسِكَ وَ أَهْلِ إِجَابَتِكَ، وَ تَجْتَمِعُ عَلَى صَلَاةِ كُلِّ مَنْ ذَرَأْتَ وَ بَرَأْتَ مِنْ أَصْنَـافِ خَلْقِـكَ. (٥٥) رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، صَـلَاةً تُحِيطُ بِكُلِّ صَلَاةٍ سَـالِفَةٍ وَ مُسْـتَأْنَفَةٍ، وَ صَلِّ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ، صَلَاةً مَرْضِيَّةً لَكَ وَ لِمَنْ دُونَكَ، وَ تُنْشِئُ مَعَ ذَلِكَ صَلَوَاتٍ تُضَاعِفُ مَعَهَا تِلْكَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَهَا، وَ تَزِيدُهَـا عَـلَى كُرُورِ الْأَيَّامِ زِيَادَةً فِي تَضَاعِيفَ لَا يَعُدُّهَا غَيْرُكَ. (٥٦) رَبِّ صَـلِّ عَـلَى أَطَايِبِ أَهْـلِ بَيْتِهِ الَّذِيـنَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْـرِكَ، وَ جَعَلْتَهُمْ خَزَنَـةَ عِلْمِـكَ، وَ حَفَظَةَ دِينِـكَ، وَ خُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِـكَ، وَ حُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَ طَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ وَ الدَّنَسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ، وَ جَعَلْتَهُمُ الْوَسِـيلَةَ إِلَيْـكَ، وَ الْمَسْـلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ (٥٧) رَبِّ صَلِّ عَـلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، صَلَاةً تُجْزِلُ لَهُمْ بِهَا مِنْ نِحَلِكَ وَ كَرَامَتِكَ، وَ تُكْمِلُ لَهُمُ الْأَشْـيَاءَ مِنْ عَطَايَاكَ وَ نَوَافِلِكَ، وَ تُوَفِّرُ عَلَيْهِمُ الْحَظَّ مِنْ عَوَائِدِكَ وَ فَوَائِدِكَ. (٥٨) رَبِّ صَـلِّ عَلَيْـهِ وَ عَلَيْهِـمْ صَـلَاةً لَا أَمَـدَ فِي أَوَّلِهَا، وَ لَا غَايَـةَ لِأَمَدِهَا، وَ لَا نِهَايَـةَ لِآخِرِهَـا.(٥٩) رَبِّ صَـلِّ عَلَيْهِـمْ زِنَةَ عَرْشِـكَ وَ مَا دُونَهُ، وَ مِـلْءَ سَـمَاوَاتِكَ وَ مَـا فَوْقَهُنَّ، وَ عَـدَدَ أَرَضِيكَ وَ مَـا تَحْتَهُنَّ وَ مَا

بَيْنَهُنَّ، صَلَاةً تُقَرِّبُهُمْ مِنْكَ زُلْفَى، وَ تَكُونُ لَكَ وَ لَهُمْ رِضًى، وَ مُتَّصِلَةً بِنَظَائِرِهِنَّ أَبَداً.(٦٠) اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ، وَ مَنَاراً فِي بِلَادِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَ جَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَ افْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَ حَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَ أَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَ الِانْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَ أَلَّا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَ لَا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ فَهُوَ عِصْمَةُ اللَّائِذِينَ، وَ كَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ وَ عُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَ بَهَاءُ الْعَالَمِينَ. (٦١) اللَّهُمَّ فَأَوْزِعْ لِوَلِيِّكَ شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ، وَ أَوْزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ، وَ آتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً، وَ افْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً، وَ أَعِنْهُ بِرُكْنِكَ الْأَعَزِّ، وَ اشْدُدْ أَزْرَهُ، وَ قَوِّ عَضُدَهُ، وَ رَاعِهِ بِعَيْنِكَ، وَ احْمِهِ بِحِفْظِكَ وَ انْصُرْهُ بِمَلَائِكَتِكَ، وَ امْدُدْهُ بِجُنْدِكَ الْأَغْلَبِ. (٦٢) وَ أَقِمْ بِهِ كِتَابَكَ وَ حُدُودَكَ وَ شَرَائِعَكَ وَ سُنَنَ رَسُولِكَ،- صَلَوَاتُكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَ آلِهِ-، وَ أَحْيِ بِهِ مَا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ، وَ اجْلُ بِهِ صَدَاءَ الْجَوْرِ عَنْ طَرِيقَتِكَ، وَ أَبِنْ بِهِ الضَّرَّاءَ مِنْ سَبِيلِكَ، وَ أَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ، وَ امْحَقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عِوَجاً (٦٣) وَ أَلِنْ جَانِبَهُ لِأَوْلِيَائِكَ، وَ ابْسُطْ يَدَهُ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَ هَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ، وَ رَحْمَتَهُ وَ تَعَطُّفَهُ وَ تَحَنُّنَهُ، وَ اجْعَلْنَا لَهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وَ فِي رِضَاهُ سَاعِينَ، وَ إِلَى نُصْرَتِهِ وَ الْمُدَافَعَةِ عَنْهُ مُكْنِفِينَ، وَ إِلَيْكَ وَ إِلَى رَسُولِكَ- صَلَوَاتُكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَ آلِهِ- بِذَلِكَ مُتَقَرِّبِينَ. (٦٤) اللَّهُمَّ وَ صَلِّ عَلَى أَوْلِيَائِهِمُ الْمُعْتَرِفِينَ بِمَقَامِهِمُ، الْمُتَّبِعِينَ مَنْهَجَهُمُ، الْمُقْتَفِينَ آثَارَهُمُ، الْمُسْتَمْسِكِينَ بِعُرْوَتِهِمُ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِوَلَايَتِهِمُ، الْمُؤْتَمِّينَ بِإِمَامَتِهِمُ، الْمُسَلِّمِينَ لِأَمْرِهِمُ، الْمُجْتَهِدِينَ فِي طَاعَتِهِمُ، الْمُنْتَظِرِينَ أَيَّامَهُمُ، الْمَادِّينَ إِلَيْهِمْ أَعْيُنَهُمُ، الصَّلَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ الزَّاكِيَاتِ

النَّامِيَـاتِ الْغَادِيَاتِ الرَّائِحَاتِ. (٦٥) وَ سَـلِّمْ عَلَيْهِمْ وَ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ، وَ اجْمَـعْ عَـلَى التَّقْوَى أَمْرَهُمْ، وَ أَصْلِحْ لَهُمْ شُـئُونَهُمْ، وَ تُبْ عَلَيْهِمْ، إِنَّـكَ أَنْـتَ التَّوَّابُ الرَّحِيـمُ، وَ خَيْرُ الْغَافِرِيـنَ، وَ اجْعَلْنَـا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلَامِ بِرَحْمَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.»

الفصل الرابع: الإيمان بالآخرة ونتائجه في الحياة الطيبة

اهمية الايمان بالآخرة في الصحيفة السجادية

في الآيات الأولى من سورة البقرة، فإن من أبرز صفات المتقين الذين هم المثال الأبرز لمن كانت حياتهم حياة إسلامية نموذجية، هو الإيمان باليوم الآخر يقينًا: «**وَ الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُون**» (البقرة/ ٤) ذكر القيامة والإيمان بها من عوامل تقوى الإنسان لأن من يؤمن بالمعاد ولا ينسى ذلك يكون تقياً، ويضع كل تصرفاته وسلوكياته تحت رعاية خاصة، ويبذل قصارى جهده لجعلها مبنية على رضا الله، وألا يكون في مدار الشهوات والأهواء الباطلة والرغبات الشريرة.[١] من ناحية أخرى فإن الإيمان بالبعث يزيل الآثار السيئة مثل المادية وفكرة الموت والعدم والعقد العقلية واضطرابات تقدير الذات، و يلعب دورا أساسيا في الوقاية من حدوث الأمراض النفسية. إن الإيمان بوجود حياة بعد الموت، يلعب دوراً هاماً في التعامل مع الشدائد الناجمة عن الموت والفجيعة؛ بحيث يجد الإنسان نفسه في ضوء نور الله ويأمل في عدل الله وفضله. ولذلك فإن الإيمان بالبعث بالإضافة إلى كونه أساس المعتقدات، يرسم ويوجه أسلوب الحياة ويرشد الإنسان إلى الحياة الطيبة.

قد ذكر الإمام السجاد (عليه السلام) باب الآخرة والقيامة في كثير من الأدعية. تشير أدعية الإمام السجاد إلى أن الآخرة أمر مؤكد لا ريب فيه، وأنه ينبغي للمؤمن أن ينظم حياته الدنيوية على أساس الوصول إلى الحياة

١. جوادى الآملي، عبدالله، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، قم: مركز نشر اسراء، ١٣٨٦ش، ج٤، ص٢٢.

الأبديــة في الآخــرة. يذكر الإمام في مواقف مختلفــة مكان الآخرة ومصاعب يوم القيامة، مما يؤكد على أهمية الاستعداد لذلك اليوم. لقد تم التعبير عن الإيمــان بالآخــرة وتنظيم الحياة بناءً عليها بطــرق مختلفة في ادعية الإمام الســجاد العديدة. إن الإمام الســجاد في شرح يوم القيامة والآخرة يســمي اللــه رحمــان الدنيا والآخرة ويقول :« **يَا فَارِجَ الْهَمِّ، وَ كَاشِـفَ الْغَمِّ، يَا رَحْمَـانَ الدُّنْيَـا وَ الْآخِـرَةِ وَ رَحِيمَهُمَا، صَلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَ افْرُجْ هَمِّي، وَ اكْشِـفْ غَمِّي.**»[1] يعرّف الإمام يوم القيامة بأنه اليوم الــذي يبعث فيه جميع الموتى بين يدي الله ويقــول: «**وَ إِسْرَافِيلُ صَاحِبُ الصُّـورِ، الشَّـاخِصُ الَّذِي يَنْتَظِـرُ مِنْـكَ الْإِذْنَ، وَ حُلُولَ الْأَمْـرِ، فَيُنَبِّهُ بِالنَّفْخَةِ صَرْعَى رَهَائِنِ الْقُبُورِ.**»[2] يســأل الإمام الله ليس فقط سعادة الدنيا، بل أيضا ســعادة الآخرة مع ســعادة الدنيا، ويصلي هكذا بالاقتباس مــن القــرآن الكريم: «**اللَّهُــمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِــهِ، وَ نَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَــاتِ الْغَفْلَــةِ، وَ اسْــتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِــكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَــةِ، وَ انْهَجْ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ سَــبِيلًا سَــهْلَةً، أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ. اللَّهُمَّ وَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ، وَ أَنْتَ مُصَــلٍ عَــلَى أَحَدٍ بَعْــدَهُ، وَ آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَــنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَــنَةً، وَ قِنِــي بِرَحْمَتِــكَ عَــذابَ النَّــارِ.**»[3] وفي تفســير هذه الآيــة المباركة التي يقتبسها الإمام السجاد في هذا الجزء، يوضح الإمام الصادق (عليه السلام) مقصــد العمــل الصالــح في الدنيا والآخرة عــلى النحو التالي: «عَــنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه الســلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- **رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَــنَةً وَ فِي**

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٥٤.

٢. المصدر نفسه: الدعاء الثالث.

٣. المصدر نفسه: الدعاء ٢٠.

الْآخِرَةِ حَسَنَةً قَالَ رِضْوَانُ اللَّهِ وَ الْجَنَّةُ فِي الْآخِرَةِ وَ السَّعَةُ فِي الرِّزْقِ وَ الْمَعَايِشِ وَ حُسْنُ الْخُلُقِ فِي الدُّنْيَا»[١]

الإمام السجاد يسأل الله أن يعيذه من أخطاء يوم القيامة ويقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ ارْزُقْنِي التَّحَفُّظَ مِنَ الْخَطَايَا، وَ الِاحْتِرَاسَ مِنَ الزَّلَلِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فِي حَالِ الرِّضَا وَ الْغَضَبِ، حَتَّى أَكُونَ بِمَا يَرِدُ عَلَيَّ مِنْهُمَا بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، عَامِلًا بِطَاعَتِكَ، مُؤْثِراً لِرِضَاكَ عَلَى مَا سِوَاهُمَا فِي الْأَوْلِيَاءِ وَ الْأَعْدَاءِ، حَتَّى يَأْمَنَ عَدُوِّي مِنْ ظُلْمِي وَ جَوْرِي، وَ يَيْأَسَ وَلِيِّي مِنْ مَيْلِي وَ انْحِطَاطِ هَوَايَ**»[٢] هذا الدعاء يعبر عن النقطة العملية وهي أن سر الحماية من زلات يوم القيامة، هو الثبات على طريق عبودية الله في الدنيا. يسأل الإمام الله خير الدنيا والآخرة و يقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ عَافِنِي عَافِيَةً كَافِيَةً شَافِيَةً عَالِيَةً نَامِيَةً، عَافِيَةً تُوَلِّدُ فِي بَدَنِي الْعَافِيَةَ، عَافِيَةَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ**»[٣] يقول في مكان آخر: « **يَا رَبِّ يَا رَبِّ، يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اسْتَجِبْ لِي جَمِيعَ مَا سَأَلْتُكَ وَ طَلَبْتُ إِلَيْكَ وَ رَغِبْتُ فِيهِ إِلَيْكَ، وَ أَرِدْهُ وَ قَدِّرْهُ وَ اقْضِهِ وَ أَمْضِهِ، وَ خِرْ لِي فِيمَا تَقْضِي مِنْهُ، وَ بَارِكْ لِي فِي ذَلِكَ، وَ تَفَضَّلْ عَلَيَّ بِهِ، وَ أَسْعِدْنِي بِمَا تُعْطِينِي مِنْهُ، وَ زِدْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَ سَعَةِ مَا عِنْدَكَ، فَإِنَّكَ وَاسِعٌ كَرِيمٌ، وَ صِلْ ذَلِكَ بِخَيْرِ الْآخِرَةِ وَ نَعِيمِهَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.**»[٤]

كل هذه العبارات في هذه الأدعية القيمة تعبر عن نقطة مهمة وهي أن

١. الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج٣، ص١٥٦.
٢. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٢.
٣. المصدر نفسه ، الدعاء ٢٣.
٤. المصدر نفسه، الدعاء ٤٨.

الإيمان بالآخرة وحساب ذلك اليوم هو من أساسيات الحياة الطيبة. إذا كان للإنسان إيمان حقيقي باليوم الآخر، فسوف يعدل عليه حياته الدنيوية؛ وعلى هذا يختار الأعمال والمعتقدات والسلوكيات التي تؤدي إلى السعادة في الآخرة، ويتجنب التصرفات غير اللائقة؛ لأنه يعلم أن هذه التصرفات ستلحقه الخسارة يوم القيامة. لذلك فإن الإيمان بالبعث واليوم الآخر هو أحد أسس الحياة الطيبة.

المناهج التربوية في أسماء القيامة

يشير الإمام السجاد (عليه السلام) إلى بعض أسماء يوم القيامة بتكييف آيات القرآن الكريم؛ ولكل من هذه الأسماء منهج تربوي وأخلاقي في التنمية البشرية. بتذكر تلك الأسماء يعدل المؤمن حياته حسب ظروف يوم القيامة حتى لا يتعرض للخسارة والخراب في ذلك اليوم. بعض هذه الأسماء مذكورة أدناه.

يوم التلاق

في وصف يوم القيامة ذكر الامام السجاد (عليه السلام) ذلك اليوم **بيوم التلاق** فيقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ هَوِّنْ بِالْقُرْآنِ عِنْدَ الْمَوْتِ عَلَى أَنْفُسِنَا كَرْبَ السِّيَاقِ، وَ جَهْدَ الْأَنِينِ، وَ تَرَادُفَ الْحَشَارِجِ إِذَا بَلَغَتِ النُّفُوسُ التَّرَاقِيَ، وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ وَ تَجَلَّى مَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِهَا مِنْ حُجُبِ الْغُيُوبِ، وَ رَمَاهَا عَنْ قَوْسِ الْمَنَايَا بِأَسْهُمِ وَحْشَةِ الْفِرَاقِ، وَ دَافَ لَهَا مِنْ ذُعَافِ الْمَوْتِ كَأْساً مَسْمُومَةَ الْمَذَاقِ، وَ دَنَا مِنَّا إِلَى الْآخِرَةِ رَحِيلٌ وَ انْطِلَاقٌ، وَ صَارَتِ الْأَعْمَالُ قَلَائِدَ فِي الْأَعْنَاقِ، وَ كَانَتِ الْقُبُورُ هِيَ الْمَأْوَى إِلَى مِيقَاتِ يَوْمِ التَّلَاقِ**»[1]

---

١. المصدر نفسه، الدعاء ٤٢.

هـذا المصطلـح مقتبـس من الآية ١٥ من سـورة غافر التي تقـول: «**رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْـذِرَ يَـوْمَ التَّـلاق**» (غافـر/١٥) لقد كثـرت الآراء حول مفهـوم "يوم التـلاق"، يكتـب العلامـة الطباطبائي في تفسـير هذه العبـارة: «و هو يوم القيامة سمي به لالتقاء الخلائق فيه أو لالتقاء الخالق و المخلوق أو لالتقاء أهـل السـماء و الأرض أو لالتقاء الظالم و المظلـوم أو لالتقاء المرء و عمله و لـكل مـن هذه الوجوه قائل. و يمكن أن يتأيـد القول الثاني بما تكرر في كلامـه تعالى من حديث اللقـاء كقوله: «**بِلِقاءِ رَبِّهِـمْ لَكافِرُونَ**:» الروم:-٨، و قوله: «**إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ**:» هود:- ٢٩، و قوله: «**يا أَيُّهَا الْإِنْسـانُ إِنَّـكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ**:» الانشـقاق:- ٦ و معنى اللقاء تقطع الأسباب الشاغلة و ظهور أن الله هو الحق المبين و بروزهم لله.»[١] صاحب تفسـير مـن هدي القرآن يكتب عـن هذا المصطلح: «و يـوم التلاق هو يوم يلتقي الإنسـان بخصومه، و هو من الأيّام الحساسـة و المشهودة في حياته، فيلتقي المسـتكبر بالمسـتضعف، والظالـم بالمظلوم، والغاصـب بالمغصوب منـه، و الكاذب بمن افترى عليـه، و كلّ عامل يلتقي يومئذ بعمله، و يلتقي المجرمون بالشـهود، و الناس جميعا يلتقون بالحسـاب عند ربهم، و هكذا يكـون يومـا عظيما لا بد أن يرهب مقامه، و ينذر به المنذرون.»[٢] إن تذكر اسم القيامة هذا له طابع تربوي وإنساني. فيعرّفهم يوم القيامة، ليفكروا فيه، و ليذكروه دائما و ليحسبوا حسابه في كل أعمالهم و أقوالهم، ليتحملوا المسـؤولية فيه.[٣] لذلك فبتذكر اسـم القيامة هذا يعرف الإنسان أنه سيلقى

١. الطباطبائي، الميزان، ج١٧، ص٣١٨.
٢. المدرسي، من هدي القرآن، ج١٢، ص٣٩.
٣. فضل الله، من وحي القرآن، ج٢٠، ص٢٥.

ربه في ذلك اليوم، ولهذا السبب يلاحظ عبودية الله. يلتقي بعباد الله الذين كان معهم في العالم ولهذا يحاول ألا يظلم أحداً في العالم ولا يخطئ في حق الآخرين، ولا تقع حقوق الناس على عاتقه. بل ويحاول أن يحسن التصرف مع خلق الله ونعم الله، حتى لا يتعرض للخسارة يوم القيامة، وهو يوم اللقاء وستكون هذه نتيجة مهمة وعملية في تربية المؤمن.

يوم تبلى السرائر

يصف الإمام السجاد (عليه السلام) يوم القيامة بأنه اليوم الذي تظهر فيه الحقائق وتكشف الحجب. اليوم الذي سينكشف فيه كل ما كان يخفيه البشر في الدنيا؛ يقول الامام السجاد عن هذا: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ بَارِكْ لَنَا فِي حُلُولِ دَارِ الْبِلَى، وَ طُولِ الْمُقَامَةِ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى، وَ اجْعَلِ الْقُبُورَ بَعْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا خَيْرَ مَنَازِلِنَا، وَ افْسَحْ لَنَا بِرَحْمَتِكَ فِي ضِيقِ مَلَاحِدِنَا، وَ لَا تَفْضَحْنَا فِي حَاضِرِي الْقِيَامَةِ بِمُوبِقَاتِ آثَامِنَا.**»[1] يقول في مكان آخر: «**وَ لَا تَكْشِفْ عَنَّا سِتْراً سَتَرْتَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، يَوْمَ تَبْلُو أَخْبَارَ عِبَادِكَ.**»[2] يقول في مكان آخر نقلا عن القرآن الكريم: «**وَاجْعَلْ لِي عِنْدَكَ مَقِيلًا آوِي إِلَيْهِ مُطْمَئِنّاً، وَ مَثَابَةً أَتَبَوَّؤُهَا، وَ أَقَرُّ عَيْناً، وَ لَا تُقَايِسْنِي بِعَظِيمَاتِ الْجَرَائِرِ، وَ لَا تُهْلِكْنِي يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ، وَ أَزِلْ عَنِّي كُلَّ شَكٍّ وَ شُبْهَةٍ، وَ اجْعَلْ لِي فِي الْحَقِّ طَرِيقاً مِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ، وَ أَجْزِلْ لِي قِسَمَ الْمَوَاهِبِ مِنْ نَوَالِكَ، وَ وَفِّرْ عَلَيَّ حُظُوظَ الْإِحْسَانِ مِنْ إِفْضَالِكَ.**»[3]

هذه الحالات مقتبسة من آيات القرآن الكريم؛ ومنها هذه الآية المباركة

---

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٢.

٢. المصدر نفسه، الدعاء ١١.

٣. المصدر نفسه، الدعاء ٤٧.

التـي تقول: «**يَـوْمَ تُبْلَى السَّرائِر**» (الطـارق/٩) السرائر جمع السريرة و هـي الطويـة في النفس أو غيرها، مـن أسرار و أفـكار، و إبلائها إظهارها، فإنـه ظهـور الحقيقة بعد خفائها، و بالبلاء يظهـر الخفاء، فعامة السرائر سـوف تظهر كأشـهاد، يوم تقوم الأشـهاد: مما أسره الإنسان في نفسه أو أبداه: «**إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِـكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ**» (البقرة: ٢٨٤) فما يبديه أيضا يبقى سرا يسـجّل في المسـجلات الإلهية، ثم لا يبقى سر مما أسره أو أبداه إلا و يبلى يوم تبلى السرائر، و قد يعد الرسـول صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أمثال الصلاة و الزكاة من السرائر التي سـوف تبلى حال أنها ليسـت من الأسرار الخافية إلا شـذرا نذرا فيما يخفيه صاحبه، إلا الصوم الذي هو سر بطبعه، و قد عده صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم في عداد غـير الأسرار كالصلاة و الـزكاة.[١] وعن أبي الدرداء قال: قال رسـول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: **ضمّن اللّه خلقه أربع خصال: الصلاة و الزكاة و صوم رمضان، و الغسـل من الجنابة، و هي السرائر التي قال اللّه: يوم تبلى السرائر.**[٢]

عندما يعلم المؤمن أن كل ما يفعله في الدنيا سينكشـف لعينيه يوم القيامة، ولا مجال للإنكار أو الشـك في أفعاله وسـلوكه، فإنه يعدل حياته الدنيوية بحيث لا يحزن إذا ظهرت أعماله يوم القيامة. إن يعرف الانسان أن جميع الخفايـا ستنكشـف يوم القيامة هـو منهج تربوي عظيم يزكي نفسـه لله ظاهرا و باطنا ويتجنب الأشـياء التي تسبب سخط الله.

يوم المجاز

١. صادقي الطهراني، الفرقان، ج٣٠، ص٢٧٧.
٢. السبزواري، الجديد في تفسير القرآن المجيد، ج٧، ص٣٥٠.

يصف الإمام السجاد يوم القيامة بأنه يوم المجاز؛ اليوم الذي يعبر فيه الانسان الصراط. يعني أن الإنسان في ذلك اليوم يمر في ممر تقاس فيه أعماله والسر في عدم الانزلاق في ذلك المقطع هو صحة الاعتقاد والعمل والثبات عليه في الدنيا؛ ولهذا السبب يطلب الإمام السجاد من الله الثبات لخطواته في ذلك المقطع ويقول هكذا: «**وَ ارْحَمْ بِالْقُرْآنِ فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقَامِنَا، وَ ثَبِّتْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جِسْرِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْمَجَازِ عَلَيْهَا زَلَلَ أَقْدَامِنَا، وَ نَوِّرْ بِهِ قَبْلَ الْبَعْثِ سُدَفَ قُبُورِنَا، وَ نَجِّنَا بِهِ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ شَدَائِدِ أَهْوَالِ يَوْمِ الطَّامَّةِ**»[1] هذه العبارة تعبر عن وجهة تربوية مفادها أن على الإنسان أن يفعل في الدنيا أعمالا تثبت خطوته يوم القيامة، وهذا عامل تربوي في التربية الصحيحة للإنسان على طريق السعادة والكمال.

يوم الحسرة

اسم آخر ليوم القيامة هو يوم الحسرة؛ اليوم الذي يندم فيه الناس على عمل عملوه أو لم يعملوه في الدنيا؛ فيندمون على ما فعلوه من الذنوب، ويندمون أيضاً على ما لم يفعلوه من الخير والثواب. فالحسرة الحقيقية يومئذ للكافرين؛ ولكن المؤمنين أيضا في ذلك اليوم يندمون على عدم قيامهم بالمزيد من الأعمال الصالحة. يصف الإمام السجاد ذلك اليوم: «**وَ بَيِّضْ وُجُوهَنَا يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ فِي يَوْمِ الْحَسْرَةِ وَ النَّدَامَةِ، وَ اجْعَلْ لَنَا فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ وُدّاً، وَ لَا تَجْعَلِ الْحَيَاةَ عَلَيْنَا نَكَداً.**»[2] هذا المصطلح مقتبس من آيات القرآن؛ ومن بين أمور أخرى في الآية ٣٩

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٢.
٢. المصدر نفسه.

مـن سـورة مريم ورد اسـم القيامة أيضًا، حيـث يقـول: «**وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُـضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لا يُؤْمِنُونَ**» (مريم/٣٩) ففيه إشارة إلى أن الحسرة إنما تأتيهم من ناحية قضاء الأمر و القضاء إنما يوجب الحسرة إذا كان بحيث يفوت به عن المقضي عليه ما فيه قرة عينه و أمنية نفسـه و مخ سـعادته الذي كان يقدر حصوله لنفسه و لا يرى طيبا للعيـش دونـه لتعلق قلبه بـه و تولهه فيه، و معلوم أن الإنسـان لا يرضى لفوت ما هذا شـأنه و إن احتمل في سـبيل حفظه أي مكروه إلا أن يصرفه عنـه الغفلـة فيفرط في جنبـه و لذلك عقب الكلام بقوله: «وَ هُـمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُـمْ لا يُؤْمِنُـونَ». فالمعنـى- و اللـه أعلم- و خوفهم يومـا يقضى فيه الأمر فيتحتـم عليهـم الهلاك الدائمفينقطعون عن سـعادتهم الخالـدة التي فيها قـرة أعينهم فيتحـسرون عليها حسرة لا تقدر بقـدر إذ غفلوا في الدنيا فلم يسـلكوا الصراط الـذي يهديهم و يوصلهم إليها بالاسـتقامة و هو الإيمان بالله وحـده و تنزيهه عن الولد و الشريك.[١]

في آيـات أخـرى يعـبر عن حسرة الكافريـن بعبارات أخرى منهـا: «**وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُـولِ سَـبِيلاً*يا وَيْلَتـى لَيْتَنـي لَـمْ أَتَّخِذْ فُلانـاً خَلِيلاً * لَقَـدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْـرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَ كانَ الشَّـيْطانُ لِلْإِنْسـانِ خَذُولاً**»[٢] (الفرقان/٢٩-٢٧)

لذلـك فـإن المغزى التربوي من هـذا المصطلح هو أن الإنسـان العاقل الذي يفكـر في أحـوال يوم القيامة، وهو يـوم الحسرة والندم، سـيبذل قصارى جهده في أن يكون لديه تصرفات وسلوكيات تجعله لا يندم على عدم القيام

١. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٥٠-٥١.
٢. سورة الفرقان/ ٢٩-٢٧

بها يوم القيامة. فمثلاً عندما يعلم أنه يُسأل عن الصلاة يصلي صلاته بشكل صحيح حتى لا يندم على تركها يوم القيامة؛ وعندما يعلم أنه يُسأل منه عن المعتقدات والسلوكيات الدينية، يحاول أن يؤديها كلها بشكل صحيح حتى لا يندم على عدم القيام بها يوم القيامة. فإذا علم أنه يؤاخذ في حق الناس وظلم الآخرين، امتنع عن فعل القبيح والسوء. لذلك فإن التفكير في هذا المصطلح له منهج تربوي في تحديد نمط الحياة الصحيح بما يرضي الله في البعدين الفردي والاجتماعي.

يوم الحساب

من أسماء القيامة التي وردت في القرآن الكريم وقد أشار إليها الإمام السجاد (عليه السلام) أيضاً بتعديلها من القرآن إنه يوم الحساب. يقول الإمام السجاد عن هذا الاسم للقيامة: «**حَمْداً يُضِيءُ لَنَا بِهِ ظُلُمَاتِ الْبَرْزَخِ، وَ يُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِهِ سَبِيلَ الْمَبْعَثِ، وَ يُشَرِّفُ بِهِ مَنَازِلَنَا عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ، يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ، يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ.**»[1] قد ورد اسم القيامة هذا أيضًا في القرآن؛ مثل: «**يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ**» (ص/٢٦)

يوم الحساب للقيامة يعني أن جميع أعمال الشخص سوف يتم تدقيقها بدقة؛ وعندما يعلم الإنسان أن كل جزء من أعماله من حسناته وسيئاته سوف يتم التعامل معه يوم القيامة، فإنه لن يتردد في القيام حتى بأصغر

١. الصحيفة السجادية، الدعاء الأول.

أعمالـه لأنه يعلم أنه سـيرى نتيجتها يـوم القيامة؛ كما أنـه يجتنب أصغر المنكرات؛ لأنه يعلم أنه سـيرى عاقبة ذلك السـيئة يوم القيامة. كما جاء في القـرآن الكريم: «**وَ وُضِـعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمينَ مُشْـفِقينَ مِمَّا فيهِ وَ يَقُولُـونَ يـا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغـادِرُ صَغيرَةً وَ لا كَبيرَةً إِلاَّ أَحْصاهـا وَ وَجَـدُوا مـا عَمِلُوا حـاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّـكَ أَحَداً**»[١] ،فلم يغفل حتى الأشـياء الصغيرة التي قد لا يحس بها الإنسـان بشكل واع، بل يقـوم بهـا بطريقة اللاشـعور التي تدفعـه إلى القيام ببعـض الأعمال، بما يشـبه العادة القاهرة، وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً أمامهم لم يغب عنهم منه شيء، و سـيواجهون الحسـاب من خلاله، و لن يحاسـبوا عـلى أي شيء لم يفعلوه.[٢] يقول الامام الصادق في تفسيره لهذه الآية: «**يُذَكَّرُ الْعَبْدُ جَمِيعَ مَـا عَمِـلَ وَ مَا كُتِبَ عَلَيْـهِ- كَأَنَّهُ فَعَلَهُ تِلْكَ السَّـاعَةَ، فَلِذَلِكَ قَالُوا «يا وَيْلَتَنـا مـا لِهذَا الْكِتابِ- لا يُغادِرُ صَغِـيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها**»[٣] يقـول في آيـة أخرى: «**فَمَـنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَـرَهُ *وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه**»[٤]

إن التفكير في اسـم يوم القيامة هذا والانتباه إلى حقيقته يجعل الإنسـان في الدنيا يحاسـب قبل أن يتم حسـابه يوم القيامة. كما يقول الرسول الكريم أيضا: «**حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَ زِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا وَ تَجَهَّزُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ**»[٥] لذلك فإن أهمية التربية وأنسـنة هذا المصطلح

١. سورة الكهف /٤٩
٢. فضل الله، من وحي القرآن، ج١٤، ص٣٤٣.
٣. العياشي، تفسير العياشي، ج٢، ص٣٢٨.
٤. سورة الزلزلة /٨-٧
٥. المجلسي، بحارالانوار، ج٦٧، ص٧٣.

واضحة أيضاً، وهو ما ذكره الإمام السجاد في ادعيته.

يوم الفصل

من الأسماء الأخرى ليوم القيامة الذي أشار إليه الإمام السجاد (عليه السلام) بتكييف آيات القرآن هو يوم الفصل. يقول الامام السجاد (عليه السلام) في وصف يوم القيامة: «**اللَّهُمَّ وَ إِنْ كَانَتِ الْخِيرَةُ لِي عِنْدَكَ فِي تَأْخِيرِ الْأَخْذِ لِي وَ تَرْكِ الِانْتِقَامِ مِمَّنْ ظَلَمَنِي إِلَى يَوْمِ الْفَصْلِ وَ مَجْمَعِ الْخَصْمِ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَيِّدْنِي مِنْكَ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَ صَبْرٍ دَائِمٍ**»[1] بهذه العبارة يسأل الإمام السجاد الله أن يكون عفوه عمن ظلمه خيراً وأجره يوم القيامة، فإنه يسأل الله الثبات على هذه الفضيلة بصدق النية والصبر؛ لأن الحياة الدنيا فانية، ولكن يوم القيامة هو اليوم الذي لا يبقى فيه وقت للعودة والتعويض؛ ولهذا السبب فإن العفو والتضحية في الدنيا له قيمة عظيمة لثواب الآخرة.

قد ورد هذا الاسم في القرآن في عدة آيات منها:

«**هذا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**»[2].

«**إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ميقاتُهُمْ أَجْمَعين**»[3].

لمعنى هذا الاسم دلالة تربوية مفادها أن الإنسان عندما يعلم أنه سيحاسب يوم القيامة بالعدل والصواب بما عمل من أعمال في الدنيا، وأن أعماله النجسة لن تقبل، يحاول أن يفعل أعماله خالصة لابتغاء مرضاة الله فقط. عندما يعلم الإنسان أنه سينفصل حتى عن والديه في ذلك اليوم، فإنه يتجنب التصرفات غير اللائقة، ويتذكر صعوبة ذلك اليوم. فإذا علم أن المؤمنين

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ١٤.

٢. سورة الصافات / ٢١

٣. سورة الدخان / ٤٠

والكافرين سـينفصلون في ذلك اليوم، قام بأفعال وتصرفات للانضمام إلى جماعة المؤمنين. هذه كلها مناهج تعليمية بهذا الاسـم.

نتائج الإيمان بالآخرة في الحياة

إن للـدار الآخـرة والإيمـان بالحيـاة بعد المـوت نتائج مهمة جـداً في حياة الإنسان من حيث: أولًا: إن المؤمن لا يختصر كل الحياة للدنيا، بل يعلم أن بعد هذه الحياة الدنيا القصيرة، حياة أخرى أبدية؛ ولهذا السـبب تصبح حياته هادفة. ثانياً: عندما يواجه الإنسـان مشـاكل الدنيـا ومصاعبه لا ييأس، بل بإيمانـه أن هذه الصعوبات والمشـاكل عابرة وأن الحياة الأبدية هي الحياة بعد الموت، يثابر في مواجهة المشاكل ويزداد إيمانه بالله. كما يصف القرآن الكريم الناس الذين يؤمنون بالحياة الأبدية في الآخرة ويصبرون في مواجهة الاختبـارات الإلهيـة ويقـول: «**وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَـوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْـصٍ مِـنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَـشِّرِ الصَّابِرِينَ*الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُـمْ مُصِيبَـةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْـهِ راجِعُونَ *أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَـواتٌ مِـنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَـةٌ وَ أُولئِكَ هُـمُ الْمُهْتَدُونَ**»[1] ،قالُـوا إِنَّا لِلَّهِ فنحـن ملـك اللّه من موقع أننا خلقه، فله أن يتصرف بنا كما يشـاء و علينا أن نتقبـل ذلـك بـكل رضى من دون اعـتراض، و أن نؤمن بأنـه- في موقع رحمته- لا يريد بنا إلا خيرا مما يقربنا إلى المصلحة و يبعدنا عن المفسدة، وَ إِنَّـا إِلَيْهِ راجِعُونَ فسـنصير إلى اللّـه في نهاية المطاف و نتخفف من كل هذه الآلام، فنجد عنده الخير الكثير الذي نحصل فيه على كل السعادة التي يذوب معها كل حزن و ألم مما عشناه في الحياة، و بذلك لا يبقى لآلام الحياة قيمة في إحساسـنا الذاتـي، لأن انتظار لقـاء اللّه في روح رضوانـه و نعيم جنته

١. سورة القرة / ١٥٥-١٥٧

يطرد كل المشـاعر الذاتية الخائفة و الحزينة و القلقة في أجواء المصائب.[1] لذلـك فـإن الإيمـان بالآخرة هـو مصدر التغـيرات في الحياة الدنيـا، والتي يمكـن أن تجعل حياة الإنسـان مليئة بالأمـل والغاية والهدف للخلق، وعلى الإنسـان أن يتبع تعليمـات الله للوصول إلى تلك الحيـاة الأبدية. وفيما يلي نذكر بعض أهم آثار الآخرة في حياة الإنسـان بحسب تعاليم الإمام السجاد في الصحيفة السجادية.

تقصير الرغبات الدنيوية

يواجـه الإنسـان في الحيـاة نوعين من الأمنيـات: أمنيات هادفـة وإيجابية، وثانيـاً أمنيات سـلبية وغير مفيدة؛ الامنيـات الهادفـة والإيجابية مقبولة، ويتـم التأكيـد على أهميتها في التعاليم الدينية؛ يعني أن الإنسـان لديه رغبة في تحقيـق أشـياء جيـدة وهادفـة؛ كأنه يرغـب في الانفتاح ماليـاً في حياته لمساعدته الآخرين؛ أو يمشي في سبيل الله بالمال الذي حصل عليه؛ أو يرغب في الحصول على عمل مناسـب ليكسـب الرزق الحلال. هذه التمنيات مفيدة وإيجابية وتجعل الإنسـان يجتهد في الحياة ويقوم بأشـياء مفيدة وإيجابية مع الأمل بالمستقبل.

الأمنيات السـلبية هي أمنيات تشـغل الإنسـان بالأمور الدنيويـة والمادية، وتجعلـه ينسى ذكر الله؛ هذه الرغبات تجعل الإنسـان مشـغولاً بأشـياء لا تفيد سـعادته. طول هذه الرغبات وزيادتها يصبح عاملاً في إهمال الإنسان واسـتمتاعه بالامور السـخيفة. قد حذر النبي الكريم أمته من هذه الأنواع مـن التمنيات التي تجعل الناس يغفلون عـن الله وعن هدف الخلق، وقال: **«إِنَّ أَشَـدَّ مَـا أَتَخَـوَّفُ عَلَيْكُـمْ مِنْهُ اتِّبَاعُ الْهَـوَى وَ طُـولُ الْأَمَلِ فَإِنَّ**

١. فضل الله، من وحي القرآن، ج٣، ص١٢٢.

اتِّبَاعَ الْهَوَى يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَ طُولَ الْأَمَلِ يُنْسِي الْآخِرَةَ وَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَ يُبْغِضُ وَ لَا يُعْطِي الْآخِرَةَ إِلَّا لِمَنْ يُحِبُّ وَ إِنَّ لِلدُّنْيَا أَبْنَاءَ وَ لِلْآخِرَةِ أَبْنَاءَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَ لَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ يَتْبَعُ بِأُمِّهِ وَ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَرَحَّلَتْ مُدْبِرَةً وَ الْآخِرَةَ قَدْ تَجَمَّلَتْ مُقْبِلَةً وَ إِنَّكُمْ فِي يَوْمِ عَمَلٍ لَيْسَ فِيهِ حِسَابٌ وَ يُوشِكُ أَنْ تَكُونُوا فِي يَوْمِ حِسَابٍ لَيْسَ فِيهِ عَمَلٌ»[1]

كما يطلب الإمام السجاد (عليه السلام) من الله في ادعيته أن يختصر هذه الأمنيات و يقول: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اكْفِنَا طُولَ الْأَمَلِ، وَ قَصِّرْهُ عَنَّا بِصِدْقِ الْعَمَلِ حَتَّى لَا نُؤَمِّلَ اسْتِتْمَامَ سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ، وَ لَا اسْتِيفَاءَ يَوْمٍ بَعْدَ يَوْمٍ، وَ لَا اتِّصَالَ نَفَسٍ بِنَفَسٍ، وَ لَا لُحُوقَ قَدَمٍ بِقَدَمٍ وَ سَلِّمْنَا مِنْ غُرُورِهِ، وَ آمِنَّا مِنْ شُرُورِهِ، وَ انْصِبِ الْمَوْتَ بَيْنَ أَيْدِينَا نَصْباً، وَ لَا تَجْعَلْ ذِكْرَنَا لَهُ غِبّاً»**[2] يقول في مكان آخر: **«وَ نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَنْطَوِيَ عَلَى غِشِ أَحَدٍ، وَ أَنْ نُعْجِبَ بِأَعْمَالِنَا، وَ نَمُدَّ فِي آمَالِنَا وَ نَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ السَّرِيرَةِ، وَ احْتِقَارِ الصَّغِيرَةِ، وَ أَنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ، أَوْ يَنْكُبَنَا الزَّمَانُ، أَوْ يَتَهَضَّمَنَا السُّلْطَانُ»**[3]

عندما يفكر الإنسان في الموت والحياة بعد الموت، يظن أن الإنسان عندما يموت تنتهي جميع رغباته وأمور دنياه، ولن يدخل العالم الآخر إلا بما عمل؛ وذكر الموت هذا والحياة بعد الموت ويوم القيامة يجعل الإنسان يتجنب الشهوات التي تبعده عن الهدف الأسمى للخلق وهو الوصول إلى القرب من الله. يصبح ذكر الموت ويوم القيامة عاملاً لتوجيه الإنسان

١. الديلمي، ارشاد القلوب، ج١، ص٢١.
٢. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٠.
٣. المصدر نفسه، الدعاء الثامن.

لرغباتـه وعدم الانغماس في الشـهوات الدنيوية، والتـي كلها يهدمها موت الإنسان.

القيام بالأعمال الصالحة

الأعمـال الصالحـة هـي عامل في وصـول الإنسـان إلى السـعادة. وبعبارة أخرى، فإن الأعمال الصالحة هو علامة الإيمان الحقيقي. فالإنسـان المؤمن يظهـر بالعمـل أن اعتقـاده صحيح وصادق. مـن أهم أمنيـات الكفار بعد المـوت أن يعودوا إلى الدنيا ويعملوا من الأعمال الصالحة التي لم يعملوها، لكن الفرصة وحياة الإنسان لا يمكن أن تتكرر في الدنيا. بعد الموت لا يقدر الإنسان أن يعود إلى الحياة الدنيا ولا يستطيع أن يعمل من الأعمال الصالحة التـي تركها. وهذا ما يقوله القرآن عن هذا: «**حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**»[1] .

و قولـه: «**أَعْمَـلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ**» أي أعمـل عملا صالحا فيما تركت من المال بإنفاقه في البر و الإحسان و كل ما فيه رضا الله سبحانه.[2]

فذكـر يـوم القيامـة - في ذلك اليوم يحتاج الإنسـان إلى أعمالـه الصالحة - يصبح عاملاً للإنسـان على الاعمـال الصالحة في الدنيـا، والقيام بما ينفعه يوم القيامة؛ يقول الامام السجاد (عليه السلام) عن الاعمال الصالحة ويوم القيامة: «**وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ عَمَلًا نَسْـتَبْطِئُ مَعَهُ الْمَصِيرَ إِلَيْكَ، وَ نَحْرِصُ لَهُ عَلَى وَشْـكِ اللَّحَاقِ بِكَ حَتَّى يَكُونَ الْمَوْتُ مَأْنَسَـنَا الَّذِي نَأْنَسُ بِهِ، وَ مَأْلَفَنَا الَّذِي نَشْتَاقُ إِلَيْهِ، وَ حَامَّتَنَا الَّتِي نُحِبُّ الدُّنُوَّ**

---

١. سورة المومنون /٩٩-١٠٠

٢. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص٦٧.

مِنْهَا فَإِذَا أَوْرَدْتَهُ عَلَيْنَا وَ أَنْزَلْتَهُ بِنَا فَأَسْعِدْنَا بِهِ زَائِراً، وَ آنِسْنَا بِهِ قَادِماً، وَ لَا تُشْقِنَا بِضِيَافَتِهِ، وَ لَا تُخْزِنَا بِزِيَارَتِهِ، وَ اجْعَلْهُ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ مَغْفِرَتِكَ، وَ مِفْتَاحاً مِنْ مَفَاتِيحِ رَحْمَتِكَ أَمِتْنَا مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ، طَائِعِينَ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينَ، تَائِبِينَ غَيْرَ عَاصِينَ وَ لَا مُصِرِّينَ، يَا ضَامِنَ جَزَاءِ الْمُحْسِنِينَ، وَ مُسْتَصْلِحَ عَمَلِ الْمُفْسِدِينَ.»[1]

لذلك فإن الاهتمام بالموت والقيامة وأحوالهما، يجعل الإنسان يعمل أعمالاً صالحة تنفعه يوم القيامة. تتجلى هذه النقطة في سيرة الإمام السجاد (عليه السلام) عندما ساعد المحتاجين واعتقد إن القيام بذلك العمل يشكل عبئاً على الرحلة إلى الآخرة. يوصف تدفق هذه السيرة الذاتية للإمام السجاد على النحو التالي: «رَأَى الزُّهْرِيُّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ لَيْلَةً بَارِدَةً مَطِيرَةً وَ عَلَى ظَهْرِهِ دَقِيقٌ وَ حَطَبٌ وَ هُوَ يَمْشِي فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا هَذَا قَالَ أُرِيدُ سَفَراً أُعِدُّ لَهُ زَاداً أَحْمِلُهُ إِلَى مَوْضِعٍ حَرِيزٍ فَقَالَ الزُّهْرِيُّ فَهَذَا غُلَامِي يَحْمِلُهُ عَنْكَ فَأَبَى قَالَ أَنَا أَحْمِلُهُ عَنْكَ فَإِنِّي أَرْفَعُكَ عَنْ حَمْلِهِ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ **لَكِنِّي لَا أَرْفَعُ نَفْسِي عَمَّا يُنْجِينِي فِي سَفَرِي وَ يُحْسِنُ وُرُودِي عَلَى مَا أَرِدُ عَلَيْهِ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّهِ لَمَّا مَضَيْتَ لِحَاجَتِكَ** وَ تَرَكْتَنِي فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ قُلْتُ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَسْتُ أَرَى لِذَلِكَ السَّفَرِ الَّذِي ذَكَرْتَهُ أَثَراً قَالَ **بَلَى يَا زُهْرِيُّ لَيْسَ مَا ظَنَنْتَهُ وَ لَكِنَّهُ الْمَوْتُ وَ لَهُ كُنْتُ أَسْتَعِدُّ إِنَّمَا الِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ تَجَنُّبُ الْحَرَامِ وَ بَذْلُ النَّدَى وَ الْخَيْرِ**»[2]

لذلك فإن تذكر يوم القيامة يصبح عاملاً يدفع الناس إلى الاعمال

---

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٠.

٢. الصدوق، علل الشرايع، ج١، ص٢٣١.

الصالحة، والمسارعة إلى الخيرات.

تجنب الذنوب

إن ما يسبب عذاب الإنسان بعد الموت ويوم القيامة هو ذنوب الإنسان. إن الله لا يعاقب أحداً بلا هدف، ولكن أفعال الإنسان نفسه هي التي تعاقبه على فعله؛ القرآن يقول عن هذا:

«تَرى كَثيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ في الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ»[1].

«أَ لَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمِ إِبْراهيمَ وَ أَصْحابِ مَدْيَنَ وَ الْمُؤْتَفِكاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون»[2].

«فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَ ما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»[3].

رحمة الله واسعة ولا داعي لمعاقبة الإنسان، بل البشر أنفسهم هم الذين يتعرضون للعقاب الإلهي بأفعالهم ومعتقداتهم الخاطئة، كما يقول القرآن: **«ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كانَ اللَّهُ شاكِراً عَليما»** (النساء/١٤٧) إن للذنب أثراً سيئاً جداً في الحياة بعد الموت، ويوم القيامة تكون ذنوب الإنسان مؤلمة حتى أن الإنسان يتمنى أن يكون بينه وبين ذنوبه مسافة طويلة: **«يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعيداً وَ يُحَذِّرُكُمُ**

١. سورة المائده / ٨٠
٢. سورة التوبة / ٧٠
٣. سورة العتكبوت/ ٤٠

اللَّهُ نَفْسَـهُ وَ اللَّـهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ »[1] (آل عمران/ ٣٠)

إن عـذاب يـوم القيامـة شـديد ومؤلم بسـبب ذنـوب الإنسـان، لدرجة أن الإنسـان يريد أن ينزل عقوبته على أحبابه حتى ينجـو: «**يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْـرِمُ لَـوْ يَفْتَدي مِنْ عَـذابِ يَوْمئِذٍ بِبَنيهِ *وَ صاحِبَتِـهِ وَ أَخيهِ * وَ فَصيلَتِـهِ الَّتـي تُؤْويهِ * وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَميعـاً ثُمَّ يُنْجيهِ**» (المعارج، ١٤-١١) نعم، إنّ عذاب اللّه شديد في ذلك اليوم المهول الى حدّ يودّ الإنسان فيـه أن يفـدي أعزّته و هـم أربع مجاميـع: «الأولاد، الزوجـات، الإخوان، عشيرته الأقربون الناصرون له» فيضحي بهم لخلاص نفسه، و ليس فقط أولئك بل إنّه مستعد للافتداء بمن في الأرض جميعا لينجي نفسه.[2] وعليه فإن الإنسـان عندما يفكر في يوم القيامـة وأحواله والعقاب المعد للمذنبين، يتجنب الذنوب. الإمام السجاد (عليه السلام) يسأل الله التوفيق في اجتناب الذنـوب ويقـول: «**اللَّهُـمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِهِ، وَ بَارِكْ لَنَـا فِي حُلُولِ دَارِ الْبِـلَى، وَ طُـولِ الْمُقَامَـةِ بَـيْنَ أَطْبَاقِ الثَّـرَى، وَ اجْعَـلِ الْقُبُورَ بَعْدَ فِـرَاقِ الدُّنْيَا خَيْرَ مَنَازِلِنَا، وَ افْسَـحْ لَنَا بِرَحْمَتِكَ فِي ضِيقِ مَلَاحِدِنَا، وَ لَا تَفْضَحْنَـا فِي حَـاضِرِي الْقِيَامَةِ بِمُوبِقَاتِ آثَامِنَـا. وَ ارْحَمْ بِالْقُرْآنِ فِي مَوْقِـفِ الْعَـرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقَامِنَا، وَ ثَبِّتْ بِـهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جِسْرِ جَهَنَّـمَ يَـوْمَ الْمَجَازِ عَلَيْهَـا زَلَلَ أَقْدَامِنَـا، وَ نَوِّرْ بِهِ قَبْلَ الْبَعْثِ سُـدَفَ قُبُورِنَـا، وَ نَجِّنَـا بِهِ مِـنْ كُلِّ كَرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ شَـدَائِدِ أَهْوَالِ يَوْمِ الطَّامَّةِ وَ بَيِّضْ وُجُوهَنَا يَوْمَ تَسْـوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ فِي يَوْمِ الْحَسْرَةِ وَ النَّدَامَةِ، وَ اجْعَلْ لَنَا فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ وُدّاً، وَ لَا تَجْعَلِ الْحَيَاةَ عَلَيْنَا**

---

١. سورة آل عمران / ٣٠

٢. مكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج١٩، ص: ١٩.

نَكَـداً.»[1] بالطبع كما ورد في الأحاديث السـابقة فـإن لهذه الادعية منهجاً تعليميا وتربوياً للإنسـان؛ وإلا فقد وصل الإمام السجاد (عليه السلام) إلى مكانـة عاليـة من العصمة والمعرفة وهو من المقربـين من عتبة الله، وبهذه الادعيـة يعلم المؤمنين الحيـاة الصحيحة وخدمة الله الصحيحة..

الوصـول إلى درجـات المعرفـة في ضوء الاسـتعداد للقـاء الله في الآخرة

إن تذكـر الآخـرة ولقـاء اللـه هـو عامل مـن عوامـل تحقيق نمـط الحياة الصحيـح. يسـعى المؤمـن إلى فرحة لقاء اللـه، وهي نفس اللقـاء الروحي ونيل ثواب الله العظيم ويبذل كل جهده لتحقيق هذه السـعادة الأبدية كما قـال القرآن الكريم عن ذلك: «**يا أَيُّهَا الْإِنْسـانُ إِنَّـكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقيـه**»[2]، و قولـه: «فَمُلاقِيـهِ» عطـف عـلى «كادِحٌ» و قـد بـين به أن غاية هذا السير و السعي و العناء هو الله سبحانه بما أن له الربوبية أي إن الإنسـان بما أنه عبد مربوب و مملوك مدبر سـاع إلى الله سـبحانه بما أنه ربـه و مالكـه المدبر لأمره فإن العبد لا يملك لنفسـه إرادة و لا عملا فعليه أن يريـد و لا يعمـل إلا مـا أراده ربـه و مولاه و أمره به فهو مسـئول عن إرادتـه و عمله.و من هنا يظهـر أولا أن قوله: «إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ» يتضمن حجة على المعاد لما عرفت أن الربوبية لا تتم إلا مع عبودية و لا تتم العبودية إلا مع مسـئولية و لا تتم مسـئولية إلا برجوع و حسـاب على الأعمال و لا يتم حسـاب إلا بجـزاء.و ثانيا: أن المراد بملاقاتـه انتهاؤه إلى حيث لا حكم

---

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٢.

٢سورة الانشقاق/٦

إلا حكمه من غير أن يحجبه عن ربه حاجب.و ثالثا: أن المخاطب في الآية هو الإنسان بما أنه إنسان فالمراد به الجنس و ذلك أن الربوبية عامة لكل إنسان.[1]

يقول القرآن الكريم في مكان آخر: «**مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّميعُ الْعَليم**» [2]، و في معنى قوله تعالى: لِقاءَ اللَّهِ و ما المقصود منه؟ فسّره بعض المفسّرين بملاقاة الملائكة، كما فسّره البعض بملاقاة الحساب و الجزاء .. و بعض بملاقاة الحكم و أمر الحق .. و آخرون بأنّه كناية عن يوم القيامة .. في حين أنّه لا دليل على أن تفسّر هذه الآية بهذه المعاني المجازية.و ينبغي القول أن «لقاء اللّه» في يوم القيامة ليس لقاء حسيّا بل نوعا من الشهود الباطني، لأنّ الستائر الضخمة لعالم المادة تنكشف عن عين روح الإنسان، و تبدو في حالة الشهود للإنسان! و كما يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان: إنّ المقصود من لقاء اللّه، هو أنّ العباد يكونون في موقف لا يكون بينهم و بين اللّه حجاب، لأنّ طبيعة يوم القيامة هي ظهور الحقائق كما يقول القرآن: وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُسورة النور الآية ٢٥. أمّا الآية التي تليها، فهي- في الحقيقة- تعليل لما سبق بيانه في الآية الآنفة، إذ تقول: إن على المؤمنين الذين يرغبون في لقاء اللّه السعي بما أوتوا من قدرة و قابلية من أجل ذلك فإن نتيجة كل ذلك السعي و الجهاد و تحمل الشدائد ترجع ثمارها للعامل نفسه: وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ. إن خطة الامتحان الالهي هي الجهاد، جهاد النفس و هواها، و جهاد الأعداء الألداء،

١. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص: ٢٤٣.
٢. سورة العنكبوت /٥

لحفظ الإيمان و التقوى و الطهارة، و نفع ذلك يعود للإنسان ... و إلّا فإنّ اللّـه وجـود غير متناه من جميع الوجوه، و غـير مفتقر لأي شيء حتى يتم بواسـطة طاعـة الناس أو عبادتهـم جبرانه، و لا ينقصـه شيء حتى يكمله الآخـرون، فـكل مـا عندهم فمنه، و ليـس لهم شيء من أنفسـهم!.و يتّضح هنـا من هذا البيـان أن الجهاد لا يعني بالضرورة جهاد العدوّ المسـلّح، بل يحمل معناه اللغوي الذي يشمل كل أنواع السعي و الجد لحفظ الإيمان و التقوى، و تحمل أنواع الشدائد، و المواجهات «الموضعية» للأعداء الألدّاء و الحاقدين.و الخلاصة أنّ جميع منافع هذا الجهاد ترجع للشـخص المجاهد نفسـه، و هـو الذي يفـوز بخير الدنيا و الآخرة في جهـاده، و حتى إذا كان المجتمع يسـتفيد مـن بركات هذا الجهاد، فهو في مرحلـة أخرى بعده.فعلى هذا، متى ما وفّق أي إنسـان إلى الجهاد فنال نصيب منه، فعليه أن يشـكر اللّه على هذه النعمة![1]

على هذا الأسـاس يقول الإمام السـجاد (عليه السلام) أن من أركان الآخرة الرغبة في العمل للآخرة والوصول إلى درجات المعرفة فيقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِـهِ، وَ ارْزُقْنِـي الرَّغْبَـةَ فِي الْعَمَـلِ لَـكَ لِآخِرَتِـي حَتَّى أَعْـرِفَ صِـدْقَ ذَلِـكَ مِـنْ قَلْبِـي، وَ حَتَّىيَكُـونَ الْغَالِـبُ عَـلَيَّ الزُّهْدَ فِي دُنْيَايَ، وَ حَتَّى أَعْمَلَ الْحَسَـنَاتِ شَـوْقاً، وَ آمَنَ مِنَ السَّـيِّئَاتِ فَرَقاً وَ خَوْفـاً، وَ هَـبْ لِي نُـوراً أَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ، وَ أَهْتَـدِي بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ، وَ أَسْـتَضِيءُ بِهِ مِنَ الشَّـكِّ وَ الشُّـبُهَاتِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ ارْزُقْنِي خَوْفَ غَمِّ الْوَعِيدِ، وَ شَوْقَ ثَوَابِ الْمَوْعُودِ حَتَّى أَجِدَ لَذَّةَ مَا أَدْعُـوكَ لَـهُ، وَ كَأْبَةَ مَا أَسْـتَجِيرُ بِكَ مِنْهُ اللَّهُمَّ قَـدْ تَعْلَمُ مَا يُصْلِحُنِي**

١. مكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢، ص: ٣٣٨-٣٣٩.

مِنْ أَمْرِ دُنْيَايَ وَ آخِرَتِي فَكُنْ بِحَوَائِجِي حَفِيّاً. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَ ارْزُقْنِي الْحَقَّ عِنْدَ تَقْصِيرِي فِي الشُّكْرِ لَكَ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فِي الْيُسْرِ وَ الْعُسْرِ وَ الصِّحَّةِ وَ السَّقَمِ، حَتَّى أَتَعَرَّفَ مِنْ نَفْسِي رَوْحَ الرِّضَا وَ طُمَأْنِينَةَ النَّفْسِ مِنِّي بِمَا يَجِبُ لَكَ فِيمَا يَحْدُثُ فِي حَالِ الْخَوْفِ وَ الْأَمْنِ وَ الرِّضَا وَ السُّخطِ وَ الضَّرِّ وَ النَّفْعِ»[1] عبارة «**وَ حَتَّى أَعْمَلَ الْحَسَنَاتِ شَوْقاً**» تدل على الاعمال الصالحة للوصول إلى معرفة الله ولقاءه، وهذه هي العبادة الصادقة والمحبة. كما يصف الامام علي (عليه السلام) عبادة الاحرار بنفس الطريقة ويقول: «**إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ وَ إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ وَ إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ**»[2] من أجل الوصول إلى عبودية الله يطلب الإمام السجاد (عليه السلام) من الله أن يضعه على طريق يرضي الله، وهذه هي غاية العبودية والطهارة للوصول إلى الله، كما يقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ وَفِّقْنِي لِقَبُولِ مَا قَضَيْتَ لِي وَ عَلَيَّ وَ رَضِّنِي بِمَا أَخَذْتَ لِي وَ مِنِّي، وَ اهْدِنِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَ اسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَسْلَمُ. اللَّهُمَّ وَ إِنْ كَانَتِ الْخِيَرَةُ لِي عِنْدَكَ فِي تَأْخِيرِ الْأَخْذِ لِي وَ تَرْكِ الِانْتِقَامِ مِمَّنْ ظَلَمَنِي إِلَى يَوْمِ الْفَصْلِ وَ مَجْمَعِ الْخَصْمِ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَيِّدْنِي مِنْكَ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَ صَبْرٍ دَائِمٍ**»[3] يقول في مكان آخر: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ قِنِي مِنَ الْمَعَاصِي، وَ اسْتَعْمِلْنِي بِالطَّاعَةِ، وَ ارْزُقْنِي حُسْنَ الْإِنَابَةِ، وَ طَهِّرْنِي بِالتَّوْبَةِ، وَ أَيِّدْنِي بِالْعِصْمَةِ، وَ اسْتَصْلِحْنِي بِالْعَافِيَةِ، وَ**

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٢.
٢. نهج البلاغة، حكمة ٢٣٨.
٣. الصحيفة السجادية، الدعاء ١٤.

أَذِقْنِي حَلاَوَةَ الْمَغْفِرَةِ، وَ اجْعَلْنِي طَلِيقَ عَفْوِكَ، وَ عَتِيقَ رَحْمَتِكَ، وَ اكْتُبْ لِي أَمَاناً مِنْ سُخْطِكَ، وَ بَشِّرْنِي بِذَلِكَ فِي الْعَاجِلِ دُونَ الْآجِلِ، بُشْرَى أَعْرِفُهَا، وَ عَرِّفْنِي فِيهِ عَلاَمَةً أَتَبَيَّنُهَا.»[1] يطلب الإمام السجاد (عليه السلام) من الله أن يضع حياته على الطريق الذي خلق من أجله، وأن يكرس حياته أيضاً للأمور التي سيسأل عنها الله في القيامة، كما يقول: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الاِهْتِمَامُ بِهِ، وَ اسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ، وَ اسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَ أَغْنِنِي وَ أَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَ لَا تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَ أَعِزَّنِي وَ لَا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَ عَبِّدْنِي لَكَ وَ لَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَ أَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدِيَ الْخَيْرَ وَ لَا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَ هَبْ لِي مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَ اعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ.»**[2] يقول في هذا الدعاء: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ نَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ، وَ اسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَ انْهَجْ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَهْلَةً، أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.»**[3] قال هذا في الدعاء ٥٤: **«اللَّهُمَّ اجْعَلْ رَغْبَتِي فِي مَسْأَلَتِي مِثْلَ رَغْبَةِ أَوْلِيَائِكَ فِي مَسَائِلِهِمْ، وَ رَهْبَتِي مِثْلَ رَهْبَةِ أَوْلِيَائِكَ، وَ اسْتَعْمِلْنِي فِي مَرْضَاتِكَ عَمَلاً لَا أَتْرُكُ مَعَهُ شَيْئاً مِنْ دِينِكَ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ.»**[4] كل هذه الأدعية المباركة تعبر عن الرغبة في الخدمة والتقرب إلى الله، والتي يترتب عليها اتصال الحياة الدنيا بالآخرة والمؤمن يضع حياته في طريق يصل به إلى الحياة الآخرة الأبدية ولقاء الحبيب

١. المصدر نفسه، الدعاء ٢٠.
٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه.
٤. المصدر نفسه، الدعاء ٥٤.

والمحبوب الحقيقي، ولذلك يصبح الاهتمام بالآخرة والحرص على لقاء الله عاملاً في تقوية العبودية وزيادة المعرفة الإنسانية

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِه عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ:

(١) اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعَنْتَنِي عَلَى خَتْمِ كِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ نُوراً، وَ جَعَلْتَهُ مُهَيْمِناً عَلَى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ، وَ فَضَّلْتَهُ عَلَى كُلِّ حَدِيثٍ قَصَصْتَهُ. (٢) وَ فُرْقَاناً فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلَالِكَ وَ حَرَامِكَ، وَ قُرْآناً أَعْرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ وَ كِتَاباً فَصَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلًا، وَ وَحْياً أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ- صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَ آلِهِ- تَنْزِيلًا. (٣) وَ جَعَلْتَهُ نُوراً نَهْتَدِي مِنْ ظُلَمِ الضَّلَالَةِ وَ الْجَهَالَةِ بِاتِّبَاعِهِ، وَ شِفَاءً لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيقِ إِلَى اسْتِمَاعِهِ، وَ مِيزَانَ قِسْطٍ لَا يَحِيفُ عَنِ الْحَقِّ لِسَانُهُ، وَ نُورَ هُدًى لَا يَطْفَأُ عَنِ الشَّاهِدِينَ بُرْهَانُهُ، وَ عَلَمَ نَجَاةٍ لَا يَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنَّتِهِ، وَ لَا تَنَالُ أَيْدِي الْهَلَكَاتِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ. (٤) اللَّهُمَّ فَإِذْ أَفَدْتَنَا الْمَعُونَةَ عَلَى تِلَاوَتِهِ، وَ سَهَّلْتَ جَوَاسِيَ أَلْسِنَتِنَا بِحُسْنِ عِبَارَتِهِ، فَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَ يَدِينُ لَكَ بِاعْتِقَادِ التَّسْلِيمِ لِمُحْكَمِ آيَاتِهِ، وَ يَفْزَعُ إِلَى الْإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِهِ، وَ مُوضَحَاتِ بَيِّنَاتِهِ. (٥) اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ- مُجْمَلًا، وَ أَلْهَمْتَهُ عِلْمَ عَجَائِبِهِ مُكَمَّلًا، وَ وَرَّثْتَنَا عِلْمَهُ مُفَسَّراً، وَ فَضَّلْتَنَا عَلَى مَنْ جَهِلَ عِلْمَهُ، وَ قَوَّيْتَنَا عَلَيْهِ لِتَرْفَعَنَا فَوْقَ مَنْ لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ. (٦) اللَّهُمَّ فَكَمَا جَعَلْتَ قُلُوبَنَا لَهُ حَمَلَةً، وَ عَرَّفْتَنَا بِرَحْمَتِكَ شَرَفَهُ وَ فَضْلَهُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ الْخَطِيبِ بِهِ، وَ عَلَى آلِهِ الْخُزَّانِ لَهُ، وَ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّى لَا يُعَارِضَنَا الشَّكُّ فِي

تَصْدِيقِـهِ، وَ لَا يَخْتَلِجَنَـا الزَّيْغُ عَنْ قَصْدِ طَرِيقِهِ. (٧) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ، وَ يَأْوِي مِنَ الْمُتَشَـابِهَاتِ إِلَى حِـرْزِ مَعْقِلِهِ، وَ يَسْـكُنُ فِي ظِلِّ جَنَاحِـهِ، وَ يَهْتَدِي بِضَوْءِ صَبَاحِهِ، وَ يَقْتَدِي بِتَبَلُّجِ أَسْفَارِهِ، وَ يَسْتَصْبِحُ بِمِصْبَاحِهِ، وَ لَا يَلْتَمِسُ الْهُدَى فِي غَـيْرِهِ. (٨) اللَّهُـمَّ وَ كَمَـا نَصَبْتَ بِهِ مُحَمَّداً عَلَمـاً لِلدَّلَالَةِ عَلَيْكَ، وَ أَنْهَجْتَ بِآلِهِ سُبُلَ الرِّضَا إِلَيْكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اجْعَلِ الْقُرْآنَ وَسِـيلَةً لَنَـا إِلَى أَشْرَفِ مَنَـازِلِ الْكَرَامَةِ، وَ سُـلَّماً نَعْرُجُ فِيـهِ إِلَى مَحَلِّ السَّلَامَةِ، وَ سَبَباً نُجْزَى بِهِ النَّجَاةَ فِي عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ، وَ ذَرِيعَةً نَقْدَمُ بِهَا عَلَى نَعِيمِ دَارِ الْمُقَامَةِ. (٩) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ احْطُطْ بِالْقُـرْآنِ عَنَّـا ثِقْلَ الْأَوْزَارِ، وَ هَبْ لَنَا حُسْـنَ شَـمَائِلِ الْأَبْرَارِ، وَ اقْفُ بِنَـا آثَـارَ الَّذِينَ قَامُوا لَكَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْـلِ وَ أَطْرَافَ النَّهَارِ حَتَّى تُطَهِّرَنَا مِـنْ كُلِّ دَنَـسٍ بِتَطْهِـيرِهِ، وَ تَقْفُوَ بِنَا آثَارَ الَّذِينَ اسْـتَضَاءُوا بِنُورِهِ، وَ لَـمْ يُلْهِهِـمُ الْأَمَلُ عَنِ الْعَمَلِ فَيَقْطَعَهُمْ بِخُـدَعِ غُرُورِهِ. (١٠) اللَّهُمَّ صَـلِّ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِـهِ، وَ اجْعَلِ الْقُـرْآنَ لَنَا فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي مُونِسـاً، وَ مِـنْ نَزَغَاتِ الشَّـيْطَانِ وَ خَطَرَاتِ الْوَسَـاوِسِ حَارِسـاً، وَ لِأَقْدَامِنَا عَـنْ نَقْلِهَـا إِلَى الْمَعَاصِي حَابِسـاً، وَ لِأَلْسِـنَتِنَا عَنِ الْخَـوْضِ فِي الْبَاطِلِ مِنْ غَيْرِ مَا آفَةٍ مُخْرِسـاً، وَ لِجَوَارِحِنَا عَنِ اقْتِرَافِ الْآثَامِ زَاجِراً، وَ لِمَا طَـوَتِ الْغَفْلَـةُ عَنَّا مِنْ تَصَفُّحِ الِاعْتِبَارِ نَاشِراً، حَتَّى تُوصِلَ إِلَى قُلُوبِنَا فَهْـمَ عَجَائِبِـهِ، وَ زَوَاجِـرَ أَمْثَالِهِ الَّتِـي ضَعُفَتِ الْجِبَالُ الـرَّوَاسِي عَلَى صَلَابَتِهَـا عَـنِ احْتِمَالِـهِ. (١١) اللَّهُـمَّ صَلِّ عَـلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِـهِ، وَ أَدِمْ بِالْقُرْآنِ صَلَاحَ ظَاهِرِنَا، وَ احْجُبْ بِهِ خَطَرَاتِ الْوَسَـاوِسِ عَنْ صِحَّةِ ضَمَائِرِنَـا، وَ اغْسِـلْ بِـهِ دَرَنَ قُلُوبِنَـا وَ عَلَائِـقَ أَوْزَارِنَـا، وَ اجْمَعْ بِهِ

مُنْتَشَر أُمُورِنَا، وَ أَرْوِ بِهِ فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ظَمَأَ هَوَاجِرِنَا، وَ اكْسُنَا بِهِ حُلَلَ الْأَمَانِ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ فِي نُشُورِنَا. (١٢) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اجْبُرْ بِالْقُرْآنِ خَلَّتَنَا مِنْ عَدَمِ الْإِمْلَاقِ، وَ سُقْ إِلَيْنَا بِهِ رَغَدَ الْعَيْشِ وَ خِصْبَ سَعَةِ الْأَرْزَاقِ، وَ جَنِّبْنَا بِهِ الضَّرَائِبَ الْمَذْمُومَةَ وَ مَدَانِيَ الْأَخْلَاقِ، وَ اعْصِمْنَا بِهِ مِنْ هُوَّةِ الْكُفْرِ وَ دَوَاعِي النِّفَاقِ حَتَّى يَكُونَ لَنَا فِي الْقِيَامَةِ إِلَى رِضْوَانِكَ وَ جِنَانِكَ قَائِداً، وَ لَنَا فِي الدُّنْيَا عَنْ سُخْطِكَ وَ تَعَدِّي حُدُودِكَ ذَائِداً، وَ لِمَا عِنْدَكَ بِتَحْلِيلِ حَلَالِهِ وَ تَحْرِيمِ حَرَامِهِ شَاهِداً. (١٣) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ هَوِّنْ بِالْقُرْآنِ عِنْدَ الْمَوْتِ عَلَى أَنْفُسِنَا كَرْبَ السِّيَاقِ، وَ جَهْدَ الْأَنِينِ، وَ تَرَادُفَ الْحَشَارِجِ إِذَا بَلَغَتِ النُّفُوسُ التَّرَاقِيَ، وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ وَ تَجَلَّى مَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِهَا مِنْ حُجُبِ الْغُيُوبِ، وَ رَمَاهَا عَنْ قَوْسِ الْمَنَايَا بِأَسْهُمِ وَحْشَةِ الْفِرَاقِ، وَ دَافَ لَهَا مِنْ ذُعَافِ الْمَوْتِ كَأْساً مَسْمُومَةَ الْمَذَاقِ، وَ دَنَا مِنَّا إِلَى الْآخِرَةِ رَحِيلٌ وَ انْطِلَاقٌ، وَ صَارَتِ الْأَعْمَالُ قَلَائِدَ فِي الْأَعْنَاقِ، وَ كَانَتِ الْقُبُورُ هِيَ الْمَأْوَى إِلَى مِيقَاتِ يَوْمِ التَّلَاقِ (١٤) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ بَارِكْ لَنَا فِي حُلُولِ دَارِ الْبِلَى، وَ طُولِ الْمُقَامَةِ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى، وَ اجْعَلِ الْقُبُورَ بَعْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا خَيْرَ مَنَازِلِنَا، وَ افْسَحْ لَنَا بِرَحْمَتِكَ فِي ضِيقِ مَلَاحِدِنَا، وَ لَا تَفْضَحْنَا فِي حَاضِرِي الْقِيَامَةِ بِمُوبِقَاتِ آثَامِنَا. (١٥) وَ ارْحَمْ بِالْقُرْآنِ فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقَامِنَا، وَ ثَبِّتْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جِسْرِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْمَجَازِ عَلَيْهَا زَلَلَ أَقْدَامِنَا، وَ نَوِّرْ بِهِ قَبْلَ الْبَعْثِ سُدَفَ قُبُورِنَا، وَ نَجِّنَا بِهِ مِنْ كُلِّ كَرْبِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ شَدَائِدِ أَهْوَالِ يَوْمِ الطَّامَّةِ (١٦) وَ بَيِّضْ وُجُوهَنَا يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ فِي يَوْمِ الْحَسْرَةِ وَ النَّدَامَةِ،

وَ اجْعَلْ لَنَا فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ وُدّاً، وَ لَا تَجْعَلِ الْحَيَاةَ عَلَيْنَا نَكَداً. (١٧) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ كَمَا بَلَّغَ رِسَالَتَكَ، وَ صَدَعَ بِأَمْرِكَ، وَ نَصَحَ لِعِبَادِكَ. (١٨) اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَبِيَّنَا- صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقْرَبَ النَّبِيِّينَ مِنْكَ مَجْلِساً، وَ أَمْكَنَهُمْ مِنْكَ شَفَاعَةً، وَ أَجَلَّهُمْ عِنْدَكَ قَدْراً، وَ أَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ جَاهاً. (١٩) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَ شَرِّفْ بُنْيَانَهُ، وَ عَظِّمْ بُرْهَانَهُ، وَ ثَقِّلْ مِيزَانَهُ، وَ تَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ، وَ قَرِّبْ وَسِيلَتَهُ، وَ بَيِّضْ وَجْهَهُ، وَ أَتِمَّ نُورَهُ، وَ ارْفَعْ دَرَجَتَهُ (٢٠) وَ أَحْيِنَا عَلَى سُنَّتِهِ، وَ تَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ وَ خُذْ بِنَا مِنْهَاجَهُ، وَ اسْلُكْ بِنَا سَبِيلَهُ، وَ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَ احْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، وَ أَوْرِدْنَا حَوْضَهُ، وَ اسْقِنَا بِكَأْسِهِ (٢١) وَ صَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، صَلَاةً تُبَلِّغُهُ بِهَا أَفْضَلَ مَا يَأْمُلُ مِنْ خَيْرِكَ وَ فَضْلِكَ وَ كَرَامَتِكَ، إِنَّكَ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ، وَ فَضْلٍ كَرِيمٍ. (٢٢) اللَّهُمَّ اجْزِهِ بِمَا بَلَّغَ مِنْ رِسَالَاتِكَ، وَ أَدَّى مِنْ آيَاتِكَ، وَ نَصَحَ لِعِبَادِكَ، وَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ، أَفْضَلَ مَا جَزَيْتَ أَحَداً مِنْ مَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَ أَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ الْمُصْطَفَيْنَ، وَ السَّلَامُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ.

الفصل الخامس

الخصائص العبادية و السلوكية في الحياة الطيبة

العبادة والمؤشرات السلوكية هي أعمال يقوم بها المؤمن فردياً وشخصياً، وتعتبر هذه الحالات من الأعمال الصالحة، وهي من أهم مؤشرات الحياة الطيبة. يكون الإيمان والاعتقاد فعالين عندما يكونان مصحوبين بالعمل. فيما يلي نناقش الخصائص التعبدية والسلوكية من وجهة نظر الصحيفة السجادية في جزأين.

الاول: الخصائص العبادية

أداء الصلاة:

الصلاة ركن من أركان الدين، وقد أكدت التعاليم الدينية على أهميتها كثيراً. قد ذكر الإمام السجاد أيضاً أهمية الصلاة ومكانها في ادعيته. وفي الدعاء لوصول شهر رمضان المبارك يسأل الله التوفيق للصلوات الخمس، وهي الصلاة التي تؤدي بكل آدابها وفروضها. يدعو الإمام بهذه الطريقة: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ قِفْنَا فِيهِ عَلَى مَوَاقِيتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بِحُدُودِهَا الَّتِي حَدَّدْتَ، وَ فُرُوضِهَا الَّتِي فَرَضْتَ، وَ وَظَائِفِهَا الَّتِي وَظَّفْتَ، وَ أَوْقَاتِهَا الَّتِي وَقَّتَ**» .[1] وفي هذا الدعاء يطلب الإمام السجاد (عليه السلام) من الله أن يؤدي الصلوات الخمس بحدودها وفروضها. في هذا الدعاء تم ذكر نقاط مهمة جدًا حول أهمية الصلاة وكيفية الصلاة بشكل صحيح. بمعنى آخر في هذا الدعاء، يعلم الإمام كيفية الصلاة المقبولة والمستحقة بلغة الدعاء. الصلاة اللتي تؤدى بحدودها و واجباتها وفي أوقاتها. في استمرار هذه العبارة يمضي الإمام

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٤.

السجاد (عليه السلام) في شرح الصلاة المستحق والمرضي لله فيقول: «**وَ أَنْزِلْنَا فِيهَا مَنْزِلَةَ الْمُصِيبِينَ لِمَنَازِلِهَا، الْحَافِظِينَ لِأَرْكَانِهَا، الْمُؤَدِّينَ لَهَا فِي أَوْقَاتِهَا عَلَى مَا سَنَّهُ عَبْدُكَ وَ رَسُولُكَ- صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَ آلِهِ- فِي رُكُوعِهَا وَ سُجُودِهَا وَ جَمِيعِ فَوَاضِلِهَا عَلَى أَتَمِّ الطَّهُورِ وَ أَسْبَغِهِ، وَ أَبْيَنِ الْخُشُوعِ وَ أَبْلَغِهِ.**»[1] في تكملة الجمل الأولى يشير الإمام السجاد (عليه السلام) إلى آداب الصلاة وأحكامها الأخرى، وفي هذا الدعاء يسأل الإمام الله أن يجعله في مكانة المصلين الحقيقيين؛ و قوله «**وَ أَنْزِلْنَا فِيهَا مَنْزِلَةَ الْمُصِيبِينَ لِمَنَازِلِهَا**» يدل على ذلك. فيما يلي بيان لشعائر وأحكام أخرى للصلاة، منها: الصلاة في اول الوقت على السنة النبوية، الركوع والسجود والترتيبات الصحيحة، والصلاة مع الخضوع والخشوع. هذه العبارات على شكل الدعاء تعلم المؤمن كيف يؤدي صلاة لائقة، حتى يتمكن من أداء صلاته على النحو الذي يرضي الله. تُظهر هذه المحتويات والتأكيدات الخاصة بالإمام السجاد أهمية الصلاة ومكانتها في التراث الإسلامي. يعتبر أداء الصلاة من الأمور التي تجب على المؤمنين أدائها وذكرت وجوب المحافظة على الصلوات الخمس في هذه الآية المباركة: «**أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً**».[2] الصلاة هي نوع من العبادة المنظمة و هي عبادة عاليا ولها دور فاعل في إنقاذ البشر من الانغماس والتلوثات النفسية:« **وَ أَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ**»[3] طبيعة الصلاة- حيث أنّها تذكر بأقوى رادع

١. المصدر نفسه.
٢. الاسراء/٧٨.
٣. العنكبوت/٤٥.

للنفـس، و هو الاعتقاد بالمبدأ و المعاد- فإنّها تردع عن الفحشـاء و المنكر، فالإنسـان الذي يقف للصلاة، و يكبّر، يرى اللّه أعلى من كل شيء و أسـمى مـن كل شيء، و يتذكـر نعمه فيحمده و يشـكره، و يثني عليه و ينعته بأنّه رحمـان رحيـم، و يذكر يـوم الجزاء «يوم الدين» و يعـترف بالعبودية له، و يطلب منه العون، و يسـتهديه الصراط المسـتقيم، و يتعوذ به من طريق المغضوب عليهم، و يلتجئ إليه (مضمون سـورة الحمد). فلا شـك أنّ قلب مثل هذا الإنسان و روحه سوف تدبّ فيها حركة نحو الحقّ، و اندفاع نحو الطهـارة، و نهـوض نحـو التقوى.يركع للّه .. و يضـع جبهته على الأرض سـاجدا لحضرتـه، و يغرق في عظمتـه، و ينسى أنانيتـه و ذاتيّاته جميعا.و يشـهد بوحدانيتـه و برسـالة النّبي صـلّى اللّه عليه و آله.و يصلي و يسـلم عـلى نبيّـه، و يرفع يديه متضرعا بالدعاء ليجعله في زمرة عباده الصالحين. جميـع هـذه الأمور تمنح وجوده موجـا من المعنوية، و تكون سـدا منيعا بوجـه الذنـوب. و يتكرر هذا العمل عـدة مرّات «ليل نهـار» فحين ينهض صباحـا يقـف بين يدي ربّه و خالقه ليناجيه و عند منتصف النهار و بينما هو غارق في حياته المادية يفاجأ بصوت تكبير المؤذن، فيقطع عمله و يسرع إلى حضرتـه، بـل في آخر النهار بداية الليـل أيضا و قبل أن يدلف إلى فراش الدعـة و الراحـة، يدعوه و يطلب منه حاجته، و يجعـل قلبه مركز أنواره. و بغـض النظر عن كل ما تقدم فإنّ الإنسـان حـين يتهيأ لمقدمات الصلاة، يطهّر بدنه و يبعد عنه مسائل الحرام و الغصب، و يتجه إلى الحبيب، فكلّ هـذه الأمـور لها تأثير رادع لنوازع الفحشـاء و المنكر.غايـة ما في الأمر أنّ كل صـلاة- بحسـب شروط الكمـال و روح العبادة لهـا- أثر رادع ناه عن الفحشـاء و المنكـر، فتارة تنهى نهيـا كليّا و أخرى جزئيـا ..و محدودا. و

لا يمكـن لأحـد أن يصـلي و لا تـدع الصلاة فيه أثرا حتى لـو كانت الصلاة صورية، و حتى لو كان ملوّثا بالذنب! و بالطبع فإنّ مثل هذه الصلاة قليلة الفائدة و مثل هؤلاء الأفراد لو لم يصلّوا صلاة كهذه لكانوا أسـوأ ممّا هم عليه.[١]

مـن أهـم أمثلـة الفجور هو التكبر أمـام الله، والصلاة عامـل في منع ذلك. الصلاة هي مثال للعبادة والعبودية أمام الله، وتصبح هذه العبودية عاملاً ضـد التكـبر أمـام الله؛ هذه المسـألة المهمة مسـتنبطة من عدة آيـات منها: **«إِنَّ الَّذيـن عِنْـدَ رَبِّـكَ لا يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِـهِ وَ يُسَـبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْـجُدُونَ»**[٢] من أهم أمثلة العبادات المذكـورة في هذه الآية، الصلاة التي ترتبـط بنفـي الاسـتكبار؛ أي أن عبادة الله عامل من عوامـل نفي الكبرياء والتكـبر أمامه. يؤكد صاحب تفسـيري "من هدي القرآن" على نفس الشيء فيقـول: «و عنـد ما يشـعر الفرد أنه عند اللّـه، و ان ربه حاضر عنده، آنئذ يشعر بجلالة اللّه و مدى عظمته، فيخضع للّه و ينزع عن نفسه الاستكبار الزائف، و عندئذ يعرف اللّه و يزداد إيمانا بعظمته، فيسـبحه و ينزهه عن النقص، و عندئذ تظهر علامات الخشـوع عليه فيسـجد للّه.» [٣] هذه الآية المباركة هي آية أخرى تتعلق بالمناقشـة: **«وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُوني أَسْـتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ»**.[٤] إن الصلاة من أمثلة السـؤال والدعاء إلى الله، لأن الدعاء في هذه الآية يفسر على أنه عبادة، وهو ما يتجلى أكثر في الصلاة.. يعرّف القرآن الكريم الصلاة

١. مكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج١٢، ص: ٤٠١-٤٠٠.
٢. الاعراف/٢٠٦.
٣. المدرسي، من هدي القرآن، ج٣، ص٥٢٩.
٤. غافر/٦٠.

كسمة من سمات أسلوب حياة الأتقياء:« **ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ *الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ**»[1]

من يقوم بالصلاة لعبادة الله خمس مرات على الأقل و يتضرّع إلى الله ويخلص فكره، وأفعاله، وكلماته لله و كيف يمكن لمثل هذا الإنسان أن يقوم بأفعال ضد مشيئة الله؟ إضافة إلى ذلك، الصلاة تجعل النفس البشرية تقاوم أمام المصاعب كما جاء في القرآن: «**إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً *إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً *وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً *إِلاَّ الْمُصَلِّينَ *الَّذينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ**»[2] قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عن الصلاة: «**تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ وَ حَافِظُوا عَلَيْهَا وَ اسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَ تَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً أَ لَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا- مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَ إِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ وَ تُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَقِ وَ شَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَ اللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ وَ قَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَ لَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَ لَا مَالٍ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ- رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص نَصِباً بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها فَكَانَ**

---

١. البقرة/٣-٢.

٢. المعارج/٢٣-١٩.

يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَ [يُصْبِرُ يَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَـه».[١] لذلك فإن أداء الصلاة بآدابهـا وشروطهـا له آثـار عظيمة على حياة الإنسـان، ويجعلـه يصل إلى درجات عالية من المعرفة والقرب من الله وفي ادعية الإمام السـجاد يشـار إلى آداب الصلاة وشروطها.

الصيام:

جعـل اللـه الصيام واجبا لجعـل الناس أتقيـاء كما قال اللـه تعالى:**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُـون**»[٢] للصيـام أهمية خاصة بين العبادات الإسـلامية. وله آثار بناءة اجتماعياً، وأخلاقياً، و تعليمياً و فردياً و لهذا السبب جعل الله هذه النعمة واجبة في كل العصور حتى يسـتفيد الجميع من آثاره و بركاته.[٣]من أجل آثـار ملحوظة للصيام قال اللـه تعالى:« **وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُـون**»[٤] إنّ نتائـج بحـوث العلمـاء في هـذا الصدد واضـح تماما. على أسـاس هذه البحوث، الصيام يسـبب تقليل أعراض القلق، و تحسين الأداء الاجتماعـي، و تقليل الاكتئاب.[٥] كما يذكر الإمام السـجاد في ادعيته أهمية الصيـام ومكانتـه العظيمة. يقول في بيـان أهمية الصيـام ومكانة وكرامة شـهر رمضان المبارك وفضائل هذا الشـهر: «**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّـبُلِ شَـهْرَهُ شَـهْرَ رَمَضَانَ، شَهْرَ الصِّيَام، وَ شَـهْرَ الْإِسْلَام، وَ شَـهْرَ الطَّهُـورِ، وَ شَـهْرَ التَّمْحِيـصِ، وَ شَـهْرَ الْقِيَـامِ الَّـذِي أُنْزِلَ**

---

١. نهج البلاغه، خطبه ١٩٩.
٢. البقرة/١٨٣.
٣. هاشم زاده هريسى، ثقافة القرآن، ج٢، صص٢٣٤-٢٣٣.
٤. البقرة/١٨٤.
٥. المالوني، الاسلام و سلامة الروح، ص٢٥٨.

فِيهِ الْقُرْآنُ، هُدىً لِلنَّاسِ، وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقَانِ فَأَبَانَ فَضِيلَتَهُ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنَ الْحُرُمَاتِ الْمَوْفُورَةِ، وَ الْفَضَائِلِ الْمَشْهُورَةِ، فَحَرَّمَ فِيهِ مَا أَحَلَّ فِي غَيْرِهِ إِعْظَاماً، وَ حَجَرَ فِيهِ الْمَطَاعِمَ وَ الْمَشَارِبَ إِكْرَاماً، وَ جَعَلَ لَهُ وَقْتاً بَيِّناً لَا يُجِيزُ- جَلَّ وَ عَزَّ- أَنْ يُقَدَّمَ قَبْلَهُ، وَ لَا يَقْبَلُ أَنْ يُؤَخَّرَ عَنْهُ. ثُمَّ فَضَّلَ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيهِ عَلَى لَيَالِي أَلْفِ شَهْرٍ، وَ سَمَّاهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ، دَائِمُ الْبَرَكَةِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِمَا أَحْكَمَ مِنْ قَضَائِهِ.»[1] بهذه العبارات يبين الإمام حقيقة ومكانة شهر رمضان وصيام هذا الشهر، وفضائل هذا الشهر وليلة القدر. فيما يلي يسأل الإمام (عليه السلام) الله صياماً مقبولاً ومرضياً عند الله ويقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَلْهِمْنَا مَعْرِفَةَ فَضْلِهِ وَ إِجْلَالَ حُرْمَتِهِ، وَ التَّحَفُّظَ مِمَّا حَظَرْتَ فِيهِ، وَ أَعِنَّا عَلَى صِيَامِهِ بِكَفِّ الْجَوَارِحِ عَنْ مَعَاصِيكَ، وَ اسْتِعْمَالِهَا فِيهِ بِمَا يُرْضِيكَ حَتَّى لَا نُصْغِيَ بِأَسْمَاعِنَا إِلَى لَغْوٍ، وَ لَا نُسْرِعَ بِأَبْصَارِنَا إِلَى لَهْوٍ وَ حَتَّى لَا نَبْسُطَ أَيْدِيَنَا إِلَى مَحْظُورٍ، وَ لَا نَخْطُوَ بِأَقْدَامِنَا إِلَى مَحْجُورٍ، وَ حَتَّى لَا تَعِيَ بُطُونُنَا إِلَّا مَا أَحْلَلْتَ، وَ لَا تَنْطِقَ أَلْسِنَتُنَا إِلَّا بِمَا مَثَّلْتَ، وَ لَا نَتَكَلَّفَ إِلَّا مَا يُدْنِي مِنْ ثَوَابِكَ، وَ لَا نَتَعَاطَى إِلَّا الَّذِي يَقِي مِنْ عِقَابِكَ، ثُمَّ خَلِّصْ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ رِئَاءِ الْمُرَاءِينَ، وَ سُمْعَةِ الْمُسْمِعِينَ، لَا نُشْرِكُ فِيهِ أَحَداً دُونَكَ، وَ لَا نَبْتَغِي فِيهِ مُرَاداً سِوَاكَ.»**[2] في هذه العبارة يوضح الإمام مدى ونطاق الصيام المقبول والمرضي عند

---

١. الصحيفة السجادية، الدعاء٤٤.

٢. المصدر نفسه.

الله. هذه العبارة تشرح جودة الصيام الأمثل. صوم تحترم فيه حدود الله، وتصام فيه الأعضاء والجوهر والقلب. يقول الامام الصادق(عليه السلام) ايضا في هذا الصدد: «**إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَ بَصَرُكَ وَ شَعْرُكَ وَ جِلْدُكَ وَ عَدَّدَ أَشْيَاءَ غَيْرَ هَذَا وَ قَالَ لَا يَكُونُ يَوْمُ صَوْمِكَ كَيَوْمِ فِطْرِك**»[1] فالصوم الذي يتم مع عاداته وشروطه يكون له نتائج جيدة جدًا في حياة المؤمن. يقول الامام علي (عليه السلام) عن هذا: «**مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَ الزَّكَوَاتِ وَ مُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ وَ تَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ وَ تَذْلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ وَ تَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ وَ إِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ وَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً وَ الْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً وَ لُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلًا مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَ الْفَقْرِ**».[2]

لذلك فإن للصيام والاهتمام به آثاراً كثيرة في حياة الإنسان، نتيجتها سعادة الدنيا والآخرة، وهذا الواجب من خصائص الحياة الطيبة.

الزكاة

من أهم القضايا الاجتماعية التي اهتم بها القرآن الكريم كثيرا، هو الاهتمام باقتصاد المجتمع وإزالة الفقر من المجتمع. لهذا السبب ومن أجل النمو الاقتصادي للمحتاجين وإزالة الفقر من المجتمع تم وضع القواعد والأنظمة الاقتصادية مثل الزكاة والخمس. يقول الإمام السجاد في دعائه عن أهمية

١. الكليني، الكافي، ج٤، ص٨٧.
٢. نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

الـزكاة والاجتهاد فيها وأداءها: «**وَ وَفِّقْنَـا فِيهِ لِأَنْ نَصِلَ أَرْحَامَنَا بِالْبِرِّ وَ الصِّلَـةِ، وَ أَنْ نَتَعَاهَـدَ جِيرَانَنَـا بِالْإِفْضَالِ وَ الْعَطِيَّـةِ، وَ أَنْ نُخَلِّصَ أَمْوَالَنَـا مِـنَ التَّبِعَـاتِ، وَ أَنْ نُطَهِّرَهَا بِإِخْرَاجِ الزَّكَـوَاتِ، وَ أَنْ نُرَاجِعَ مَنْ هَاجَرَنَا، وَ أَنْ نُنْصِفَ مَنْ ظَلَمَنَا، وَ أَنْ نُسَـالِمَ مَنْ عَادَانَا حَاشَى مَـنْ عُـودِيَ فِيـكَ وَ لَكَ، فَإِنَّـهُ الْعَدُوُّ الَّـذِي لَا نُوَالِيـهِ، وَ الْحِزْبُ الَّذِي لَا نُصَافِيـهِ.**»[١] كلمـة "زكوة" لها معنيان من جـذر زكا أو زكو وهي إما مصدر " زكى " إذا نمى لانها تستجلب البركة في المال وتنميه وتفيد النفس فضيلـة الكـرم، وإما مصـدر " زكا " إذا طهر لأنها تطهـر المال من الخبث والنفـس البخيلة من البخـل.[٢] وأن كلا المعنيين ممكـن؛ أي أن أداء الزكاة يطهـر النفس من الدنـس والخبائث، كما يبارك في رزق الإنسـان ويزيده. وقـد كتـب ابن منظور في تعريف "الزكاة" وارتباطهـا بالتزكية: «والزَّكَاةُ: زَكاةُ الْمَـالِ مَعْرُوفَةٌ، وَهُوَ تَطْهِيرُهُ، وَالْفِعْـلُ مِنْهُ زَكَّى يُزَكِّي تَزْكِيةً إِذا أَدّى عَـنْ مَالِـهِ زَكاته غَيْرُهُ: الـزَّكاة مَا أَخرجته من مالك لتهطـره بِهِ، وَقَدْ زَكَّى المالَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَتُزَكِّيهِمْ بِها؛ قَالُوا: تُطهِّرُهم بِهَا»[٣] وحقيقة أن الزكاة تؤدي إلى تزكية النفس هي أن الإنسان ينفق في سبيل الله مما رزقه ويهتم بـه مادياً في سـبيل الله، ولهذا السـبب يتغلب على نفسـه و ولعـه الدنيوية وينفقهـا في مرضاة الله، مما يؤدي إلى تطهـير النفس وتزكيتها: «**خُذْ مِنْ أَمْوالِهِـمْ صَدَقَـةً تُطَهِّرُهُـمْ وَ تُزَكِّيهِـمْ بِها وَ صَلِّ عَلَيْهِـمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَـكَنٌ لَهُمْ وَ اللَّهُ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ**».[٤] إنّ كلمة (من) التبعيضية توضح أنّ

١. الصحيفة السجادية، دعاي٤٤.
٢. الطريحي، مجمع البحرين، ج٢، ص٢٨٣.
٣. ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٣٨٥.
٤. التوبة/١٠٣.

الزكاة تشكل- دائما- جزءا من الأموال، لا أنّها تستوعب جميع الأموال، أو الجزء الأكبر منها. ثمّ تشير إلى قسمين من الفلسفة الأخلاقية و الاجتماعية للـزكاة، حيث تقول:**تُطَهِّرُهُـمْ وَ تُزَكِّيهِمْ** ؛ بِها فهي تطهرهم من الرّذائل الأخلاقيـة، و مـن حبّ الدنيـا و عبادتها، و من البخل و غيره من مسـاوئ الأخلاق، و تزرع مكانها خلال الحب و السخاء و رعاية حقوق الآخرين في نفوسـهم. فإنّ المفاسـد الاجتماعية والانحطاط الخلقي والاجتماعي المتولّد مـن الفقـر والتفـاوت الطبقـي و الذي يـؤدي إلى وجود طبقـة محرومة، كل هذه الأمور سـتقتلع بتطبيق هذه الفريضـة الإلهية وأدائها، وهي التي تطهر المجتمع من التلوث الذي يعيشـه ويحيط به، وكذلك سـيفعّل التكافل الاجتماعي، وينمو ويتطور الإقتصاد في ظل مثل هذه البرامج. وعلى هذا فإنّ حكـم الزكاة مطهر للفرد والمجتمع من جهـة ويكرّس الفضيلة في النفوس من جهة أخرى، وهو سـبب في تقدم المجتمـع أيضا، ويمكن القول بأنّ هذا التعبير أبلغ ما يمكن قوله في الزكاة، فهي تزيل الشوائب من جهة، و وسيلة للتكامـل مـن جانب آخر.[١] «**وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ رِبـاً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوالِ النَّاسِ فَـلا يَرْبُـوا عِنْدَ اللَّهِ وَ ما آتَيْتُـمْ مِنْ زَكاةٍ تُريدُونَ وَجْـهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ**».[٢] وكلمة **"الْمُضْعِفُونَ"** تدل على زيادة الرزق بسبب دفع الـزكاة، «**فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُـونَ**» الذين يضاعف اللّه لهم مالهم في الدنيا في ما يحققه لهم من رزق واسـع، أو ما يمنحهم في الآخرة من ثوابه الذي يضاعفـه لهم، فيعطي الحسـنة عـشر أمثالها، ويعطيهم بالحبة سـبعمائة قابلـة للزيـادة.[٣] ويذكر صاحب التفسـير الجديد في تفسـير القرآن، زيادة

١. المكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج٦، ص ٢٠٠.
٢. الروم/ ٣٩.
٣. فضل الله، من وحي القرآن، ج١٨، ص١٤١.

الأجر والثروة سواء في تفسير هذه الآية ويكتب: «**هُمُ الْمُضْعِفُونَ** أي ذوو المكافأة والمضاعفة من الثواب في الآجل، والمال في العاجل، كما يقال: موسر أي: ذو يسار. والحاصل أن هؤلاء هم الذين يضاعفون ثوابهم و أموالهم ببركة الزكاة.»[1] في دعاءالإمام السجاد يذكر باب الزكاة الأول وهو تطهير الأموال بإخراج الزكاة، كما دلت عبارة «**وَ أَنْ نُطَهِّرَهَا بِإِخْرَاجِ الزَّكَوَاتِ**» على هذا الأمر. وعلى أية حال فإن دفع الزكاة بالإضافة إلى آثارها الروحية في حياة الإنسان، يعد عاملاً في إزالة الفقر من المجتمع وتقليل الأضرار الاقتصادية.

الحج وثبات الدين

يشير الإمام السجاد في ادعيته العديدة إلى أهمية الحج ومكانته في حياة المسلمين؛ ولأهمية الحج وآثاره العظيمة في الحياة إن الإمام السجاد (عليه السلام) يسأل الله التوفيق في الحج والعمرة في كل عام: «**اللَّهُمَّ وَ امْنُنْ عَلَيَّ بِالْحَجِّ وَ الْعُمْرَةِ، وَ زِيَارَةِ قَبْرِ رَسُولِكَ، صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَ رَحْمَتُكَ وَ بَرَكَاتُكَ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ، وَ آلِ رَسُولِكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَبَداً مَا أَبْقَيْتَنِي فِي عَامِي هَذَا وَ فِي كُلِّ عَامٍ، وَ اجْعَلْ ذَلِكَ مَقْبُولًا مَشْكُوراً، مَذْكُوراً لَدَيْكَ، مَذْخُوراً عِنْدَكَ.**»[2]

طبعاً يريد الإمام توفيق الحج و العمرة التي مرضية عند الله ويكون عاملاً لنيل رضا الله؛ كما يقول: «**وَ اجْعَلْ بَاقِيَ عُمُرِي فِي الْحَجِ وَ الْعُمْرَةِ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَ السَّلَامُ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمْ أَبَدَ الْآبِدِينَ.**»[3] وقوله

١. السبزواري، الجديد في تفسير القرآن المجيد، ج٥، ص٣٦٧.
٢. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٣.
٣. المصدر نفسه، الدعاء ٤٧.

«**وَ اجْعَلْ بَاقِيَ عُمُرِي**» يدل على فضائل وبركات الحج والعمرة و إن الإمام يسأل الله أن يوفقه في الحج والعمرة فيما بقي من عمره ولفظ «**ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ**» يشير إلى مقام الحج والعمرة الذي ينبغي أن يكون نتيجة الوصول إلى مقام القرب من الله ورضا الله.

يعتبر الحج من أهم الأحكام الدينية التي أوردها القرآن الكريم والتي لها آثار كبيرة على سعادة الفرد والمجتمع. فلسفة الحج والتي تم التعبير عنها في العديد من الآيات؛ بحيث يثبت الحج الدين، ويؤدي قيامه إلى زيادة قوته، لأن الحج من طقوس بناء الإنسان و فيها يتحلى المؤمنون بالأخلاق الإلهية: «**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَ لافُسُوقَ وَلا جِدالَ فِي الْحَجِّ وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَاتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ**» [1]

الحج سبب لذكر الله: «**فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ**»[2]

الحج يساعد اقتصاد المجتمع الإسلامي ويحد من الفقر: «**وَ أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَ عَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ*لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ**»[3]

قد ذكر المفسّرون لكلمة المنافع الواردة في الآية عدّة معان، إلّا أنّه لا

---

١. البقرة/١٩٧.
٢. البقرة/٢٠٠.
٣. الحج/٢٧-٢٨.

تحديد لمعناها كما يبدو من ظاهر الآية، فهي تشمل جميع المنافع والبركات المعنوية والمكاسب المادية، وكلّ عائد فردي واجتماعي وفلسفة سياسيّة واقتصادية وأخلاقية. فما أحرى المسلمين أن يتوجّهوا من أنحاء العالم إلى مكّة ليشهدوا هذه المنافع! إنّها لعبارة جميلة! ما أولاهم أن يجعلهم اللّه شهودا على منافعهم! ليروا بأعينهم ما سمعوه بآذانه.[١] وهي إحدى فوائد المنهج الاقتصادي الذي يعد التخفيف من حدة الفقر ومساعدة الفقراء في المجتمع من آثاره ونتائجه.

الحج يسبب تعظيم الشعائر الإلهية: «**إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شاكِرٌ عَليم**»[٢]

إن مناسك الحج تكرم اسم اللّه وذكره ويحقق التقوى: «**لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنينَ**» [٣] وهذه الآيات تدل على غاية الحج في استقرار الدين وقوته.

الثاني:المنهج السلوكي للقرآن في الحياة

تشير المناهج السلوكية إلى الأشياء التي يحتاجها المؤمن في حياته. بمعنى آخر يواجه كل إنسان السرّاء و الضرّاء في حياته، و إذا لم يكن لدى الإنسان الحل للمشاكل، يواجه الفشل و الأمراض الروحية التي أهمّها الاكتئاب. فيما يلي نذكر بعض أهم المناهج السلوكية في تعزيز إيمان الإنسان واعتقاده

١. المكارم الشيرازي، الامثل في تفسير الكتاب المنزل، ج١٤، ص٧٢.
٢. البقرة /١٥٨.
٣. الحج/٣٧.

من خلال أدعية الإمام السجاد (عليه السلام) في الصحيفة السجادية.

تقوية الأمل و الحيوية في الحياة وإزالة خيبة الأمل:

خيبة الأمل صفة مرفوضة و يعرّفها القرآن الصفة البارزة للكفار: «**وَ لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُون**»[١] يكون في حياة المؤمن تحت أي ظرف من الظروف روح الأمل و الحيوية دائما و ليس فيها خيبة الأمل لا بوجه من الوجوه لأن المومن يعتمد على الله في أصعب الظروف و يأمل رحمة الله، حيث تم إثبات هذه القضية المهمة في البحوث الطبية، بالتالي: المرضى الذين يؤمنون بأن الله هو المصدر المطلق للقوة، ويسكنون من خلال أداء الواجبات الدينية، لديهم درجة أقل من الاكتئاب عند خروجهم من المستشفى.[٢] على أي حال غاية المؤمن الالهيه أهم من أي شيء آخر و لا ينسى الله في أصعب الظروف و يأمل برحمته. قال الإمام الصادق(عليه السلام): «**وَ الَّذِي بَعَثَ بِالْحَقِّ مُحَمَّداً لَلْعَفَارِيتُ وَ الْأَبَالِسَةُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَكْثَرُ مِنَ الزَّنَابِيرِ عَلَى اللَّحْمِ وَ الْمُؤْمِنُ أَشَدُّ مِنَ الْجَبَلِ وَ الْجَبَلُ تَدْنُو إِلَيْهِ بِالْفَأْسِ فَتَنْحِتُ مِنْهُ وَ الْمُؤْمِنُ لَا يُسْتَقَلُّ عَنْ دِينِه**».[٣] يقول الامام السجاد (عليه السلام) عن الرجاء وكيفية الرجاء في الله: «**رَأَيْتُ الْخَيْرَ كُلَّهُ قَدِ اجْتَمَعَ فِي قَطْعِ الطَّمَعِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَ مَنْ لَمْ يَرْجُ النَّاسَ فِي شَيْءٍ وَ رَدَّ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ**»[٤] قد ذكر الإمام السجاد (عليه السلام) في دعائه مقام الرجاء بالله

---

١. يوسف/٨٧.

٢. المالوني، الاسلام و سلامة الروح، ص٤١.

٣٣٨. حر العاملي، وسائل الشيعة ،ج١١، ص٢٤٢

٤. الكليني، الكافي، ج٢، ص ١٤٨.

ودفـع اليأس. يسـأل الإمام السـجاد في دعائه الله أن يجعلـه من المتفائلين ويخرجـه من اليأس والقنوط ويعود هذا التأكيد إلى أهمية الأمل في الحياة؛ الإمـام يدعو هكذا: «**وَلَا تُؤْيِسْـنِي مِنَ الْأَمَلِ فِيكَ فَيَغْلِـبَ عَلَيَّ الْقُنُوطُ مِـنْ رَحْمَتِـكَ**».[1] إن أسـاس الأمـل يجـب أن يكـون الثقة باللـه، وفي كل الأحوال يجب أن يكون رجاء الإنسان بالله ورحمته اللامتناهية؛ كما يذكر الإمام السـجاد (عليه السـلام) أيضاً إن أساس أمله هو الثقة بالله و يقول: «**وَ قُلْـتُ: سُـبْحَانَ رَبِّـي كَيْفَ يَسْـأَلُ مُحْتَـاجٌ مُحْتَاجـاً وَ أَنَّى يَرْغَبُ مُعْـدِمٌ إِلَى مُعْدِمٍ فَقَصَدْتُكَ، يَا إِلَهِـي، بِالرَّغْبَةِ، وَ أَوْفَدْتُ عَلَيْكَ رَجَائِي بِالثِّقَةِ بِكَ. وَ عَلِمْتُ أَنَّ كَثِيرَ مَا أَسْـأَلُكَ يَسِـيْرٌ فِي وُجْدِكَ، وَ أَنَّ خَطِيرَ مَا أَسْـتَوْهِبُكَ حَقِيرٌ فِي وُسْـعِكَ، وَ أَنَّ كَرَمَكَ لَا يَضِيقُ عَنْ سُؤَالِ أَحَدٍ، وَ أَنَّ يَـدَكَ بِالْعَطَايَـا أَعْلَى مِنْ كُلِّ يَدٍ. اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ احْمِلْنِـي بِكَرَمِكَ عَلَى التَّفَضُّلِ، وَ لَا تَحْمِلْنِي بِعَدْلِكَ عَلَى الِاسْـتِحْقَاقِ، فَمَـا أَنَـا بِـأَوَّلِ رَاغِبٍ رَغِبَ إِلَيْـكَ فَأَعْطَيْتَهُ وَ هُوَ يَسْـتَحِقُّ الْمَنْعَ، وَ لَا بِأَوَّلِ سَـائِلٍ سَـأَلَكَ فَأَفْضَلْتَ عَلَيْهِ وَ هُوَ يَسْـتَوْجِبُ الْحِرْمَانَ. اللَّهُمَّ صَـلِّ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِهِ، وَ كُنْ لِدُعَائِي مُجِيباً، وَ مِـنْ نِدَائِي قَرِيباً، وَ لِتَضَرُّعِـي رَاحِمـاً، وَ لِصَوْتِي سَـامِعاً. وَ لَا تَقْطَـعْ رَجَائِي عَنْكَ، وَ لَا تَبُتَّ سَـبَبِي مِنْكَ، وَ لَا تُوَجِّهْنِي فِي حَاجَتِي هَذِهِ وَ غَيْرِهَا إِلَى سِـوَاكَ وَ تَوَلَّنِـي بِنُجْـحِ طَلِبَتِي وَ قَضَاءِ حَاجَتِي وَ نَيْلِ سُـؤْلِي قَبْلَ زَوَالِي عَنْ مَوْقِفِي هَذَا بِتَيْسِيرِكَ لِيَ الْعَسِيرَ وَ حُسْنِ تَقْدِيرِكَ لِي فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَ صَـلِّ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِهِ، صَلَاةً دَائِمَةً نَامِيَـةً لَا انْقِطَاعَ لِأَبَدِهَا وَ لَا مُنْتَهَـى لِأَمَدِهَـا، وَ اجْعَـلْ ذَلِـكَ عَوْناً لِي وَ سَـبَباً لِنَجَـاحِ طَلِبَتِي، إِنَّكَ**

١. الصحيفة السجادية، دعاي ٤٧.

وَاسِـعٌ كَرِيـمٌ. وَ مِنْ حَاجَتِي يَـا رَبِّ كَذَا وَ كَذَا [وَ تَذْكُـرُ حَاجَتَكَ ثُمَّ تَسْجُدُ وَ تَقُولُ فِي سُجُودِكَ:] فَضْلُكَ آنَسَنِي، وَ إِحْسَانُكَ دَلَّنِي، فَأَسْأَلُكَ بِـكَ وَ بِمُحَمَّـدٍ وَ آلِه، صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِـمْ، أَن لَا تَرُدَّنِي خَائِباً».[1] وفي هذا الدعـاء تشـير عبارة «**وَ أَوْفَـدْتُ عَلَيْـكَ رَجَائِي بِالثِّقَةِ بِـكَ**» إلى أن رجاء الإنسـان هـو الله وحده والتوكل عليه. عبـارة «**وَ لَا تَقْطَعْ رَجَائِي عَنْكَ**» تنص على أن من أهم أدعية الإنسـان أن يسـأل الله أن لا يخيب رجاءه من الله؛ لأنه إذا انقطع أمل الإنسـان في الله، سيحكم في الحياة اليأس والقنوط والاكتئـاب؛ وإذا جعـل الإنسـان قلبه على غير الله بدلاً مـن الرجاء، وقع في قلبه الشرك، وهذا من كبائر الذنوب. نقطة أخرى هي أنه ينبغي للإنسـان، في رجاءه رحمة الله، أن يطلب من الله الخير له، ولا يرجوه عبثًا في الأمور الباطلـة. هـذا ما يقوله الإمام في هذا الصدد: «**اللَّهُمَّ مَنْ أَصْبَحَ لَهُ ثِقَةٌ أَوْ رَجَـاءٌ غَـيْرُكَ، فَقَـدْ أَصْبَحْتُ وَ أَنْـتَ ثِقَتِي وَ رَجَائِـي فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، فَاقْـضِ لِي بِخَيْرِهَـا عَاقِبَةً، وَ نَجِّنِـي مِنْ مَضَلَّاتِ الْفِتَـنِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَـمَ الرَّاحِمِـينَ.**»[2] في هـذا الدعاء يضع الإمام رجـاءه وتوكله على الله في جميـع الأحـوال، وهذا يـدل على وجوب الرجاء باللـه في جميع المجالات. النقطـة الثانيـة هي أن يكـون الرجاء بالخيرات وطلب الاشـياء التي جيدة للإنسان؛ فعبارة «**فَاقْضِ لِي بِخَيْرِهَا عَاقِبَةً**» تدل على هذا الأمر. من نقاط الرجـاء الأخرى هو الإيمان، بمعنـى أنه لا ينبغي للمؤمن أن يرجو إلا الله؛ لأن الله خالق الإنسان و هو قادر عزوجل، ورجاء على غيره يعادل الشرك والشرك من كبائر الذنوب؛ الامام السجاد (عليه السلام) يدعو هكذا: «**أَنْتَ**

---

١. المصدر نفسه، الدعاء ١٣.

٢. الصحيفة السجادية، الدعاء ٥٤.

الْمَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بِدَعْوَتِي، لَا يَشْرَكُكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي، وَ لَا يَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي، وَ لَا يَنْظِمُهُ وَ إِيَّاكَ نِدَائِي لَكَ- يَا إِلَهِي- وَحْدَانِيَّةُ الْعَدَدِ، وَ مَلَكَةُ الْقُدْرَةِ الصَّمَدِ، وَ فَضِيلَةُ الْحَوْلِ وَ الْقُوَّةِ، وَ دَرَجَةُ الْعُلُوِّ وَ الرِّفْعَةِ. وَ مَنْ سِوَاكَ مَرْحُومٌ فِي عُمُرِهِ، مَغْلُوبٌ عَلَى أَمْرِهِ، مَقْهُورٌ عَلَى شَأْنِه، مُخْتَلِفُ الْحَالاتِ، مُتَنَقِّلٌ فِي الصِّفَاتِ فَتَعَالَيْتَ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَ الْأَضْدَادِ، وَ تَكَبَّرْتَ عَنِ الْأَمْثَالِ وَ الْأَنْدَادِ، فَسُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.»[1] إن عبارة «**لَا يَشْرَكُكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي**» هي تعبير عن مبدأ التوحيد في العبودية، وهو أن الإنسان لا ينبغي له إلا أن يرجو الله ويتوكل عليه. يقول الإمام السجاد هذا في دعاء آخر: «**وَ أَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَجَاهُ، وَ أَحَقُّ مَنْ خَشِيَهُ وَ اتَّقَاهُ، فَأَعْطِنِي يَا رَبِّ مَا رَجَوْتُ، وَ آمِنِّي مَا حَذِرْتُ، وَ عُدْ عَلَيَّ بِعَائِدَةِ رَحْمَتِكَ، إِنَّكَ أَكْرَمُ الْمَسْئُولِينَ.**»[2] لذلك يصبح الرجاء بالله في الحياة عاملاً من عوامل حيوية الإنسان وتجنبه الاكتئاب، ويصبح عاملاً من عوامل حركة الإنسان وجهده وتشجيعه في كافة شؤون الحياة، وهو أحد المؤشرات المهمة للحياة الطيبة.

الدعاء:

لا معنى للحياة الإسلامية بدون الدعاء. الدعاء نوع من العلاقة العاطفية بين الله و الإنسان الذي يجد نفسه محتاجاًالله في كل الظروف. يخاطب الله تعالى عباده: «**وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون**»[3] تكرر في

١. المصدر نفسه، الدعاء ٢٨.
٢. المصدر نفسه، الدعاء ٣٢.
٣. البقرة/١٨٦.

هـذه الآية ضمير المتكلم (أنا) سـبع مرات بـكل إيجاز[١]، و أية واحدة فقط في القـرآن لهـا مثل هذا الأسـلوب، حيث بلّغ الله قربه الشـديد و اتصاله و محبته لعباده بهذه الطريقة. قال أمير المؤمنين علي(عليه السلام) عنها: «**وَ الدُّعَـاءُ مِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ وَ سِرَاجُ الزَّاهِدِينَ وَ شَـوقُ الْعَابِدِينَ وَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى الْإِجَابَةِ وَ الرَّحْمَةِ الطَّائِعُ الْمُضْطَرُّ الَّذِي لَا بُدَّ لَهُ مِمَّا سَأَلَهُ وَ خُصُوصـاً عِنْدَ نُفُوذِ الصَّبْرِ**» تحدث الرسـول الكريـم (صلي الله عليه و آلـه و سـلم) عـن أهمية الدعـاء:« **أَ لَا أَدُلُّكُـمْ عَلَى سِـلَاحٍ يُنْجِيكُمْ مِنْ أَعْدَائِكُـمْ وَ يُـدِرُّ أَرْزَاقَكُمْ قَالُوا بَلَى قَـالَ تَدْعُونَ رَبَّكُمْ بِاللَّيلِ وَ النَّهَارِ فَإِنَّ سِـلَاحَ الْمُؤْمِنِ الدُّعَاء**»

يقـول الامـام الصادق في اهميـة الدعاء ايضـا: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَـادَةُ الَّتِي قَـالَ اللَّـهُ عَزَّ وَ جَلَّ- إِنَّ الَّذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي الْآيَة ادْعُ اللَّهَ عَـزَّ وَ جَـلَّ وَ لَا تَقُـلْ إِنَّ الْأَمْرَ قَـدْ فُرِغَ مِنْهُ قَـالَ زُرَارَةُ إِنَّمَا يَعْنِي لَا يَمْنَعُـكَ إِيمَانُـكَ بِالْقَضَـاءِ وَ الْقَدَرِ أَنْ تُبَالِغَ بِالدُّعَـاءِ وَ تَجْتَهِدَ فِيهِ أَوْ كَمَـا قَال**». تظهر بعض البحوث بأن الدعاء يعتبر من السـلوكيات الدينية المرتبطـة بالصحـة،[٢] لذا مـن أهم جوانب الحياة الإسـلامية التي تسـاعد المؤمنين مسـاعدة طيبة في أصعب المواقف هو الدعاء أو طلب المسـاعدة من قدرة الله اللامتناهية.

الصحيفة السـجادية نموذج متماسـك عن الدعاء ودوره في الحياة. أوضح الإمام السـجاد(عليه السـلام) في ادعيته كيفية سؤال عن الله والأشياء التي يجب على الإنسان أن يسأل الله عنها. وهذه الادعية تعبر عن طريقة الدعاء

١. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص٣٢.
٢. المالوني، الاسلام و سلامة الروح ، ص ٢٥٨.

ونوعيتـه المرغوبـة. يقول الإمام السـجاد فيما يتعلق بقـدرة الله ورحمته اللامتناهية في اسـتجابة دعاء الداعين: «**اللَّهُمَّ يَا مُنْتَهَى مَطْلَبِ الْحَاجَاتِ وَ يَـا مَـنْ عِنْدَهُ نَيْـلُ الطَّلِبَاتِ وَ يَا مَنْ لَا يَبِيعُ نِعَمَـهُ بِالْأَثْمَانِ وَ يَا مَـنْ لَا يُكَـدِّرُ عَطَايَاهُ بِالامْتِنَانِ وَ يَا مَنْ يُسْـتَغْنَى بِهِ وَ لَا يُسْـتَغْنَى عَنْـهُ وَ يَـا مَـنْ يُرْغَبُ إِلَيْهِ وَ لَا يُرْغَبُ عَنْهُ وَ يَا مَنْ لَا تُفْنِي خَزَائِنَهُ الْمَسَـائِلُ وَ يَا مَنْ لَا تُبَدِّلُ حِكْمَتَهُ الْوَسَـائِلُ وَ يَا مَنْ لَا تَنْقَطِعُ عَنْهُ حَوَائِـجُ الْمُحْتَاجِـينَ وَ يَا مَنْ لَا يُعَنِّيهِ دُعَـاءُ الدَّاعِينَ. تَمَدَّحْتَ بِالْغَنَاءِ عَـنْ خَلْقِـكَ وَ أَنْـتَ أَهْلُ الْغِنَى عَنْهُمْوَ نَسَـبْتَهُمْ إِلَى الْفَقْـرِ وَ هُمْ أَهْلُ الْفَقْرِ إِلَيْكَ. فَمَنْ حَاوَلَ سَدَّ خَلَّتِهِ مِنْ عِنْدِكَ، وَ رَامَ صَرْفَ الْفَقْرِ عَنْ نَفْسِـهِ بِكَ فَقَدْ طَلَبَ حَاجَتَهُ فِي مَظَانِّهَا، وَ أَتَى طَلِبَتَهُ مِنْ وَجْهِهَا. وَ مَـنْ تَوَجَّهَ بِحَاجَتِـهِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ أَوْ جَعَلَهُ سَـبَبَ نُجْحِهَا دُونَكَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْحِرْمَانِ، وَ اسْـتَحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَوْتَ الْإِحْسَـانِ**»[1] هذه العبـارات تعبر عن المنهج التوحيدي للدعاء ومعرفة الله قبل الدعاء. يصف الإمام السجاد نوعية الدعاء الجيد والجدير بهذا الشكل: «**وَ اجْعَلْنِي مِمَّنْ يَدْعُـوكَ مُخْلِصـاً فِي الرَّخَاءِ دُعَاءَ الْمُخْلِصِينَ الْمُضْطَرِّيـنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.**»[2] هذه العبارات تعبر عن أن الدعاء في الرخاء يجب أن يكون كالدعاء في الشـدة؛ يعني أنه ينبغي على الإنسان في جميع الأحوال أن يتحلى بالإلحاح والدعاء إلى الله حتى في أوقات الرخاء؛ لأن هذه المسألة تعبر عن ذروة حاجة الإنسان إلى الله، والتعبير عن عجزه وحاجته أمام الله دون حاجـة هـو علامة التوحيد الحقيقي. ثانياً يجب أن يكون الإنسـان مخلصاً

١. الصحيفة السجادية، دعاي ١٣.
٢. المصدر نفسه، الدعاء ٢٢.

في الدعـاء لأن شرط الإجابـة هو إخلاص الدعاء. يقول الإمام السـجاد هذا عـن أهمية الدعاء وطلب الله: «**اللَّهُـمَّ فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُكَ مُطِيعاً لِأَمْرِكَ فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ، مُتَنَجِّزاً وَعْدَكَ فِيمَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الْإِجَابَةِ، إِذْ تَقُولُ:ادْعُونِـي أَسْـتَجِبْ لَكُـمْ. اللَّهُـمَّ فَصَـلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِه، وَ الْقَنِـي بِمَغْفِرَتِكَ كَمَا لَقِيتُكَ بِإِقْرَارِي، وَ ارْفَعْنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ كَمَا وَضَعْتُ لَكَ نَفْسِي، وَ اسْـتُرْنِي بِسِـتْرِكَ كَمَا تَأَنَّيْتَنِي عَنِ الِانْتِقَامِ مِنِّي.اللَّهُـمَّ وَ ثَبِّـتْ فِي طَاعَتِـكَ نِيَّتِي، وَ أَحْكِـمْ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيرَتِي، وَ وَفِّقْنِي مِنَ الْأَعْمَالِ لِمَا تَغْسِـلُ بِـهِ دَنَسَ الْخَطَايَا عَنِّي، وَ تَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِكَ وَ مِلَّةِ نَبِيِّكَ: مُحَمَّدٍ- عَلَيْهِ السَّـلَامُ- إِذَا تَوَفَّيْتَنِي**» وبهذه العبارة قـام الإمام السـجاد بتكييف هذه الآية المباركة لتوضيـح أهمية الدعاء: «**وَ قَـالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْـتَجِبْ لَكُـمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَـيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ.**»[1]

يقول الإمام الباقر(عليه السـلام) في تفسـير هذه الآية: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ- إِنَّ الَّذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَـيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ قَـالَ هُـوَ الدُّعَـاءُ وَ أَفْضَـلُ الْعِبَـادَةِ الدُّعَـاءُ قُلْـتُ إِنَ إِبْراهِيـمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيـمٌ قَالَ الْأَوَّاهُ هُوَ الدَّعَّاء**»[2] كمـا يقدم الإمام الصادق الدعاء على أنه أعـلى العبـادات ويقول: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَفْضَلَ عِنْـدَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ أَنْ يُسْـئَلَ وَ يُطْلَـبَ مِمَّا عِنْـدَهُ وَ مَا أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَى اللَّـهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِمَّنْ يَسْـتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِه وَ لَا يَسْـأَلُ مَا عِنْدَه**»[3] يقول في مكان آخر: «**ادْعُ وَ لَا تَقُلْ قَدْ فُرِغَ مِنَ الْأَمْرِ فَإِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ**

١. الغافر/ ٦٠.

٢. الكليني، الكافي، ج٢، ص٤٦٦.

٣. المصدر نفسه.

يَقُولُ- إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ وَ قَالَ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم».[1]

من جانب آخر يدفع الدعاء الإنسان إلى الإحساس العميق بالفقر و الخضوع تجاه خالقه جلّ و علا و يبعده عن التعالي و الغرور اللذين يعدّان الأرضيه المناسبة للمجادلة في آيات اللّه و الانحراف عن جادة الصواب و الوقوع في المهالك. يعمق الدعاء لدى الإنسان الشعور بأنّه جلّ و علا منبع النعم و مصدره و يدفعه إلى العشق و الارتباط العاطفي مع اللّه جلّ جلاله. يشعر الإنسان بالحاجة الى اللّه تعالى و انه رهين نعمته، و لذلك فهو موظف بطاعته و تنفيذ أوامره، و يرهف إحساسه بالعبودية للّه تعالى.و بما أنّه يعلم أنّه للإجابة شروطها، و من شروطها خلوص النية، و صفاء القلب، و التوبة من الذنوب، و قضاء حوائج المحتاجين، و السعي في مسائل الناس من الأقرباء و الأصدقاء و غيرهم، فلذلك يهتم ببناء الذات و إصلاح النفس و تربيتها. يركّز الدعاء في نفس الإنسان الداعي عوامل المنعة و الإرادة و الثقة، و يجعله أبعد الناس عن اليأس و القنوط أو التسليم للعجز.[2]

ثمّة ملاحظة مهمّة هنا هي أن الدعاء لا يلغي بذل الوسع و الجهد من قبل الإنسان، و إنّما حسبما تفيد الروايات و الأحاديث في هذا الشأن- على الإنسان أن يسعى و يبذل و يجهد، و يترك الباقي على اللّه تعالى. لذا لو جعل الإنسان الدعاء بديلا عن العمل و الجهد فسوف لا يجاب إلى مطلبه حتما.

---

١. المصدر نفسه، ص٤٦٧.

٢. المكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج١٥، ص: ٣٠١.

يقـول الامام الصـادق عن دعاء من لا يسـتجاب له: «**أَرْبَعَةٌ لَا تُسْـتَجَابُ لَهُـمْ دَعْـوَةٌ رَجُـلٌ جَالِسٌ فِي بَيْتِهِ يَقُـولُ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي فَيُقَـالُ لَهُ أَ لَمْ آمُرْكَ بِالطَّلَبِ وَ رَجُلٌ كَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ فَدَعَا عَلَيْهَا فَيُقَالُ لَهُ أَ لَمْ أَجْعَلْ أَمْرَهَا إِلَيْكَ وَ رَجُلٌ كَانَ لَهُ مَالٌ فَأَفْسَدَهُ فَيَقُولُ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي فَيُقَالُ لَـهُ أَ لَـمْ آمُـرْكَ بِالاقْتِصَادِ أَ لَـمْ آمُرْكَ بِالْإِصْـلَاحِ ثُمَّ قَـالَ وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً وَ رَجُلٌ كَانَ لَهُ مَالٌ فَأَدَانَهُ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ فَيُقَالُ لَهُ أَ لَمْ آمُرْكَ بِالشَّـهادَةِ**»[1]

مـن الواضـح أنّ الموارد التي يتحدّث عنهـا الحديث الشريف، إنّما منع فيها الإنسـان عـن إجابـة دعوته لعدم بذله قصـارى جهده و سـعيه، فعليه أن يتحمّل تبعة تقصيره و تفريطه.من هنا يتضح أنّ أحد عوامل عدم استجابة الدعـاء يتمثل في التباطؤ و ترك الجهد المناسـب للعمـل و اللجوء إلى الدعاء و قـد جـرت سـنة اللّه تعالى على عـدم إجابة مثل هـذه الدعوات.طبعا، هنا عوامل و أسباب اخرى لعدم استجابة بعض الأدعية. فمثلا عادة ما يحدث أن يخطئ الإنسـان في تشـخيص مصالحه و مفاسـده، إذ يصر أحيانا على موضـوع معـين و يطلبـه من الخالق جلّ و علا في حـين ليس من مصلحته ذلـك. و لكنّـه يفهم ذلك فيما بعد.و هذا الأمر يشـبه إلى حد كبير الطفل أو المريض الذي يطلب بعض الأطعمة و الأشربة و يشتهيها، فلا يجاب لطلبه و لا تلبّـى رغباتـه، لأنّها قد تـؤدي إلى مضاعفة الخطر على صحته أو حتى المجازفـة بحياته. ففي مثل هذه الموارد لا يسـتجيب اللّه تعالى لدعاء العبد، بـل يدخر له الثواب يوم القيامة.[2]

---

١. الكليني، الكافي، ج٢، ص٥١١.

٢. المكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج١٥، ص: ٣٠٢.

لقد ذكرت بعض الروايات ذنوبا متعدّدة إذا ارتكبها الإنسان تحول بينه و بين إجابة دعائه، مثل سوء النية، النفاق، تأخير الصلاة عن وقتها، اللسان البذيء الذييخشاه الناس، الطعام الحرام، و ترك الصدقة و الإنفاق في سبيل اللّه تعالى.[1] و في إطار هذه النقطة بالذات ثمّة حديث جامع عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه سئل: أ ليس يقول اللّه: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و قد نرى المضطر يدعوه و لا يجاب له، و المظلوم يستنصره على عدوه فلا ينصره؟ يجيب الامام: «**وَيْحَكَ مَا يَدْعُوهُ أَحَدٌ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ أَمَّا الظَّالِمُ فَدُعَاؤُهُ مَرْدُودٌ إِلَى أَنْ يَتُوبَ إِلَيْهِ وَ أَمَّا الْمُحِقُّ فَإِنَّهُ إِذَا دَعَاهُ اسْتَجَابَ لَهُ وَ صَرَفَ عَنْهُ الْبَلَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُهُ وَ ادَّخَرَ لَهُ ثَوَاباً جَزِيلًا لِيَوْمِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ الَّذِي سَأَلَ الْعَبْدُ خِيَرَةً لَهُ إِنْ أَعْطَاهُ أَمْسَكَ عَنْهُ وَ الْمُؤْمِنُ الْعَارِفُ بِاللَّهِ رُبَّمَا عَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوَهُ فِيمَا لَا يَدْرِي أَ صَوَابٌ ذَلِكَ أَمْ خَطَأٌ وَ قَدْ يَسْأَلُ الْعَبْدُ رَبَّهُ إِهْلَاكَ مَنْ لَمْ يَنْقَطِعْ مُدَّتُهُ وَ يَسْأَلُ الْمَطَرَ وَقْتاً وَ لَعَلَّهُ أَوَانُ لَا يَصْلُحُ فِيهِ الْمَطَرُ لِأَنَّهُ أَعْرَفُ بِتَدْبِيرِ مَا خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ وَ أَشْبَاهُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فَافْهَمْ هَذَا**».[2]

لذلك فإن الاهتمام بشعائر الدعاء وشروطه يمكن أن يساعد في الإجابة عليه؛ كما ينبغي مراعاة مبدأ التوحيد أثناء الدعاء، فالدعاء عبادة، وإذا أديتها بإخلاص كان له أجر وثواب كثير على الإنسان.

---

١. المصدر نفسه، ج١٥، ص: ٣٠١.

٢. المجلسي، بحارالانوار، ج١٠، ص١٧٤.

التوكل والثقة بالله

يدعو القرآن الكريم الناس في عدة آياته إلى التوكل على الله و يذكر من توكل عـلى اللـه بمعنى الكلمة، فيكفيه اللـه تعالى:«**وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَـلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْـبُه**»[١] يقول الإمام الكاظم على تفسـير هذه الآية ومعناها وحقيقتها: «**التَّـوَكُّلُ عَـلَى اللَّهِ دَرَجَاتٌ مِنْهَـا أَنْ تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّـهِ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا فَمَا فَعَلَ بِكَ كُنْتَ عَنْهُ رَاضِياً تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَأْلُوكَ خَيْراً وَ فَضْلًا وَ تَعْلَمُ أَنَّ الْحُكْمَ فِي ذَلِكَ لَهُ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ بِتَفْوِيضِ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَ ثِقْ بِهِ فِيهَا وَ فِي غَيْرِهَـا**»[٢] يقـول الله في آية أخـرى عن أهمية التوكل: «**وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ وَ كَفَـى بِاللَّهِ وَكِيـلاً**»[٣] و الآيات الأخرى.[٤] الثقـة الحقيقية تعني بذل قصارى الجهد في طريق الغاية و في نفس الوقت، الثقة الكاملة والكليه والنقية بالله و الرجاء الثابت إلى الله و ايداع مصير الأمور في يديه القديرة القويـة والتـوكل عليه. هو الحل في الاوقات الحرجه لمشـاكل الحياة ويصل الى صرخة الانسان وينقذه من مازق المشاكل. يصف الامام علي التوكل بأنه ركـن من أركان الإيمان ويقـول: «**الْإِيمَانُ لَـهُ أَرْكَانٌ أَرْبَعَةٌ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّـهِ وَ تَفْوِيـضُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّـهِ وَ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَ التَّسْـلِيمُ لِأَمْرِ اللَّـهِ عَـزَّ وَ جَل**»[٥] يقول الامام الصادق في هذا الصدد: «**مَنْ أُعْطِيَ ثَلَاثاً لَـمْ يُمْنَعْ ثَلَاثاً مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ أُعْطِيَ الْإِجَابَةَ وَ مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ أُعْطِـيَ الزِّيَـادَةَ وَ مَنْ أُعْطِيَ التَّـوَكُّلَ أُعْطِيَ الْكِفَايَةَ ثُـمَّ قَالَ أَ تَلَوْتَ**

---

١. الطلاق/٣.
٢. الكليني، الكافي، ج٢، ص٦٥.
٣. النساء/٨٣.
٤. آل عمران/١٦٠؛ المائدة/١١؛ هود/٨٨.
٥. الكليني، الكافي، ج٢، ص٤٧.

كِتَـابَ اللَّـهِ عَـزَّ وَ جَـلَّ- وَ مَنْ يَتَـوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ فَهُوَ حَسْـبُهُ وَ قَالَ لَئِـنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُـمْ وَ قَالَ ادْعُونِي أَسْـتَجِبْ لَكُـم»[1] تظهر هذه الحـالات أهمية التـوكل في الحياة، حيث يمكن للإنسـان أن يتوكل على الله ويعتمـد عليه في أموره دون الحاجة أو القدرة على ذلك.

وفيمـا يتعلـق بأهمية التـوكل، يسـأل الإمام السـجاد الله، يقـين المؤمنين الحقيقيـين و توكل المؤمنين ويقول: «**أَسْـأَلُكَ مِنْ خَـيْرِ كِتَابٍ قَدْ خَلَا، وَ أَعُـوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كِتَابٍ قَدْ خَلَا، أَسْـأَلُكَ خَـوْفَ الْعَابِدِينَ لَكَ، وَ عِبَادَةَ الْخَاشِـعِينَ لَـكَ، وَ يَقِـينَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، وَ تَـوَكُّلَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ.**»[2] يقـين المتوكلين الحقيقيين هو أنهـم لا يثقون إلا بالله، ويوقنون بقدرة الله وحكمتـه، وبالتـالي لن يكون لديهم أي خوف أو حـزن من الأحداث؛ لأنهم يدركـون قـدرة الله وحكمته في الأمور؛ وتوكل المؤمنـين التي يطلبه الإمام السجاد هي الأمانة بآدابه وشروطه، وهذا يعني أن كل العمل يجب أن يتم بشـكل صحيح وأن تترك النتيجة لله. في مكان آخر يسـأل الإمام السـجاد بـكل صدق وإخلاص الله التوكل ليحقق يقين المتوكلين الحقيقيين ويقول: «**اللَّهُـمَّ إِنِّي أَسْـأَلُكَ سُـؤَالَ مَنِ اشْـتَدَّتْ فَاقَتُـهُ، وَ ضَعُفَـتْ قُوَّتُهُ، وَ كَثُـرَتْ ذُنُوبُهُ، سُـؤَالَ مَنْ لَا يَجِدُ لِفَاقَتِـهِ مُغِيثاً، وَ لَا لِضَعْفِهِ مُقَوِّياً، وَ لَا لِذَنْبِـهِ غَافِـراً غَـيْرَكَ، يَا ذَا الْجَـلَالِ وَ الْإِكْرَامِ أَسْـأَلُكَ عَمَلًا تُحِبُّ بِهِ مَنْ عَمِلَ بِهِ، وَ يَقِيناً تَنْفَعُ بِهِ مَنِ اسْتَيْقَنَ بِهِ حَقَّ الْيَقِينِ فِي نَفَاذِ أَمْرِكَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَ اقْبِضْ عَلَى الصِّدْقِ نَفْسِي، وَ اقْطَـعْ مِـنَ الدُّنْيَـا حَاجَتِي، وَ اجْعَـلْ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتِي شَـوْقاً إِلَى**

---

١. المصدر نفسه، ص ٦٥.

٢. الصحيفة السجادية، دعاي ٥٤.

لِقَائِكَ، وَ هَبْ لِي صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ.»[1] عبارة «**صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ**» تنص على أنه في التوكل يجب على الإنسان أن يتوكل على الله فقط ولا يخاف شيئا آخر. تصل أهمية التوكل إلى هذه النقطة وهي مفيدة جدًا في الحياة لدرجة أن الإمام السجاد يطلب من الله أن يوفقه دائمًا ويتوكل به ويقول: «**اللَّهُمَّ أَعْطِنِي كُلَّ سُؤْلِي، وَ اقْضِ لِي حَوَائِجِي، وَ لَا تَمْنَعْنِي الْإِجَابَةَ وَ قَدْ ضَمِنْتَهَا لِي، وَ لَا تَحْجُبْ دُعَائِي عَنْكَ وَ قَدْ أَمَرْتَنِي بِهِ، وَ امْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ مَا يُصْلِحُنِي فِي دُنْيَايَ وَ آخِرَتِي مَا ذَكَرْتُ مِنْهُ وَ مَا نَسِيتُ، أَوْ أَظْهَرْتُ أَوْ أَخْفَيْتُ أَوْ أَعْلَنْتُ أَوْ أَسْرَرْتُ. وَ اجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بِسُؤَالِي إِيَّاكَ، الْمُنْجِحِينَ بِالطَّلَبِ إِلَيْكَ غَيْرِ الْمَمْنُوعِينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ.الْمُعَوَّدِينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ، الرَّابِحِينَ فِي التِّجَارَةِ عَلَيْكَ، الْمُجَارِينَ بِعِزِّكَ، الْمُوَسَّعِ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الْحَلَالُ مِنْ فَضْلِكَ، الْوَاسِعِ بِجُودِكَ وَ كَرَمِكَ، الْمُعَزِّينَ مِنَ الذُّلِّ بِكَ، وَ الْمُجَارِينَ مِنَ الظُّلْمِ بِعَدْلِكَ، وَ الْمُعَافَيْنَ مِنَ الْبَلَاءِ بِرَحْمَتِكَ، وَ الْمُغْنَيْنَ مِنَ الْفَقْرِ بِغِنَاكَ، وَ الْمَعْصُومِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَ الزَّلَلِ وَ الْخَطَاءِ بِتَقْوَاكَ، وَ الْمُوَفَّقِينَ لِلْخَيْرِ وَ الرُّشْدِ وَ الصَّوَابِ بِطَاعَتِكَ، وَ الْمُحَالِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الذُّنُوبِ بِقُدْرَتِكَ، التَّارِكِينَ لِكُلِّ مَعْصِيَتِكَ، السَّاكِنِينَ فِي جِوَارِكَ.**»[2] تظهر هذه العبارات أهمية التوكل في الحياة، حيث أن التوكل الحقيقي بالله هي عامل مهم في تحرك الإنسان وتحفيزه في التغلب على مشاكل الحياة ومصاعبها.

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه، الدعاء ٢٥.

الوصية بالصبر والاستقامة:

الصبر يعني المقاومة و المثابرة في طريق الوصول إلى الغاية. يدعو الله الناس في آيات مختلفة إلى الصبر، منها: «**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اسْتَعينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ إِنَّ اللَّه مَعَ الصَّابِرينَ**»[١]
«**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**»[٢]

قوله تعالى: «**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا**» الأوامر مطلقة فالصبر يراد به الصبر على الشدائد، و الصبر في طاعة الله، و الصبر عن معصيته، و على أي حال هو الصبر من الفرد بقرينة ما يقابله.و المصابرة هي التصبر و تحمل الأذى جماعة باعتماد صبر البعض على صبر آخرين فيتقوى الحال و يشتد الوصف و يتضاعف تأثيره، و هذا أمر محسوس في تأثير الفرد إذا اعتبرت شخصيته في حال الانفراد، و في حال الاجتماع و التعاون بإيصال القوى بعضها ببعض قوله تعالى: وَ رابِطُوا أعم معنى من المصابرة و هي إيجاد الجماعة، الارتباط بين قواهم و أفعالهم في جميع شئون حياتهم الدينية أعم من حال الشدة و حال الرخاء و لما كان المراد بذلك نيل حقيقة السعادة المقصودة للدنيا و الآخرة- و إلا فلا يتم بها إلا بعض سعادة الدنيا و ليست بحقيقة السعادة- عقب هذه الأوامر بقوله تعالى: وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ يعني الفلاح التام الحقيقي.[٣] و في الآيات أخرى.[٤] و قد تحدث اللّه عن الصبر في القرآن الكريم من حيث ما

---

١. البقرة/١٥٣.
٢. آل‌عمران/٢٠٠.
٣. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص: ٩٢-٩١.
٤. البقرة/١٤٣؛آل عمران/١٨٦؛ الرعد/٢٤؛ النحل/٩٦.

يمثلـه من قيمة روحيّة و عملية كبـيرة، في ما تتحرك فيه من تحقيق القوّة و التماسـك أمام نوازع الضعف، و اشـتداد الأزمات، و اهتزاز المواقف من خلال اهتزاز السـاحة، فإن الإنسـان الذي يملك طاقة الصبر على الشدائد و الأهـوال يسـتطيع أن يملـك أمره في كل مواقفه الخاصـة و العامة، و بذلك كان الصـبر مـن عزم الأمور كما تحدث به القرآن. قـد لا نحتاج إلى التأكيد على قيمة الصبر في حياة الداعية إلى اللّه في ما يواجهه من انحرافات ضاغطة في الأفكار و المشاعر و المواقف و الأوضاع السلبيّة المحيطة به، ليقابل ذلك بهدوء الرسالة و عمقها وامتدادها في حركة الحياة.[١] هذه الوصايا القرآنية تجعل الإنسـان لا يشـعر بالوحدة في مشـاكل حياته، ولايستطيعان يقاوم امام ضغوط و مشـاكل الحياة، فإن مشـاكله سـتصبح اكثر تعقيداً وربما تتحول مشكلة صغيرة إلى مشكلة كبيرة.لقد وفر القرآن الكريم طريقة حل هذه المشاكل للبشر من خلال توفير حل مهم للصبر و المقاومة، ولا شك أن ملاحظة هذه الحالات لها أثر مفيد على الحياة حيث تشـتمل جميع جوانب حيـاة الإنسـان و لهـا آثارإيجابيـة عليها. وقـد ذكر النبي (صـلى الله عليه وسلم) صفات الصابر هكذا: «**عَلَامَةُ الصَّابِرِ فِي ثَلَاثٍ أَوَّلُهَا أَنْ لَا يَكْسَلَ وَ الثَّانِيَـةُ أَنْ لَا يَضْجَـرَ وَ الثَّالِثَةُ أَنْ لَا يَشْـكُوَ مِنْ رَبِّـهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ إِذَا كَسِـلَ فَقَدْ ضَيَّعَ الْحَقَّ وَ إِذَا ضَجِرَ لَمْ يُؤَدِّ الشُّـكْرَ وَ إِذَا شَكَا مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَقَدْ عَصَاه**»[٢] قد ذكر الإمام السـجاد أهمية الصبر والاحتمال في كثير من أحوال ادعيته؛ ومعنى الصبر في هذه الأدعية يشمل أيضاً جميع أمثلة الصبر، فالإمام السـجاد يسـتعيذ بالله من الضعف في الصبر ويقول:

١. فضل الله، من وحي القرآن، ج٦، ص ٤٧٤.
٢. الصدوق، محمد بن بابويه، علل الشرايع، ج٢، ص٤٩٨، ح١.

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ، وَ سَوْرَةِ الْغَضَبِ، وَ غَلَبَةِ الْحَسَدِ، وَ ضَعْفِ الصَّبْرِ، وَ قِلَّةِ الْقَنَاعَةِ، وَ شَكَاسَةِ الْخُلُقِ، وَ إِلْحَاحِ الشَّهْوَةِ، وَ مَلَكَةِ الْحَمِيَّةِ وَ مُتَابَعَةِ الْهَوَى، وَ مُخَالَفَةِ الْهُدَى، وَ سِنَةِ الْغَفْلَةِ، وَ تَعَاطِي الْكُلْفَةِ، وَ إِيثَارِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ، وَ الْإِصْرَارِ عَلَى الْمَأْثَمِ، وَ اسْتِصْغَارِ الْمَعْصِيَةِ، وَ اسْتِكْبَارِ الطَّاعَةِ.»[1] الضعف في الصبر يدفع الإنسان إلى معصية الله في الأوقات الصعبة، فمثلاً إذا ضعف في الصبر على الذنب فإنه يميل إلى الذنب؛ فإن كان يعاني من ضعف الصبر على طاعة الله فإنه يكون مقصراً في تنفيذ أوامر الله؛ وإذا كان يفتقر إلى الصبر في مواجهة المشاكل والمصاعب، فقد يتخذ قرارات تضره. لذلك فإن الصبر و المثابرة من أهم المناهج السلوكية الضرورية في حياة المؤمنين. يذكر الإمام السجاد (عليه السلام) أمثلة على الصبر في ادعيته أخرى؛ ومن بين أمور أخرى يطلب الصبر من حرس الحدود الذين يحمون المجتمع الإسلامي ليظلوا صامدين في واجبهم: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ كَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَ اشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ، وَ احْرُسْ حَوْزَتَهُمْ، وَ امْنَعْ حَوْمَتَهُمْ، وَ أَلِّفْ جَمْعَهُمْ، وَ دَبِّرْ أَمْرَهُمْ، وَ وَاتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ، وَ تَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مُؤَنِهِمْ، وَ اعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَ أَعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ، وَ الْطُفْ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ.»**[2] يشير الإمام إلى مثال آخر للصبر، وهو المصاحبة مع الفقراء، وهو الصبر الذي يجعل المؤمن لا يدفع الفقراء ويتواضع لهم: **«اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَاءِ، وَ أَعِنِّي عَلَى صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ»**[3] يطلب الإمام (عليه السلام) الصبر حتى على ترك الانتقام الذي فيه خير في

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٥٦.
٢. المصدر نفسه، الدعاء ٢٧.
٣. المصدر نفسه، الدعاء ٣٠.

الآخـرة، ممـا يدل على أهمية الصبر: «**اللَّهُمَّ وَ إِنْ كَانَـتِ الْخِيَرَةُ لِي عِنْدَكَ فِي تَأْخِـيرِ الْأَخْـذِ لِي وَ تَـرْكِ الِانْتِقَامِ مِمَّـنْ ظَلَمَنِي إِلَى يَـوْمِ الْفَصْلِ وَ مَجْمَـعِ الْخَصْـمِ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِهِ، وَ أَيِّدْنِي مِنْـكَ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَ صَـبْرٍ دَائِمٍ**»[1] يشـير الإمام السـجاد (عليه السـلام) إلى حياة الرسـول الكريـم في الصـبر والمثابرة في مواجهة المشـاكل ويعتبرها قـدوة للمؤمنين فيقـول: «**وَ هَاجَـرَ إِلَى بِلَادِ الْغُرْبَـةِ، وَ مَحَلِّ النَّأْيِ عَـنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ، وَ مَوْضِعِ رِحْلِهِ، وَ مَسْقَطِ رَأْسِهِ، وَ مَأْنَسِ نَفْسِهِ، إِرَادَةً مِنْهُ لِإِعْزَازِ دِينِكَ، وَ اسْـتِنْصَاراً عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ. حَتَّى اسْـتَتَبَّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ وَاسْـتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي أَوْلِيَائِكَ. فَنَهَدَ إِلَيْهِمْ مُسْـتَفْتِحاً بِعَوْنِكَ، وَ مُتَقَوِّيـاً عَـلَى ضَعْفِـهِ بِنَـصْرِكَ فَغَزَاهُـمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِـمْ. وَهَجَمَ عَلَيْهِـمْ فِي بُحْبُوحَـةِ قَرَارِهِـمْ حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُكَ، وَ عَلَـتْ كَلِمَتُكَ، وَ لَوْ كَـرِهَ الْمُشْرِكُـونَ. اللَّهُمَّ فَارْفَعْـهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ إِلَى الدَّرَجَـةِ الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِـكَ حَتَّـى لَا يُسَـاوَى فِي مَنْزِلَةٍ، وَ لَا يُكَافَـأَ فِي مَرْتَبَةٍ، وَ لَا يُوَازِيَهُ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَ لَا نَبِيٌّ مُرْسَـلٌ.**»[2]

كل هذه الحالات تظهر أهمية الصبر والمثابرة في الحياة، مما يجعل الإنسان يصل إلى مسـتويات عالية من المعرفة ويبقى ثابتاً في خدمة الله ويسـتطيع التغلب على المشاكل والمصاعب بشكل صحيح.

التوبة وأهميتها في الحياة الطيبة

التوبة من أهم المناهج السـلوكية في حياة المؤمن التي تساعده على الإصلاح

١. المصدر نفسه، الدعاء ١٤.

٢. المصدر نفسه، الدعاء الثاني.

والعودة إلى طريق السـعادة والكمال. التوبة هي إحدى علامات رحمة الله اللامتناهية للعباد، والتي بها يخلص الإنسـان من وسـخ الخطيئة والقبح ويعود إلى الله. التوبة هي الحالة التي يسـتغل فيها الإنسـان هذه الفرصة للتعويض عن أخطائه؛ لو لم تكن التوبة هذه فرصة الله الخاصة وتم تسجيل كل سيئات الإنسان في كتاب أعمال الإنسان دون أي فرصة مثل التوبة لكان اليأس والقنوط هو الحاكم في الحياة؛ لأن الإنسـان يعلم أنه ارتكب أخطاء تؤدي إلى العقاب ولا سبيل للتعويض عنها وهذا ما جعله ييأس بل ويستمر في أعماله السـيئة. لقد أعطت نعمة الله اللامتناهية للإنسـان فرصة التوبة للتعويـض عن أخطائه والعـودة إلى الطريق الصحيح. التوبة لا تعني فقط النـدم عـلى الذنب، بل هي في معناها الحقيقي الرجـوع إلى الله والعودة إلى الطريـق الذي يحبه الله؛ يعني فعل مـا أمر الله به، واجتناب الأخطاء التي نهـى اللـه عنها. لذلـك فإن التوبة فرصـة خاصة للوصـول إلى رحمة الله. يقـول القرآن الكريم عـن رحمة الله هذه: «**قُلْ يا عِبـادِيَ الَّذينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِـهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعاً إِنَّـهُ هُوَ الْغَفُـورُ الرَّحيم**»[1] و هذا نداء من اللّـه الرحمن الرحيم، لعباده الخاطئين الذين توغّلوا في الخطيئة، لئلا يستسلموا لليأس، و أن لا يبتعدوا كثيرا عنه، و أن يفكروا في مواقفهم على أساس تصحيح الانحراف بالطريقة التي يرجعون بها إلى اللَّه في خطّ عمليّ يلتقون فيه بخط الاستقامة في رحمة اللّـه و مغفرتـه ... وهو النداء الحميم الذي ينفذ إلى أرواحهم و مشـاعرهم ليهزّها بالأمل الكبير ليسـتيقظ فيها الإحساس- من جديد- باللّه في التفاتة روحيـة حميمـة و في عودة إلى طاعته في مواقع رضاه، و هذا ما يشـعرهم

١. الزمر/٥٣.

بـأن اللّـه يلاحـق خطاياهم بالرحمـة و المغفرة عند ما يعـودون إليه، كما يلاحقهـا بالعقوبـة و الشـدّة عند ما يصرّون على التمـرّد عليه ... ثم يضع لهـم الـشروط العملية للإخلاص بالتوبة، لئلا تكون مجرّد حالة شـعوريّة كلامية، بل تكون نهجا فكريّا و عمليّا في حركة الشـخصية الإنسـانية التي تريـد اللقاء باللّـه بقوّة و إخلاص، في آفاق التغيير مـن الجذور.[1] قد ذكر الإمام السـجاد (عليه السلام) أيضاً التوبة من رحمة الله في ادعيته، ويقول إن التوبة علامة على سعة رحمة الله؛ فيقول في هذا الصدد: «**وَ الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي دَلَّنَا عَلَى التَّوْبَةِ الَّتِي لَمْ نُفِدْهَا إِلَّا مِنْ فَضْلِه، فَلَوْ لَمْ نَعْتَدِدْ مِنْ فَضْلِه إِلَّا بِهَا لَقَدْ حَسُـنَ بَلَاؤُهُ عِنْدَنَا، وَ جَلَّ إِحْسَـانُهُ إِلَيْنَا وَ جَسُـمَ فَضْلُـهُ عَلَيْنَـا فَمَا هَكَـذَا كَانَتْ سُـنَّتُهُ فِي التَّوْبَةِ لِمَـنْ كَانَ قَبْلَنَا، لَقَدْ وَضَعَ عَنَّا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِه، وَ لَمْ يُكَلِّفْنَا إِلَّا وُسْـعاً، وَ لَمْ يُجَشِّـمنَا إِلَّا يُـسراً، وَ لَـمْ يَـدَعْ لِأَحَـدٍ مِنَّا حُجَّـةً وَ لَا عُذْراً.**»[2] بهـذه العبارات يحمد الإمام السجاد(عليه السلام) الله ويشكره على نعمة التوبة. إن عبارة «**دَلَّنَـا عَـلَى التَّوْبَةِ الَّتِي لَمْ نُفِدْهَا إِلَّا مِنْ فَضْلِه**» تدل على موقف التوبة باعتبارها رحمة الله اللامتناهية. التوبة عامل من عوامل الوصول إلى فضل الله ورحمته؛ يقول الإمام السجاد (عليه السلام) في موضع آخر عن أهمية التوبـة ومكانتها كرحمة اللـه اللامتناهية: «**وَ تَلَقَّيْتَ مَنْ عَصَاكَ بِالْحِلْمِ، وَ أَمْهَلْـتَ مَنْ قَصَدَ لِنَفْسِـه بِالظُّلْمِ، تَسْـتَنْظِرُهُمْ بِأَنَاتِـكَ إِلَى الْإِنَابَةِ، وَ تَـتْرُكُ مُعَاجَلَتَهُـمْ إِلَى التَّوْبَةِ لِكَيْلَا يَهْلِكَ عَلَيْكَ هَالِكُهُمْ، وَ لَا يَشْـقَى بِنِعْمَتِكَ شَقِيُّهُمْ إِلَّا عَنْ طُولِ الْإِعْذَارِ إِلَيْه، وَ بَعْدَ تَرَادُفِ الْحُجَّةِ عَلَيْه،**

---

١. فضل الله، من وحي القرآن، ج١٩، ص٣٣٩.
٢. الصحيفة السجادية، الدعاء الأول.

كَرَماً مِنْ عَفْوِكَ يَا كَرِيمُ، وَ عَائِدَةً مِنْ عَطْفِكَ يَا حَلِيمُ.»[1] تذكر هذه العبارات فرصة التوبة كأحد مظاهر نعمة الله ورحمته اللامتناهية. قد أشار الإمام السجاد (عليه السلام) إلى شروط التوبة الصادقة؛ نفس التوبة التي تؤدي إلى السعادة وأنها تسبب مغفرة الذنوب، كما يقول في هذا الصدد: «**وَ إِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ حَيَاتِنَا، وَ تَصَرَّمَتْ مُدَدُ أَعْمَارِنَا، وَ اسْتَحْضَرَتْنَا دَعْوَتُكَ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا وَ مِنْ إِجَابَتِهَا، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اجْعَلْ خِتَامَ مَا تُحْصِي عَلَيْنَا كَتَبَةُ أَعْمَالِنَا تَوْبَةً مَقْبُولَةً لَا تُوقِفُنَا بَعْدَهَا عَلَى ذَنْبٍ اجْتَرَحْنَاهُ، وَ لَا مَعْصِيَةٍ اقْتَرَفْنَاهَا. وَ لَا تَكْشِفْ عَنَّا سِتْراً سَتَرْتَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، يَوْمَ تَبْلُو أَخْبَارَ عِبَادِكَ. إِنَّكَ رَحِيمٌ بِمَنْ دَعَاكَ، وَ مُسْتَجِيبٌ لِمَنْ نَادَاكَ.**»[2] عبارة« **تَوْبَةً مَقْبُولَةً لَا تُوقِفُنَا بَعْدَهَا عَلَى ذَنْبٍ اجْتَرَحْنَاهُ، وَ لَا مَعْصِيَةٍ اقْتَرَفْنَاهَا**» يبين في هذا الدعاء نقطة مهمة وهي أن التوبة الحقيقية المقبولة هي التوبة التي لا يتبع الإنسان بعدها ذنوبه السابقة ويعود عن ذلك الطريق. يقول في مكان آخر: «**فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اجْعَلْ نَدَامَتِي عَلَى مَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ الزَّلَّاتِ، وَ عَزْمِي عَلَى تَرْكِ مَا يَعْرِضُ لِي مِنَ السَّيِّئَاتِ، تَوْبَةً تُوجِبُ لِي مَحَبَّتَكَ، يَا مُحِبَّ التَّوَّابِينَ.**»[3] التوبة الحقيقية هي أهم نتيجة تدخل الإنسان إلى رحمة الله ومحبته، وفي هذا الدعاء يعبر الإمام السجاد عن نتيجة التوبة الحقيقية بعبارة «**تَوْبَةً تُوجِبُ لِي مَحَبَّتَكَ**». في أدعية أخرى و في بيان حقيقة التوبة يستخدم عبارة «**تَوْبَةً نَصُوحا**» وبتكييف آيات من القرآن يعبر عن حقيقة التوبة الصادقة، فيقول: «**وَ اجْعَلْ تِجَارَتِي**

١. المصدر نفسه، الدعاء ٤٥.
٢. المصدر نفسه، الدعاء ١١.
٣. المصدر نفسه، الدعاء ٣٨.

رَابحَـةً، وَ كَرَّتِـي غَيْرَ خَاسرَة، وَ أَخفْنِي مَقَامَكَ، وَ شَـوِّقْنِي لِقَاءَكَ، وَ تُـبْ عَـلَيَّ تَوْبَـةً نَصُوحاً لَا تُبْـقِ مَعَهَا ذُنُوبـاً صَغِـيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً، وَ لَا تَـذَرْ مَعَهَـا عَلَانِيَـةً وَ لَا سَرِيـرَةً.»[1] يقول في مـكان آخر باقتباس مـن آيات القرآن: «**أَنْـتَ الَّذِي فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ بَاباً إِلَى عَفْوِكَ، وَ سَـمَّيْتَهُ التَّوْبَـةَ، وَ جَعَلْـتَ عَـلَى ذَلِكَ الْبَـابِ دَلِيلًا مِنْ وَحْيِكَ لِئَـلَّا يَضِلُّوا عَنْهُ، فَقُلْـتَ- تَبَارَكَ اسْـمُكَ-: تُوبُـوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَـسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يَوْمَ لا يُخْـزِي اللَّـهُ النَّبِـيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْـعى بَـيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَ اغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيـر.»**[2] هذه العبارات تعبر عن موقف التوبة الحقيقية، وهي أنه ينبغي للإنسـان أن يتوب توبة صادقة، ويعود تمامًا من ماضيه الخاطئ. إنّ أوّل خطوة على طريق النجاة هي التوبة و الإقلاع عن الذنب، التوبة التي يكون هدفها رضا اللّه و الخوف منه. التوبة الخالصة من أي هدف آخر كالخوف مـن الآثار الاجتماعية و الآثار الدنيوية للذنوب. و أخيرا التوبة التي يفارق بهـا الإنسـان الذنب و يتركـه إلى الأبد. و من المعلـوم أنّ حقيقة التوبة هي النـدم على الذنب، و شرطها التصميم على الترك في المسـتقبل. «نصوح» من مـادّة نصـح، بمعنى طلب الخـير بإخلاص، و لذلك يقال للعسـل الخالص بأنّـه (ناصـح) و بما أنّ من يريـد الخير واقعا يجب أن يكـون عمله توأما للإتقان جاءت كلمة «نصح» أحيانا بهذا المعنى، و لذا يقال للبناء المتين بأنّه «نصاح»-عـلى وزن كتـاب- و يقـال للخيّاط «ناصـح»، و كلا المعنيين- أي

١. المصدر نفسه، الدعاء ٤٧.

٢. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٥.

الخلـوص و المتانـة- يجـب توفّرهما في التوبة النصـوح. التوبة (النصوح) يجب أن تتوفّر فيها أربعة شروط: الندم الداخلي، الاستغفار باللسان، ترك الذنـب، و التصميـم على الاجتناب في المسـتقبل.و قال البعـض الآخر بأنّها (أي التوبـة النصـوح) ذات شروط ثلاثة (الخوف من عدم قبولها، و الأمل بقبولهـا، و الاسـتمرار على طاعة اللّـه. أو أنّ التوبة «النصوح» التي تجعل الذنـوب دائما أمام أعين أصحابها، ليشـعر الإنسـان بالخجـل منها.أو أنّها تعني إرجاع المظالم و الحقوق إلى أصحابها، و طلب التحليل و براءة الذمّة من المظلومين، و المداومة على طاعة اللّه.أو هي التي تشتمل على امور ثلاثة: قلّـة الأكل، قلّـة القول، قلّة النوم.أو التوبة النصـوح هي التي يرافقها بكاء العين، و اشمئزاز القلب من الذنوب و ما إلى ذلك من فروع التوبة الواقعية و هـي التوبـة الخالصة التامّـة الكاملة.جاء في حديث عن رسـول اللّه صلّى اللّـه عليـه و آله و سـلّم عند ما سـأله معاذ بن جبل عـن «التوبة النصوح» أجابـه قائـلا: «أن يتوب التائب ثمّ لا يرجع في الذنـب كما لا يعود اللبن إلى الضرع».[1]

قـد جعـل الإمام السـجاد (عليه السـلام) علامة التوبـة الصادقة هي ندم الإنسـان الصـادق و يقول: «**أَتُـوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَـذَا تَوْبَةَ نَادِمٍ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ، مُشْفِقٍ مِمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ، خَالِصِ الْحَيَاءِ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ. عَالِمٍ بِأَنَّ الْعَفْوَ عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ لَا يَتَعَاظَمُكَ، وَ أَنَّ التَّجَاوُزَ عَنِ الْإِثْمِ الْجَلِيلِ لَا يَسْـتَصْعِبُكَ، وَ أَنَّ احْتِمَالَ الْجِنَايَاتِ الْفَاحِشَـةِ لَا يَتَكَأَّدُكَ، وَ أَنَّ أَحَـبَّ عِبَـادِكَ إِلَيْكَ مَنْ تَرَكَ الِاسْـتِكْبَارَ عَلَيْكَ، وَ جَانَبَ الْإِصْرَارَ،**

١. المكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج١٨، ص: ٤٥٤.

وَ لَـزِمَ الِاسْـتِغْفَارَ.»[1] يقـول في دعاء آخـر: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُـوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِـي هَـذَا مِـنْ كَبَائِرِ ذُنُوبِـي وَ صَغَائِرِهَـا، وَ بَوَاطِنِ سَـيِّئَاتِي وَ ظَوَاهِرِهَـا، وَ سَـوَالِفِ زَلَّاتِي وَ حَوَادِثِهَا، تَوْبَةَ مَنْ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَـهُ بِمَعْصِيَـةٍ، وَ لَا يُضْمِـرُ أَنْ يَعُـودَ فِي خَطِيئَةٍ وَ قَدْ قُلْـتَ- يَا إِلَهِي- فِي مُحْكَـمِ كِتَابِـكَ: إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَـةَ عَنْ عِبَادِكَ، وَ تَعْفُو عَنِ السَّـيِّئَاتِ، وَ تُحِبُّ التَّوَّابِينَ، فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ، وَ اعْفُ عَنْ سَـيِّئَاتِي كَمَا ضَمِنْـتَ، وَ أَوْجِـبْ لِي مَحَبَّتَـكَ كَمَا شَرَطْتَ وَ لَكَ- يَا رَبِّ- شَرْطِي أَلَّا أَعُـودَ فِي مَكْرُوهِـكَ، وَ ضَمَانِي أَنْ لَا أَرْجِـعَ فِي مَذْمُومِكَ، وَ عَهْدِي أَنْ أَهْجُرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ.»**[2] هذه العبارة تدل على أن الإنسان عندما يتوب فإنـه يندم ويخجل مما مضى وعندما يخجل الإنسـان ويندم على شيء فإنه لا يعود إليه بأي حال من الأحوال. إن التوبة الحقيقية هي منهج سـلوكي في حياة المؤمن يخلصه من اليأس وعليه برجاء رحمة الله والتوبة الصادقة أن يعوض ماضيه السيئ والعودة إلى رحمة الله اللامتناهية، وتصبح هذه التوبة فرصة خاصة لتصحيح الماضي والتخطيط لمسـتقبل جيد.

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ:

(١) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِهِ، وَ جَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ لِنَكُونَ لِإِحْسَانِهِ مِـنَ الشَّـاكِرِينَ، وَ لِيَجْزِيَنَـا عَلَى ذَلِكَ جَـزَاءَ الْمُحْسِـنِينَ (٢) وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَبَانَا بِدِينِهِ، وَ اخْتَصَّنَا بِمِلَّتِهِ، وَ سَبَّلَنَا فِي سُـبُلِ إِحْسَـانِهِ لِنَسْـلُكَهَا بِمَنِّـهِ إِلَى رِضْوَانِهِ، حَمْداً يَتَقَبَّلُهُ مِنَّـا، وَ يَرْضَى بِهِ عَنَّا (٣) وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّـبُلِ شَـهْرَهُ شَـهْرَ رَمَضَانَ، شَهْرَ

---

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ١٢.

٢. المصدر نفسه، الدعاء ٣١.

الصِّيَام، وَ شَـهْرَ الْإِسْـلَام، وَ شَـهْرَ الطَّهُور، وَ شَـهْرَ التَّمْحِيص، وَ شَهْرَ الْقِيَام الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، هُدىً لِلنَّاس، وَ بَيِّنات مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقَـانِ (٤) فَأَبَانَ فَضِيلَتَهُ عَلَى سَـائِرِ الشُّـهُورِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنَ الْحُرُمَـاتِ الْمَوْفُـورَةِ، وَ الْفَضَائِـلِ الْمَشْـهُورَةِ، فَحَرَّمَ فِيهِ مَـا أَحَلَّ فِي غَـيْرِهِ إِعْظَامـاً، وَ حَجَرَ فِيـهِ الْمَطَاعِمَ وَ الْمَشَـارِبَ إِكْرَاماً، وَ جَعَلَ لَهُ وَقْتـاً بَيِّنـاً لَا يُجِيـزُ- جَلَّ وَ عَـزَّ- أَنْ يُقَدَّمَ قَبْلَـهُ، وَ لَا يَقْبَلُ أَنْ يُؤَخَّرَ عَنْـهُ. (٥) ثُـمَّ فَضَّـلَ لَيْلَـةً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيـهِ عَلَى لَيَالِي أَلْفِ شَـهْرٍ، وَ سَـمَّاهَا لَيْلَـةَ الْقَدْرِ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَـا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْـرٍ سَـلَامٌ، دَائِمُ الْبَرَكَةِ إِلَى طُلُـوعِ الْفَجْرِ عَلَى مَنْ يَشَـاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِمَـا أَحْكَـمَ مِـنْ قَضَائِهِ. (٦) اللَّهُمَّ صَـلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِـهِ، وَ أَلْهِمْنَا مَعْرِفَـةَ فَضْلِهِ وَ إِجْـلَالَ حُرْمَتِهِ، وَ التَّحَفُّظَ مِمَّا حَظَرْتَ فِيهِ، وَ أَعِنَّا عَـلَى صِيَامِـهِ بِكَـفِّ الْجَوَارِحِ عَـنْ مَعَاصِيـكَ، وَ اسْـتِعْمَالِهَا فِيهِ بِمَا يُرْضِيـكَ حَتَّى لَا نُصْغِيَ بِأَسْـمَاعِنَا إِلَى لَغْوٍ، وَ لَا نُـسْرِعَ بِأَبْصَارِنَا إِلَى لَهْوٍ (٧) وَ حَتَّى لَا نَبْسُطَ أَيْدِيَنَا إِلَى مَحْظُورٍ، وَ لَا نَخْطُوَ بِأَقْدَامِنَا إِلَى مَحْجُـورٍ، وَ حَتَّـى لَا تَعِـيَ بُطُونُنَا إِلَّا مَا أَحْلَلْتَ، وَ لَا تَنْطِقَ أَلْسِـنَتُنَا إِلَّا بِمَـا مَثَّلْـتَ، وَ لَا نَتَكَلَّـفَ إِلَّا مَـا يُدْنِي مِنْ ثَوَابِـكَ، وَ لَا نَتَعَاطَى إِلَّا الَّذِي يَقِي مِنْ عِقَابِكَ، ثُمَّ خَلِّصْ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ رِئَاءِ الْمُرَاءِينَ، وَ سُمْعَةِ الْمُسْـمِعِينَ، لَا نُـشْرِكُ فِيهِ أَحَـداً دُونَكَ، وَ لَا نَبْتَغِي فِيهِ مُرَاداً سِـوَاكَ. (٨) اللَّهُـمَّ صَلِّ عَـلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ قِفْنَا فِيهِ عَلَى مَوَاقِيتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بِحُدُودِهَا الَّتِي حَدَّدْتَ، وَ فُرُوضِهَا الَّتِي فَرَضْتَ، وَ وَظَائِفِهَا الَّتِي وَظَّفْتَ، وَ أَوْقَاتِهَا الَّتِي وَقَّتَّ (٩) وَ أَنْزِلْنَا فِيهَا مَنْزِلَةَ الْمُصِيبِينَ لِمَنَازِلِهَـا، الْحَافِظِـينَ لِأَرْكَانِهَـا، الْمُؤَدِّيـنَ لَهَا فِي أَوْقَاتِهَا عَلَى مَا سَـنَّهُ

عَبْدُكَ وَ رَسُولُكَ- صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَ آلِهِ- فِي رُكُوعِهَا وَ سُجُودِهَا وَ جَمِيعِ فَوَاضِلِهَا عَلَى أَتَمِّ الطَّهُورِ وَ أَسْبَغِهِ، وَ أَبْيَنِ الْخُشُوعِ وَ أَبْلَغِهِ. (١٠) وَ وَفِّقْنَا فِيهِ لِأَنْ نَصِلَ أَرْحَامَنَا بِالْبِرِّ وَ الصِّلَةِ، وَ أَنْ نَتَعَاهَدَ جِيرَانَنَا بِالْإِفْضَالِ وَ الْعَطِيَّةِ، وَ أَنْ نُخَلِّصَ أَمْوَالَنَا مِنَ التَّبِعَاتِ، وَ أَنْ نُطَهِّرَهَا بِإِخْرَاجِ الزَّكَوَاتِ، وَ أَنْ نُرَاجِعَ مَنْ هَاجَرَنَا، وَ أَنْ نُنْصِفَ مَنْ ظَلَمَنَا، وَ أَنْ نُسَالِمَ مَنْ عَادَانَا حَاشَى مَنْ عُودِيَ فِيكَ وَ لَكَ، فَإِنَّهُ الْعَدُوُّ الَّذِي لَا نُوَالِيهِ، وَ الْحِزْبُ الَّذِي لَا نُصَافِيهِ. (١١) وَ أَنْ نَتَقَرَّبَ إِلَيْكَ فِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ بِمَا تُطَهِّرُنَا بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَ تَعْصِمُنَا فِيهِ مِمَّا نَسْتَأْنِفُ مِنَ الْعُيُوبِ، حَتَّى لَا يُورِدَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ مَلَائِكَتِكَ إِلَّا دُونَ مَا نُورِدُ مِنْ أَبْوَابِ الطَّاعَةِ لَكَ، وَ أَنْوَاعِ الْقُرْبَةِ إِلَيْكَ. (١٢) اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الشَّهْرِ، وَ بِحَقِّ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ مِنِ ابْتِدَائِهِ إِلَى وَقْتِ فَنَائِهِ: مِنْ مَلَكٍ قَرَّبْتَهُ، أَوْ نَبِيٍّ أَرْسَلْتَهُ، أَوْ عَبْدٍ صَالِحٍ اخْتَصَصْتَهُ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَهِّلْنَا فِيهِ لِمَا وَعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ مِنْ كَرَامَتِكَ، وَ أَوْجِبْ لَنَا فِيهِ مَا أَوْجَبْتَ لِأَهْلِ الْمُبَالَغَةِ فِي طَاعَتِكَ، وَ اجْعَلْنَا فِي نَظْمِ مَنِ اسْتَحَقَّ الرَّفِيعَ الْأَعْلَى بِرَحْمَتِكَ.(١٣) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ جَنِّبْنَا الْإِلْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ، وَ التَّقْصِيرَ فِي تَمْجِيدِكَ، وَ الشَّكَّ فِي دِينِكَ، وَ الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ، وَ الْإِغْفَالَ لِحُرْمَتِكَ، وَ الِانْخِدَاعَ لِعَدُوِّكَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (١٤) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ إِذَا كَانَ لَكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي شَهْرِنَا هَذَا رِقَابٌ يُعْتِقُهَا عَفْوُكَ، أَوْ يَهَبُهَا صَفْحُكَ فَاجْعَلْ رِقَابَنَا مِنْ تِلْكَ الرِّقَابِ، وَ اجْعَلْنَا لِشَهْرِنَا مِنْ خَيْرِ أَهْلٍ وَ أَصْحَابٍ. (١٥) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ امْحَقْ ذُنُوبَنَا مَعَ امِّحَاقِ هِلَالِهِ، وَ اسْلَخْ عَنَّا تَبِعَاتِنَا مَعَ انْسِلَاخِ

أَيَّامِهِ حَتَّى يَنْقَضِيَ عَنَّا وَ قَدْ صَفَّيْتَنَا فِيهِ مِنَ الْخَطِيئَاتِ، وَ أَخْلَصْتَنَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ. (١٦) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ إِنْ مِلْنَا فِيهِ فَعَدِّلْنَا، وَ إِنْ زُغْنَا فِيهِ فَقَوِّمْنَا، وَ إِنِ اشْتَمَلَ عَلَيْنَا عَدُوُّكَ الشَّيْطَانُ فَاسْتَنْقِذْنَا مِنْهُ. (١٧) اللَّهُمَّ اشْحَنْهُ بِعِبَادَتِنَا إِيَّاكَ، وَ زَيِّنْ أَوْقَاتَهُ بِطَاعَتِنَا لَكَ، وَ أَعِنَّا فِي نَهَارِهِ عَلَى صِيَامِهِ، وَ فِي لَيْلِهِ عَلَى الصَّلَاةِ وَ التَّضَرُّعِ إِلَيْكَ، وَ الْخُشُوعِ لَكَ، وَ الذِّلَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى لَا يَشْهَدَ نَهَارُهُ عَلَيْنَا بِغَفْلَةٍ، وَ لَا لَيْلُهُ بِتَفْرِيطٍ. (١٨) اللَّهُمَّ وَ اجْعَلْنَا فِي سَائِرِ الشُّهُورِ وَ الْأَيَّامِ كَذَلِكَ مَا عَمَّرْتَنَا، وَ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ، أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، وَ مِنَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ.(١٩) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، فِي كُلِّ وَقْتٍ وَ كُلِّ أَوَانٍ وَ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَدَدَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى مَنْ صَلَّيْتَ عَلَيْهِ، وَ أَضْعَافَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالْأَضْعَافِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا غَيْرُكَ، إِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تُرِيدُ.

الفصل السادس

خصائص الأخلاق الصالحة في الحياة الطيبة

إن من أهم الأمور التي لها الأثر الكبير على الصحة النفسية والروحية للإنسان هي الأخلاق السليمة والصالحة، وهو ما أكدت عليه آيات القرآن الكريم وأحاديث المعصومين(عليهم السلام)؛ وهذه الأخلاق مهمة لدرجة أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) كمعلم ومفسر حقيقي للقرآن، يرى أن فلسفة بعثته هي استكمال الفضائل الأخلاقية عندما يقول: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»[١] كما يعتبره القرآن الكريم قدوة لجميع البشر لأن حسن الخلق من أمثلته: «**لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**»[٢] وفي موضع آخر يقول الله عن أخلاق النبي الكريم (صلى الله عليه وآله و سلم) الحسنة: «**وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**»[٣]

لقد كان من أهداف جميع الأنبياء وخاصة النبي محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) تربية الناس وتزيينهم بالفضائل الأخلاقية وإخراجهم من الرذائل الأخلاقية: «**كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**»[٤]؛ «**رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**

---

١. المجلسي، بحارالانوار، ج٦٨، ص ٣٨٣.
٢. الاحزاب/ ٢٠.
٣. القلم/ ٤.
٤. البقرة/ ١٥١.

»[١]؛ «**هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ**»[٢]. وأهمية هذه التزكية والتحلي بالأخلاق الإلهية ليس إلا الجنة والوصول إلى الرخاء والخلاص: «**جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فيها وَ ذلِكَ جَزاءُ مَنْ تَزَكَّى**»[٣]، «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**»[٤]، «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها**».[٥]

لذلك فإن الاهتمام بالأخلاق السليمة والصالحة أمر مهم في تحسين الصحة الفردية والاجتماعية للمجتمع. من خلال عرض الأسس الدينية المهمة والتأكيد عليها، يحدد دين الإسلام أسلوب الحياة الإسلامي في مجال الخصائص العامة، ومن خلال عرض ما يجب فعله وما لا يجب فعله في الحياة فإنه يعطي توجيهات لأسلوب الحياة الإسلامي. في مجال المعارف الأخلاقية فقد تناول التربية الأخلاقية بشكل كامل ومطلق وذكر ما يجب وما لا يجب فعله في مختلف المجالات، بحيث لم يتم ذكر موضوع الأخلاق في أي مدرسة. فيما يلي تحليل وبحث لأهم خصائص الأخلاق الحميدة في الصحيفة السجادية.

مؤشرات أخلاقية كريمة في الحياة الطيبة

في تعاليم الدين الإسلامي وتحت الآيات والأحاديث التالية، تم ذكر القضايا الأخلاقية في مختلف المجالات وأن الغرض من بيان المسائل

١. البقرة/ ١٢٩.
٢. الجُمعة/ ٢.
٣. طه/ ٧٦.
٤. الاعلى/ ١٤.
٥. الشّمس/ ٩.

الأخلاقيـة هو وصـول الناس إلى الكمال والسـعادة في الدنيـا والآخرة؛ إن تحلي الإنسـان بالفضائـل الأخلاقية وإزالة الرذائـل الأخلاقية من الأهداف المهمة للإسلام. في هذا السياق لا يقتصر الحديث على البعد الفردي للأخلاق فحسـب، بل يظهر الاهتمام بالأخلاق الإسلامية في مختلف مجالات الحياة، وهـو أمر مهم نظرا لشـمولية الإسـلام في الاهتمام بجميـع جوانب الحياة الإنسـانية. فيما يلي نشير إلى بعض نماذج الأخلاق الإسلامية من الصحيفة السجادية.

تجنب الرذائل الأخلاقية

الرذائـل الأخلاقية هي صفات كريهة يُؤمر باجتنابها في الحياة الإسـلامية؛ إن الرذائل الأخلاقية لا تصيب النفس البشرية فحسب، بل تترك آثارا سلبية عـلى الأسرة والمجتمـع. مـن أهم الرذائـل التي يجب التأكيد عـلى تجنبها في التعاليم الدينية:

الغضب

الغضـب هو مصـدر العديد مـن الأضرار الاجتماعية. تعتبر حالة السـخط والغضـب مـن أخطر الحالات التي إذا لم يتم السـيطرة عليها، تظهر كنوع من الجنون وفقدان السـيطرة على الأعصاب. كثـير من الجرائم والقرارات الخطيرة التي يجب على الإنسان التكفير عنها مدى الحياة، تتم في مثل هذه الحالة. يتحدث القرآن الكريم عن خصائص حياة المتقين: «**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**»[1]؛ :«**وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا**

١. آل عمران/ ١٣٤.

مَـا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ»[١] وفي الروايات بالإضافة إلى إنكار هذه الصفة المذمومة، فقد ذكرت آثارها السيئة في الحياة مثل: يقول النبي الكريم (صلى الله عليه وسـلم) في وصف الآثار السيئة لهذه الرذيلة الأخلاقية: «**الْغَضَبُ يُفْسِـدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِـدُ الْخَلُّ الْعَسَـل.**»[٢]. قد جعـل الامام الصادق (عليه السـلام) الغضـب مفتاح كل شر: «**الْغَضَبُ مِفْتَـاحُ كُلِّ شَر**»[٣] وفي نـوع آخـر من الروايات ورد ذكـر آثار التغلب على الغضـب؛ إن حقيقة أن مـن تغلب على غضبه سـيأمن من غضب الله يـوم القيامة، وبطريقة ما تم تشـجيع كظم الغيـض في هذه الأحاديث: «**مَنْ كَفَّ نَفْسَـهُ عَـنْ أَعْرَاضِ النَّـاسِ أَقَـالَ اللَّهُ نَفْسَـهُ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ وَ مَنْ كَفَّ غَضَبَـهُ عَنِ النَّاسِ كَـفَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَـالَى عَنْهُ عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَة**»[٤] وفي روايات أخرى مـدح غضب المؤمن، وأنه إذا غضب لم يصده هذا الغضب عن طريق الحق: «**ثَلَاثُ خِصَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ اسْتَكْمَلَ خِصَالَ الْإِيمَانِ إِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَـاهُ فِي بَاطِـلٍ وَ إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْـهُ الْغَضَبُ مِنَ الْحَقِّ وَ إِذَا قَدَرَ لَـمْ يَتَعَاطَ مَا لَيْسَ لَه**»[٥]

يسـأل الإمام السـجاد الله أن يلبسـه ثياب المتقين، ومن صفات المتقين هو كظـم الغيـظ، فيقـول: «**اللَّهُمَّ صَـلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِه، وَ حَلِّنِـي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَ أَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وَ كَظْمِ الْغَيْظِ، وَ إِطْفَاءِ النَّائِرَة**»[٦] في مكان آخر يسـتعيذ بالله من سفاط الغضب و يقول:

١. الشّورى/٣٧.
٢. الكليني، الكافي، ج٢ ، ص ٣٠٢.
٣. المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠٣.
٤. حرالعاملي، وسائل الشيعة، السابق، ج١٥، ص٣٥٨.
٥. الصحيفة السجادية، ج٢، ص٢٣٩.
٦. المصدر نفسه، الدعاء ٢٠.

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ، وَ سَوْرَةِ الْغَضَبِ، وَ غَلَبَةِ الْحَسَدِ، وَ ضَعْفِ الصَّبْرِ، وَ قِلَّةِ الْقَنَاعَةِ، وَ شَكَاسَةِ الْخُلُقِ، وَ إِلْحَاحِ الشَّهْوَةِ، وَ مَلَكَةِ الْحَمِيَّةِ وَ مُتَابَعَةِ الْهَوَى، وَ مُخَالَفَةِ الْهُدَى، وَسِنَةِ الْغَفْلَةِ، وَ تَعَاطِي الْكُلْفَةِ، وَ إِيثَارِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ، وَ الْإِصْرَارِ عَلَى الْمَأْثَمِ، وَاسْتِصْغَارِ الْمَعْصِيَةِ، وَاسْتِكْبَارِ الطَّاعَةِ. وَ مُبَاهَاةِ الْمُكْثِرِينَ، وَ الْإِزْرَاءِ بِالْمُقِلِّينَ، وَ سُوءِ الْوِلَايَةِ لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِينَا، وَ تَرْكِ الشُّكْرِ لِمَنِ اصْطَنَعَ الْعَارِفَةَ عِنْدَنَا.»[1]

ذلك لأن العديد من المشاكل والإصابات سببها عدم السيطرة على الغضب؛ لأن بعض جرائم القتل وبعض الأخطاء التي تجلب الندم مدى الحياة يكون سببها عدم السيطرة على الغضب والغيظ؛ ولهذا ينبغي ضبط صفة الغضب في الحالات التي لا تصح فيها ويمكن للإنسان أن يكتسب هذه الصفة النفسانية بالممارسة والعون من الله حتى لا يقع في المشاكل في الأوقات الحساسة.

سوء الظن والتجسس والغيبة

كما تعتبر هذه الحالات من الرذائل الأخلاقية، وكل منها بمفردها يمكن أن يكون لها نتائج سيئة في الحياة الفردية والاجتماعية. قد اهتم القرآن الكريم بهذا الأمر وقال عنه: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**»[2] يقول الامام الباقر (عليه السلام) من كلام النبي

---

١. المصدر نفسه، الدعاء ٨.

٢. الحجرات/١٢.

الكريم (صلى الله عليه وآله): «**يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَ لَمْ يُسْلِمْ بِقَلْبِهِ لَا تَتَبَّعُوا عَثَرَاتِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَثَرَاتِ الْمُسْلِمِينَ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ وَ مَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَفْضَحْهُ**»[1] ومن الرذائل الأخلاقية الأخرى المذكورة في هذه الآية المباركة هي الغيبة. الغيبة هو في الواقع ابطال للهوية والشخصية الاجتماعية للأشخاص الذين لا يعرفون شيئًا عن الوضع.[2] قد بين القرآن الكريم هذا الأمر وأضراره على الفرد بشكل كامل؛ كما يقول: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه الميت؟ هو يريد من خلال ذكر هذه الحقيقة أن يوضح أن جميع المؤمنين إخوة وأن غيبة أحد هؤلاء المؤمنين هي أكل لحم ميتته فإذا كان للإنسان عين واقعية وضمير مستيقظ واعٍ فلن يفعل هذا الفعل القبيح. طبعا البعض يبرر الغيبة ويقولون أننا نقول نفس الكلام أمامه، إذا كانوا قد ارتكبوا بالفعل عمل الغيبة. فبين ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبوذر الغفارى و قال: «**قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ مَا الْغِيبَةُ- قَالَ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ- قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ كَانَ فِيهِ ذَاكَ الَّذِي يُذْكَرُ بِهِ- قَالَ اعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا ذَكَرْتَهُ بِمَا هُوَ فِيهِ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَ إِذَا ذَكَرْتَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[3] يقول الإمام السجاد (عليه السلام) في تطهير النفس من الرذائل الأخلاقية كالسب والغيبة: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رُوعِي مِنَ التَّمَنِّي وَ التَّظَنِّي وَ الْحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَ تَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ، وَ تَدْبِيراً عَلَى عَدُوِّكَ، وَ مَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ أَوْ هُجْرٍ أَوْ شَتْمِ**

---

١. المصدر نفسه، ج٢، ص٣٥٦.

٢. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص ٤٨٥-٤٨٤.

٣. المجلسي، بحارالانوار، ج٧٤، ص٩٢.

عِرْضٍ أَوْ شَـهَادَةِ بَاطِـلٍ أَوِ اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ أَوْ سَـبِّ حَاضِرٍ»[1] تعـبر هذه العبـارات عن أمثلة للرذائل الأخلاقية التي لا مكان لها في الحياة الطيبـة؛ وحياة المؤمنين طاهرة ونظيفة من هـذه الرذائل. إن هذه الرذائل الأخلاقية مثل السـب والغيبة لا تنفع الإنسـان فحسب، بل تتسبب أيضًا في انتشار الأفكار السلبية لدى الإنسان. لهذا السبب ينبغي للمؤمن أن يتجنب نفسـه من هذه الرذائل الأخلاقية بممارسـة والتغلب على النفس.

الحسد

الحسـد مـن أهـم العوامل التي يدفع الإنسـان إلى إذلال شـخصية الآخرين وتشويه سمعتهم. هناك آيات في القرآن الكريم اهتمت بهذا الأمر وتوصلت إلى حل لعلاج هذه الرذيلة الأخلاقية، حيث تمنى بعض أهل الكتاب أن يكفر المؤمنون. يقول الله عن هذا: «**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[2] سـبب هذا الرغبة وطلبهم الحسـد على المؤمنين. وفي الروايات، بالإضافة إلى ذم الحسد دينياً، ذكروا آثارا جسدية وعقلية له.[3] لعلاج الحسد ومحاربة هـذا الرذيلة الأخلاقيـة يمكن أن تكون المعرفة والسـلوك العملي والتدريب فعالين. إن تهذيب النفس سـواء إفراغها وتخليصها من الرذائل أو تنقيتها وتزيينها بالفضائل يبدأ بالتفكير والعلم والمعرفة؛ ويستمر بالتدريب العملي وأخـيراً تتحقق آثاره وتدوم على شـكل ممتلـكات دائمة في النفس البشرية. يرى الإمام الرضا (عليه السـلام) أن الطمع والحسـد هو سبب هلاك الأمم

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.
٢. البقرة/١٠٩.
٣. المجلسي، بحارالانوار، ج٧٣، ص٢٥٦.

السابقة:« **إِيَّاكُمْ وَ الْحِرْصَ وَ الْحَسَدَ- فَإِنَّهُمَا أَهْلَكَا الْأُمَمَ السَّالِفَةَ وَ إِيَّاكُمْ وَ الْبُخْلَ- فَإِنَّهَا عَاهَةٌ لَا تَكُونُ فِي حُرٍّ وَ لَا مُؤْمِنٍ- إِنَّهَا خِلَافُ الْإِيمَانِ**»[١] ينبغي للإنسان أن يزيل رذيلة الحسد من وجوده؛ ويصف الامام الصادق (عليه السلام) في حديث عن لقمان الحكيم (عليه السلام) صفات الحاسد على النحو التالي: «**وَ لِلْحَاسِدِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ يَغْتَابُ إِذَا غَابَ وَ يَتَمَلَّقُ إِذَا شَهِدَ وَ يَشْمَتُ بِالْمُصِيبَةِ**»[٢] قد ذكر الإمام علي (عليه السلام) في عدة روايات آثار الحسد على الصحة الجسدية والروحية، ومنها أن الحسد يضعف القلب وتمرض البدن: «**الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ**» ؛ «**صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ**» ؛ «**مَا رَأَيْتُ ظَالِماً أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنَ الْحَاسِدِ نَفَسٌ دَائِمٌ وَ قَلْبٌ هَائِمٌ وَ حُزْنٌ لَازِمٌ**» ؛ « **الْحَسَدُ آفَةُ الدِّينِ وَ حَسْبُ الْحَاسِدِ مَا يَلْقَى**» ؛ « **لَا مُرُوَّةَ لِكَذُوبٍ وَ لَا رَاحَةَ لِحَسُودٍ**» ؛ « **الْحَسَدُ لَا يَجْلِبُ إِلَّا مَضَرَّةً وَ غَيْظاً يُوهِنُ قَلْبَكَ وَ يُمْرِضُ جِسْمَكَ وَ شَرُّ مَا اسْتَشْعَرَ قَلْبَ الْمَرْءِ الْحَسَدُ**»[٣] الإمام السجاد (عليه السلام) يطلب من الله أن يطهر صدره من أي حسد ويقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ ارْزُقْنِي سَلَامَةَ الصَّدْرِ مِنَ الْحَسَدِ حَتَّى لَا أَحْسُدَ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِكَ، وَ حَتَّى لَا أَرَى نِعْمَةً مِنْ نِعَمِكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا أَوْ عَافِيَةٍ أَوْ تَقْوَى أَوْ سَعَةٍ أَوْ رَخَاءٍ إِلَّا رَجَوْتُ لِنَفْسِي أَفْضَلَ ذَلِكَ بِكَ وَ مِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ.**»[٤]

---

١. المصدر نفسه، ج٧٥، ص٣٤٦.
٢. الصدوق، الخصال، ج١، ص١٢١.
٣. المجلسي، محمدباقر، بحارالانوار، ج٧٠، ص٢٥٦.
٤. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٢.

كمـا قيل فإن هذه الأدعية لها جانب تعليمي وتربوي، وهي نموذج وقدوة لـكل أتبـاع الطريق الصحيح ليسـألوا الله بهذه الطريقـة، وإلا فإن الإمام السـجاد (عليه السـلام) بريء من أي نوع من الحسـد والرذائل الأخلاقية، وقـد وصل إلى مسـتوى تحـرر فيه من أي رذائل أخلاقيـة. في موضع آخر يعرب الإمام السـجاد(عليه السـلام) عن الحسـد من وسـاوس الشـيطان فيقـول: «**اللَّهُـمَّ اجْعَـلْ مَـا يُلْقِـي الشَّـيْطَانُ فِي رُوعِي مِـنَ التَّمَنِّي وَ التَّظَنِّـي وَ الْحَسَـدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِـكَ، وَ تَفَكُّراً فِي قُدْرَتِـكَ، وَ تَدْبِيراً عَلَى عَـدُوِّكَ، وَ مَـا أَجْرَى عَلَى لِسَـانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ أَوْ هُجْرٍ أَوْ شَـتْمِ عِرْضٍ أَوْ شَـهَادَةِ بَاطِلٍ أَوِ اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ أَوْ سَـبِّ حَاضِرٍ وَ مَا أَشْـبَهَ ذَلِـكَ نُطْقـاً بِالْحَمْدِ لَـكَ، وَ إِغْرَاقـاً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْـكَ، وَ ذَهَاباً فِي تَمْجِيدِكَ، وَ شُـكْراً لِنِعْمَتِكَ، وَ اعْتِرَافاً بِإِحْسَـانِكَ، وَ إِحْصَاءً لِمَنَنِكَ.**»[1] يقـول في مـكان آخـر: «**اللَّهُمَّ صَـلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِـهِ، وَ لَا تَفْتِنِّي بِمَا أَعْطَيْتَهُـمْ، وَ لَا تَفْتِنْهُـمْ بِمَـا مَنَعْتَنِـي فَأَحْسُـدَ خَلْقَـكَ، وَ أَغْمَـطَ حُكْمَـكَ**»[2] تعـبر هذه العبارات الدعائية بشـكل صحيح عـن جميع الآثار السـيئة للحسـد في الحياة، والتي يمكن أن تصبح عاملا في تدمير الإنسـان. بهذه الأدعية يعبر الإمام السـجاد (عليه السـلام) عن آثار الحسـد السـيئة في حياة الإنسـان ليعلم الانسـان ما يسـببه الحسد من آفة وضرر في حياته. هذا يعني أن الحسـد لا يفيد الإنسـان فحسب، بل يدمر أيضًا سلامه وثقته ويجعـل عقل الإنسـان في حيرة، وتضطـرب روحه، وبدلاً مـن أن يفكر في طريق كماله وسـعادته، ينخرط في نعمات الآخرين. في الواقع فإن الحسـد

١. المصدر نفسه، الدعاء ٢٠.
٢. المصدر نفسه، الدعاء ٣٥.

هو نوع من الكفر الذي يجعل الناس يتجاهلون قدرة الله ورحمته وحكمته في منـح النعم، ويتطلعون إلى إتـلاف نعم الآخرين. لذلك فإن صفة الرذيلة هـذه لا معنـى لها في الحياة الطيبة، وحيـاة المؤمنين خالية ونقية من صفة الرذيلة الأخلاقية هذه.

تجنب الرذائل الأخلاقية الأخرى

لا تقتصر الرذائل الأخلاقية على الحالات المذكورة أعلاه فحسب، بل هناك أمثلة كثيرة وردت في التعاليم الدينية؛ إن الاستهزاء بالآخرين، والشتم، والتلفظ بألفاظ غير لائقة، وسوء الأخلاق، وقذف الآخرين، والبخل، والكبر والغرور، والكذب، وغيرها هي من الرذائل الأخلاقية التي ينبغي تجنبها. قد أكد القرآن الكريم والأحاديث في بيان الآثار السيئة لهذه الرذائل الأخلاقية في الدنيا والآخرة على اجتنابها، كما أكد الإمام السجاد على تحريمها وإنكارها في ادعيته.

الاهتمام بالفضائل الأخلاقية

بالإضافة إلى نهي القرآن والأبرياء (عليهم السلام) عن ارتكاب الرذائل الأخلاقية، فقد تم الحث على الفضائل الأخلاقية أيضاً، وبفعل هذه الأمور تصبح الحياة الفردية والاجتماعية مليئة بالحب والجاذبية. ومن هذه الفضائل:

حسن الخلق والوداعة

حسـن الخلق هو من الصفات الطيبـة واللطيفة التي اسر الآخرين في فخ الحب. ترجع أهمية الأخلاق الحميدة في الثقافة الدينية إلى أن القرآن الكريـم ذكـر أن من أهم أسـباب نجاح النبي الكريم (صـلى الله عليه و آله وسلم) حسن خلقه: «**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْـتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَـاوِرْهُمْ فِي**

الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ»[١] عن حسن الخلق فقد وردت روايات كثيرة عن المعصومين (عليهم السلام) كلها تؤكد على أهمية حسن الخلق وآثاره في الحياة، ومنها: «**نِعْمَ الْحَسَبُ حُسْنُ الْخُلُقِ**»؛ «**نِعْمَ الشِّيمَةُ حُسْنُ الْخُلُقِ**» ؛ «**نِعْمَ الْإِيمَانُ جَمِيلُ الْخُلُقِ**»؛ «**لَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ**»؛ «**أَصْلِحِ الْمُسِيءَ بِحُسْنِ فِعَالِكَ وَ دُلَّ عَلَى الْخَيْرِ بِجَمِيلِ مَقَالِكَ**».[٢]

في روايات أخرى وردت آثار مهمة مثل خلق المحبة في الحياة، والتآلف مع الناس، وجعل الحياة طاهرة صالحة للأخلاق الحميدة: «**ثَلَاثٌ يُوجِبْنَ الْمَحَبَّةَ حُسْنُ الْخُلُقِ وَ حُسْنُ الرِّفْقِ وَ التَّوَاضُعُ**» ؛ «**حُسْنُ الْخُلُقِ يُورِثُ الْمَحَبَّةَ وَ يُؤَكِّدُ الْمَوَدَّةَ**»؛ «**عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَإِنَّهُ يُكْسِبُكَ الْمَحَبَّةَ**»؛ «**مَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ كَثُرَ مُحِبُّوهُ وَ أَنِسَتِ النُّفُوسُ بِهِ**»؛ «**مَا اسْتُجْلِبَتِ الْمَحَبَّةُ بِمِثْلِ السَّخَاءِ وَ الرِّفْقِ وَ حُسْنِ الْخُلُقِ**»؛ «**بِحُسْنِ الْأَخْلَاقِ يَطِيبُ الْعَيْشُ**»[٣] يقول الامام الباقر (عليه السلام) في هذا: «**إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقا**»[٤]

يقول الإمام السجاد عن أهمية حسن الخلق: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ حَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَ أَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وَ كَظْمِ الْغَيْظِ، وَ إِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَ ضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَ إِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَ سَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَ لِينِ الْعَرِيكَةِ، وَ خَفْضِ الْجَنَاحِ، وَ حُسْنِ السِّيرَةِ، وَ سُكُونِ الرِّيحِ، وَ طِيبِ الْمُخَالَقَةِ،**

---

١. آل عمران/ ١٥٩.

٢. الآمدي، تصنيف غررالحكم، ص ٢٥٥.

٣. المصدر نفسه.

٤. الكليني، الكافي، ج٢، ص٩٩.

وَ السَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وَ إِيثَارِ التَّفَضُّلِ، وَ تَرْكِ التَّعْيِيرِ، وَ الْإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ، وَ الْقَوْلِ بِالْحَقِّ وَ إِنْ عَزَّ، وَ اسْتِقْلَالِ الْخَيْرِ وَ إِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَ فِعْلِي، وَ اسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَ إِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَ فِعْلِي، وَ أَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، وَ لُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَ رَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَ مُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.»[1]

عبارات «**وَ حُسْنِ السِّيرَةِ، وَ سُكُونِ الرِّيحِ، وَ طِيبِ الْمُخَالَقَةِ**» كلها تدل على حسن الخلق والأخلاق الحميدة التي تعبر عن أهمية وقيمة الأخلاق الحميدة. وكلمة "**الْمُخَالَقَةِ**" مشتقة من الجذر "خلق" الذي يعني الأخلاق وهي مع كلمتها السابقة تعني الأخلاق الطيبة النقية.

الصدق والصداقة

إن الكثير من الانحرافات السلوكية والخلافات العائلية والمجادلات بين الأعداء والعائلات وحتى التوترات والصراعات السياسية، هي ظاهرة تنشأ من عدم الصداقة وعئم الخلوص. الصدق هو الأساس الأكثر ثباتاً الذي تقوم عليه الصداقات والشراكات والزواج والحملات السياسية وغيرها، وبدونه تكون كل هذه الأسس عرضة للانهيار والتمزق. يقول الله في الوصف المحمود لعباده الصالحين: «**الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**»[2]

ترجع أهمية الصداقة إلى حد أنها من صفات الصالحين؛ والسبب في ذلك هو أن التحدث هو في الواقع أداة لاكتشاف أمر مجهول. عندما يستخدم الناس بعضهم البعض في التحدث، فإن الكلام يكشف الحقيقة؛ ولكن

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.
٢. آل عمران/١٧.

إذا أصبح الكلام بدلاً من كشف الحقيقة أداة لإخفاء الحقيقة، فإنه يظهر الحقيقة رأساً على عقب، وفي هذه الحالة ينحرف الخطاب عن مساره الحقيقي وفلسفته الوجودية ويصبح نقض الغرض.[١] الامام علي (عليه السلام) يتحدث عن أهمية الصداقة: «**عَاقِبَةُ الصِّدْقِ نَجَاةٌ وَ سَلَامَةٌ**».[٢] يقول الامام الصادق (عليه السلام) في هذا الشأن: «**انَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً إِلَّا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَ الْفَاجِرِ**»[٣] يقول في مكان آخر: «**لَا تَغْتَرُّوا بِصَلَاتِهِمْ وَ لَا بِصِيَامِهِمْ فَإِنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا لَهِجَ بِالصَّلَاةِ وَ الصَّوْمِ حَتَّى لَوْ تَرَكَهُ اسْتَوْحَشَ وَ لَكِنِ اخْتَبِرُوهُمْ عِنْدَ صِدْقِ الْحَدِيثِ وَ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ**»[٤]

قد تناول الإمام السجاد (عليه السلام) موضوع الصداقة في ادعيته من جوانب مختلفة. في المرحلة الأولى يعبر الإمام السجاد (عليه السلام) عن الصدق في مجال المعرفة ويطلب ذلك من الله، وهذا الصدق يعني التحلي بالصدق والصداقة مع الله بحيث لا يكون هناك كذب ونفاق في المعتقدات. لهذا يريد الإمام (عليه السلام) الموت الحقيقي والثقة الحقيقية ويقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَ اقْبِضْ عَلَى الصِّدْقِ نَفْسِي، وَ اقْطَعْ مِنَ الدُّنْيَا حَاجَتِي، وَ اجْعَلْ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتِي شَوْقاً إِلَى لِقَائِكَ، وَ هَبْ لِي صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ.**»[٥] وفي موضع آخر يطلب الإمام توفيق الحمد والشكر لله أن ظاهره وباطنه واحد وبحسن نية؛ كما يقول:

---

١. المصباح اليزدي، ، الأنسنة في القرآن، ص٤١٦.
٢. الآمدي، غررالحكم، ص٢١٨.
٣. الكليني، الكافي، ج٢، ص١٠٤.
٤ . المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٥.
٥. الصحيفة السجادية، الدعاء ٥٤.

«**حَمْداً ظَاهِرُهُ وَفْقٌ لِبَاطِنِهِ، وَ بَاطِنُهُ وَفْقٌ لِصِدْقِ النِّيَّةِ**».[١] في موضع آخر يسأل الإمام الله اليقين الصادق فيقول: «**فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ هَبْ لَنَا يَقِيناً صَادِقاً تَكْفِينَا بِهِ مِنْ مَئُونَةِ الطَّلَبِ، وَ أَلْهِمْنَا ثِقَةً خَالِصَةً تُعْفِينَا بِهَا مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ**»[٢] الصدق الاعتقادي هو أحد أهم جوانب الصدق، وغيابه يعني الضعف في المعتقدات وعدم نقاوة الإيمان البشري وعدم اكتماله، فبقدر ما يقوى الإنسان صدق الإيمان مع الله، كذلك يكون الأمر كذلك مع عباد الله؛ بمعنى آخر كذب الانسان ونفاقه مع الناس سببه أيضًا خيانة الناس في معتقداتهم؛ لأنه إذا كان الإنسان صادقًا مع الله، فإنه يراه دائمًا مراقبًا وشاهدًا له ولهذا السبب في الحياة يراه دائمًا شاهدًا ومراقبًا له، ويبتعد عن الكذب والنفاق مع الناس.

الثاني هو الصدق السلوكي؛ تتم مناقشة هذا النوع من الصدق مع الناس بطريقة تجعل الناس يفضلون دائمًا الصدق على الكذب. الإمام السجاد يعبر عن الصدق كأفضل مفتاح للعمل و يقول: «**خَيْرُ مَفَاتِيحِ الْأُمُورِ الصِّدْقُ وَ خَيْرُ خَوَاتِيمِهَا الْوَفَاءُ**»[٣] ينهى الإمام السجاد(عليه السلام) الناس بشدة عن الكذب ولو بشكل بسيط وعلى سبيل المزاح، ويقول: «**اتَّقُوا الْكَذِبَ الصَّغِيرَ مِنْهُ وَ الْكَبِيرَ فِي كُلِّ جِدٍّ وَ هَزْلٍ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَذَبَ فِي الصَّغِيرِ اجْتَرَى عَلَى الْكَبِيرِ أَ مَا عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ مَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَصْدُقُ حَتَّى يَكْتُبَهُ اللَّهُ صِدِّيقاً وَ مَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ حَتَّى يَكْتُبَهُ اللَّهُ كَذَّاباً**»[٤] هذه التركيزات تتعلق بالآثار السيئة للكذب في الحياة.

---

١. المصدر نفسه، الدعاء ٤٧.

٢. المصدر نفسه، الدعاء ٢٩.

٣. المجلسي، بحارالانوار، ج٧٥، ص١٦١.

٤. الكليني، الكافي، ج٢، ص٣٣٨.

للصـدق آثـار كثيرة في حياة الإنسـان، يقول الإمام علي (عليه السـلام) عن أهميـة الصـدق وآثاره: «**مَـنْ صَدَقَ مَقَالُـهُ زَادَ جَلَالُـه**»[١] قيمة الصدق هذه هي بقدر ما يصل بالإنسـان إلى أعلى مراتب العلم والكمال، كما يقول الإمـام الباقر في تأكيده على هذا الأمـر: «**يَا رَبِيعُ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكْتُبَـهُ اللَّـهُ صِدِّيقا**»[٢] كل هذه الحالات ترجـع إلى أهمية الصدق وقيمته العالية في الحياة، وهي من سـمات الحياة الطيبة.

التسامح و العفو

مـن أهـم الصفات والفضائـل الأخلاقيـة التي تؤكـد عليها تعاليـم الدين، التسـامح والعفو؛ التسـامح يعني الصـبر أمام أخلاق الآخرين وسـلوكهم غـير اللائـق؛ بمعنى أنه عندمـا يسيء الآخرون إلى المؤمن فـلا ينبغي له أن يتـصرف مثلهـم، بل بالتسـامح والصبر دعـه يتغلب على هذا السـلوك غير اللائق. المغفرة تعني أيضًا أنه عندما يُظلم الشخص أو يُساء معاملته، فإنه يغفر خطأ المسيء. قد وردت أهمية العفو والمغفرة ومكانتها في آيات قرآنية كثيرة منها:

«**خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ**»[٣]

«**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَ أَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَ إِنْ تَعْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحيم**»[٤]

«**وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُور**»[٥]

---

١. الآمدي، غررالحكم، ص٢١٩.
٢. الكليني، الكافي، ج٢، ص١٠٥.
٣. الاعراف/١٩٩.
٤. التغابن/١٤.
٥. شوري، ٤٣.

«إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا قَديرا»[١] هنا في المسرح امتداح للخير إبداء و إخفاء، و امتداح للعفو عن سوء- و طبعا ألّا يكون إخفاء سوء أن يشجع المسيء على إسائته- **«فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيراً»**. فالعفو عن السوء على قدرة هو في أصله مشكور، إلّا أن يخلّف ذلك العفو سوء و قليل ما هو، حيث الناس مفطورون على التأثر بالعفو و التحسّر على سوء فعلوه، و هذه من أوسع أبواب التربية الربانية أن يواجه السوء بحسن على قدرة.[٢]

كانت حياة الرسول الكريم أيضًا مليئة بالمغفرة والتسامح. كان النبي الكريم (صلوات الله عليه و آله و سلم) يتسامح مع من أساءوا إليه ويسأل الله لهم المغفرة والهداية، وهذا في غاية الكرم والتصرف اللائق. يتحدث عن أهمية العفو والاستغفار وآثاره في حياة الإنسان: **«عَلَيْكُمْ بِالْعَفْوِ فَإِنَّ الْعَفْوَ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا عِزّاً فَتَعَافَوْا يُعِزَّكُمُ اللَّه»**[٣] يقول في مكان آخر: **«أَ لَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ خَلَائِقِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ الْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَ الْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ وَ إِعْطَاءُ مَنْ حَرَمَكَ وَ فِي التَّبَاغُضِ الْحَالِقَةُ لَا أَعْنِي حَالِقَةَ الشَّعْرِ وَ لَكِنْ حَالِقَةَ الدِّين»**[٤]

قد أشار الإمام السجاد (عليه السلام) أيضاً إلى أهمية التسامح والعفو في ادعيته عملاً بالقرآن و سنةالرسول، وبين هذه الفضيلة الأخلاقية بلغة الدعاء. أولاً، يطلب الإمام من الله التسامح والمغفرة حتى تتعزز فيه هذه

١. النساء//١٤٩.
٢. الصادقي الطهراني، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج٧، ص٤١٦.
٣. الكليني، الكافي، ج٢، ص١٠٨.
٤. المفيد، الامالي، ص١٨١.

الفضيلـة الأخلاقية، كمـا يقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِه، وَ حَلِّنِي بِحِلْيَـةِ الصَّالِحِـينَ، وَ أَلْبِسْـنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْـطِ الْعَدْلِ، وَ كَظْمِ الْغَيْـظِ، وَ إِطْفَـاءِ النَّائِـرَةِ، وَ ضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَ إِصْـلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَ إِفْشَـاءِ الْعَارِفَةِ، وَ سَـتْرِ الْعَائِبَةِ، وَ لِينِ الْعَرِيكَةِ، وَ خَفْضِ الْجَنَاحِ، وَ حُسْـنِ السِّـيرَةِ، وَ سُـكُونِ الرِّيحِ، وَ طِيبِ الْمُخَالَقَةِ، وَ السَّـبْقِ إِلَى الْفَضِيلَـةِ، وَ إِيثَـارِ التَّفَضُّـلِ، وَ تَـرْكِ التَّعْيِـيرِ، وَ الْإِفْضَـالِ عَـلَى غَيْرِ الْمُسْـتَحِقِّ، وَ الْقَوْلِ بِالْحَقِّ وَ إِنْ عَزَّ، وَ اسْـتِقْلَالِ الْخَيْرِ وَ إِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَ فِعْلِي، وَ اسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَ إِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَ فِعْلِي، وَ أَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، وَ لُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَ رَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَ مُسْـتَعْمِلِ الـرَّأْيِ الْمُخْـتَرَعِ**»[1] عبـارات «**وَ خَفْـضِ الْجَنَاحِ، وَ حُسْـنِ السِّـيرَةِ، وَ سُـكُونِ الرِّيحِ**» تدل على العفو والتسامح.

ثانيـاً: بالإضافـة إلى طلبـه أخـلاق التسـامح والمغفـرة، يطلـب الإمام من اللـه أن يظهـر الأخلاق الفاضلة في أفعالـه، وأن يعفو ويصفح عمن ظلمه. بمعنـى آخر المرحلة الأولى هي الجانـب القلبي والمرحلة الثانية هي الجانب العملي، كما يقول عن هذا: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِه، وَ سَدِّدْنِي لِأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وَ أَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ، وَ أُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ، وَ أُكَافِئَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ، وَ أُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَ أَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وَ أُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ.**»[2] عبارة «**وَ أَجْـزِيَ مَـنْ هَجَرَنِـي بِالْبِرِّ**» تدل علـى هذا الأمر. هذه النقـاط مهمة جداً ولها اسـتخدامات كثيرة في الحياة، ولعل التسـامح والغفران يمنعان الكثير

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.
٢. المصدر نفسه.

مـن الإصابات والمشـاكل في بعـض الحالات. كما أنه يجعـل الخاطئ يدرك خطـأه وينذر، مع أن سـيرة أهـل البيت هكذا. النقطة الأخـيرة التي ينبغي الإشـارة إليها في هذا السـياق هي أن التسـامح والعفو أيضاً لهما عاداتهما وشروطهمـا؛ وبالطبع لا يجوز حيث أن التسـامح والعفو يجعلان الطرف الآخر أسـوأ ويعطيانه الفرصة لارتكاب المزيد من الأخطاء.

روح الإصلاح

مـن أهم الصفات والفضائل الأخلاقيـة التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمنون، هـي روح الإصلاح. بمعنى أن الإنسـان المؤمن يمكن أن يكون مصدر خير وبركـة أينما كان، ووجوده يمكـن أن يحل الخلافات والأحقاد والعداوات. تسـتخدم هـذه السـمة والفضيلة الأخلاقية عـلى نطاق واسـع في الجوانب الفرديـة والاجتماعيـة؛ في السـياق الفـردي ربما تكون الـروح الإصلاحية للإنسـان قـادرة على منـع الكراهيـة والعداوة بـين كثير مـن الناس وحل المشـاكل والخلافات بين الناس. في السـياق الاجتماعـي فإن روح الإصلاح وحـل الخلافات تؤدي إلى الوحدة وتتجنب الانقسـام.

قـد أكد القرآن الكريـم أهمية هذه الصفة والفضيلـة الأخلاقية في كثير من الآيـات؛ قـد قال اللـه ذلك في الآية الأولى من سـورة الأنفـال: «**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُـوا ذاتَ بَيْنِكُـمْ وَ أَطيعُـوا اللَّـهَ وَ رَسُـولَهُ إِنْ كُنْتُـمْ مُؤْمِنينَ**»[1].. عبـارة «**وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ**»، أي الحالة السـيّئة الممزّقة الواقعة بينكم، من خلال التفاهم على النقاط المشـتركة التي يمكن أن تكون أساسـا للّقـاء فيالفكـر و العمل، فإن ذلك هو السـبيل لرأب الصـدع، و ردم الهوّة،

١. الانفال/١.

و إصلاح الفساد، و تركيز العلاقات على قاعدة ثابتة، لأن اكتشاف مواطن اللقاء هو الذي يقود إلى حلّ مواطن الخلاف.[١] في آية أخرى يشاهد النهي عن النجوي، ولكن من أجل إصلاح الناس يعتبر ذلك حلالا ويذكر عليه أجر عظيم: «**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيما**»[٢] هذه الآية المباركة تعبر عن أهمية الإصلاح وحل الخلافات؛ لأن بعض الاختلافات قد تصبح كبيرة لدرجة أنها تؤثر على جميع أفراد المجتمع أو القوم. في سيرة المؤمنين لا يوجد لامبالاة تجاه اختلافات الآخرين ومشاكلهم؛ فالإنسان المؤمن يبذل قصارى جهده لمنع الخلافات والعداوة وإحلال السلام والمحبة بين الناس.

يقول الإمام علي (عليه السلام) عن أهمية إصلاح ذات البين بالإشارة إلى وصية النبي (صلوات الله عليه و آله و سلم): «**أُوصِيكُمَا وَ جَمِيعَ وَلَدِي وَ أَهْلِي وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَ نَظْمِ أَمْرِكُمْ وَ صَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ص يَقُولُ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَ الصِّيَامِ اللَّهَ اللَّهَ فِي الْأَيْتَامِ فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ وَ لَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ**».[٣] يقول الامام الصادق (عليه السلام) في هذا الشأن: «**صَدَقَةٌ يُحِبُّهَا اللَّهُ إِصْلَاحٌ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَ تَقْرِيبٌ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا**»[٤]

يؤكد الامام السجاد (عليه السلام) على أهمية هذا الأمر في الدعاء العشرين

١. فضل الله، من وحى القرآن، ج١٠، ص: ٣٢٧.
٢. النساء/ ١١٤.
٣. نهج البلاغة، الرسالة ٤٧.
٤. المفيد، الامالي، ص١٢.

من الصحيفة السجادية فيقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ حَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَ أَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وَ كَظْمِ الْغَيْظِ، وَ إِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَ ضَمِ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ**».[1]

تشير عبارة «**وَ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ**» إلى نفس روح الإصلاح التي يمكن للإنسان أن يحل الخلافات ويخلق السلام والصداقة بين أولئك الذين انفصلوا عن بعضهم البعض وهذه صفة شريفة وفضيلة بارزة. كما أن عبارة «**وَ ضَمِ أَهْلِ الْفُرْقَةِ**» تؤكد نفس الأمر وتعبر عن أن الوحدة ومنع الفرقة هي من أهم الصفات التي يمكن أن يكون لها آثار كبيرة في الحياة. إن الاهتمام بهذه الفضيلة الأخلاقية يمكن أن يكون له آثار كبيرة على الحياة الفردية والاجتماعية، وهذا من المؤشرات الأخلاقية المهمة للحياة الطيبة.

الاعتدال

من أهم سمات حياة المؤمنين هو الاعتدال. الاعتدال في تعاليم الدين يعني السير على الطريق الصحيح أي بما يرضي الله؛ لا افراط ولا تفريط؛ وهذا هو أحد أهم التركيزات في التعاليم الدينية. كما يعرف الاعتدال في بعض المعاجم بأنه التحمل والثبات، كما كتب ابن منظور في هذا الشأن: «وعَدَّلَه: كعَدَلَه. وإِذا مالَ شيءٌ قُلْتَ عَدَلته أَي أَقمته فاعْتَدَل أَي اسْتَقَامَ. وعَدَلْنا مَيْلَ بَدْر فاعْتَدَل أَي قَوَّمْناه فَاسْتَقَامَ، وكلٌّ مُثَقَّفٍ مُعْتَدِلٌ. وعَدَلْت الشيءَ بِالشَّيْءِ أَعْدِلُه عُدولًا إِذا سَاوَيْتُهُ بِهِ»[2]

---

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.

٢. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٤٣٣.

هـذا الاعتدال والسـلوك عـلى الطريق الصحيـح والنهي عـن الإسراف أمر مهـم لدرجة أن من أهم سـمات المؤمنين وصفاتهـم في الانفاق هو الاعتدال في العطـاء؛ كمـا يقول القرآن الكريم: «**وَ الَّذيـنَ إذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلكَ قَواما**»[١] يقول الامام علي (عليه السـلام) عن أهميـة الاعتـدال: «**الْيَمِينُ وَ الشِّـمَالُ مَضَلَّـةٌ وَ الطَّرِيقُ الْوُسْـطَى هِيَ الْجَـادَّة**».[٢] هـذا ما يقوله عن سـيرة الرسـول الكريـم واعتداله في جميع الأمـور: «**سِـيرَتُهُ الْقَصْدُ وَ سُـنَّتُهُ الرُّشْـدُ وَ كَلَامُهُ الْفَصْـلُ وَ حُكْمُهُ الْعَـدْل**»[٣] هذه العبارة تعبر عن أن سـيرة النبي كانت تقوم على الاعتدال، لا إفـراط ولا تفريط؛ لقد كانت الطريقـة التي أرادها الله.

وفقاً للمحتويات المذكورة أعلاه، في السـيرة الدعائية للإمام السـجاد (عليه السـلام) فإن إحدى السـمات المهمة لحياة المؤمنين مذكورة أيضاً في الحياة الفاضلة، الاعتدال. يقول الامام السجاد (عليه السلام) في هذا الشأن: «**اللَّهُمَّ صَـلِّ عَـلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِـه، وَ مَتِّعْنِـي بِالاقْتِصَـاد، وَ اجْعَلْنِي مِـنْ أَهْلِ السَّـدَادِ، وَ مِـنْ أَدِلَّةِ الرَّشَـادِ، وَ مِـنْ صَالِـحِ الْعِبَـادِ، وَ ارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَـادِ، وَ سَـلَامَةَ الْمِرْصَادِ.**»[٤] وكلمة "اقتصـاد" تعبر عن نفس الاعتدال والوسـطية التـي ينبغي أن يعيشـها الإنسـان عـلى محور الاعتـدال في كل الأمـور، وكلمة "السـداد" تؤكد على نفس الـشيء؛ يعني حياة بعيدة عن أي افراط و تفريط.

---

١. الفرقان/٦٧.
٢. الكليني، الكافي، ج٨، ص٦٨.
٣. نهج البلاغة، خطبة ٩٤.
٤. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.

القناعة

يسأل الإمام السجاد الله سمة القناعة، ويستعيذ به من قلة القناعة، كما يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ، وَ سَوْرَةِ الْغَضَبِ، وَ غَلَبَةِ الْحَسَدِ، وَ ضَعْفِ الصَّبْرِ، وَ قِلَّةِ الْقَنَاعَةِ، وَ شَكَاسَةِ الْخُلُقِ، وَ إِلْحَاحِ الشَّهْوَةِ، وَ مَلَكَةِ الْحَمِيَّةِ**»[1] السبب في ذلك أن الإنسان إذا لم يكتف في الحياة زاد إسرافه وجشعه، وعندما يحدث هذا، تغلب دنياه على اهتمامه بالآخرة وهذا يجعله يتخذ أي خطوات لتحقيق المصالح الدنيوية وهمه الوحيد هو الوصول إلى الدنيا؛ لأنه لا نهاية لجشع الإنسان وإسرافه ولهذا السبب يجعله يتجه نحو المعصية ويرتكب معصية الله. لكن عندما تتولد في الإنسان صفة القناعة، ينتهي إسرافه غير الضروري، ويكتفي بما يحققه بجهده، وبما يرزقه الله. إن القناعة لا تعني أن الإنسان لا يحاول ويرضى بالأقل؛ بل يعني أن يكتفي الإنسان بما يحققه بجهده وبما يرزقه الله، ولا يكون من أهل الإسراف. ومن ناحية أخرى فالقناعة تعني أن يكتفي الإنسان بما يكفيه في راحة الدنيا وسلامها، ولا يسعى إلى جمع الثروة؛ بمعنى أن لا يحزن من الدنيا بل يكتفي بما يكفي راحته الدنيوية، ويصرف حزنه في سبيل خدمة الله. أي أنه إذا كان يبحث عن الثروة، فعليه أن ينفق تلك الثروة في سبيل خدمة الله، لا أن يصبح هذا المال هو هدفه ونهاية جهوده. أهمية القناعة تكمن في أن الإمام علي فسّر الحياة الطيبة بالقناعة وقال: «**وَ سُئِلَ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً فَقَالَ هِيَ الْقَنَاعَةُ**».[2] يقول في مكان آخر: «**طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ**

١. المصدر نفسه، الدعاء الثامن.
٢. نهج البلاغة، حكمة ٢٢٦.

وَ عَمِلَ لِلْحِسَابِ وَ قَنِعَ بِالْكَفَافِ وَ رَضِيَ عَنِ اللَّه»[1] لذلك فإن القناعة من أهم الفضائل الأخلاقية التي يؤدي تعزيزها إلى عزة الإنسان لذاته والابتعاد عن المركزية والأنانية.

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي الِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الْمَكَارِهِ وَ سَيِّئِ الْأَخْلاقِ وَ مَذَامِّ الْأَفْعَالِ:

(١) اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ، وَ سَوْرَةِ الْغَضَبِ، وَ غَلَبَةِ الْحَسَدِ، وَ ضَعْفِ الصَّبْرِ، وَ قِلَّةِ الْقَنَاعَةِ، وَ شَكَاسَةِ الْخُلُقِ، وَ إِلْحَاحِ الشَّهْوَةِ، وَ مَلَكَةِ الْحَمِيَّةِ (٢) وَ مُتَابَعَةِ الْهَوَى، وَ مُخَالَفَةِ الْهُدَى، وَ سِنَةِ الْغَفْلَةِ، وَ تَعَاطِي الْكُلْفَةِ، وَ إِيثَارِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ، وَ الْإِصْرَارِ عَلَى الْمَأْثَمِ، وَ اسْتِصْغَارِ الْمَعْصِيَةِ، وَ اسْتِكْبَارِ الطَّاعَةِ. (٣) وَ مُبَاهَاةِ الْمُكْثِرِينَ، وَ الْإِزْرَاءِ بِالْمُقِلِّينَ، وَ سُوءِ الْوِلَايَةِ لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِينَا، وَ تَرْكِ الشُّكْرِ لِمَنِ اصْطَنَعَ الْعَارِفَةَ عِنْدَنَا (٤) أَوْ أَنْ نَعْضُدَ ظَالِماً، أَوْ نَخْذُلَ مَلْهُوفاً، أَوْ نَرُومَ مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقٍّ، أَوْ نَقُولَ فِي الْعِلْمِ بِغَيْرِ عِلْمٍ (٥) وَ نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَنْطَوِيَ عَلَى غِشِّ أَحَدٍ، وَ أَنْ نُعْجِبَ بِأَعْمَالِنَا، وَ نَمُدَّ فِي آمَالِنَا (٦) وَ نَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ السَّرِيرَةِ، وَ احْتِقَارِ الصَّغِيرَةِ، وَ أَنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ، أَوْ يَنْكُبَنَا الزَّمَانُ، أَوْ يَتَهَضَّمَنَا السُّلْطَانُ (٧) وَ نَعُوذُ بِكَ مِنْ تَنَاوُلِ الْإِسْرَافِ، وَ مِنْ فِقْدَانِ الْكَفَافِ (٨) وَ نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَى الْأَكْفَاءِ، وَ مِنْ مَعِيشَةٍ فِي شِدَّةٍ، وَ مِيتَةٍ عَلَى غَيْرِ عُدَّةٍ. (٩) وَ نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَسْرَةِ الْعُظْمَى، وَ الْمُصِيبَةِ الْكُبْرَى، وَ أَشْقَى الشَّقَاءِ، وَ سُوءِ الْمَآبِ، وَ حِرْمَانِ الثَّوَابِ، وَ حُلُولِ الْعِقَابِ (١٠) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَعِذْنِي مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ وَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

---

١. المصدر نفسه، حكمة ٤٢.

الفصل السابع
المؤشرات الاقتصادية في الحياة الطيبة

تعتبر القضايا الاقتصادية من البرامج المهمة و العملية التي تمت مناقشتها في حياة الإمام السجّاد (عليه السلام) في مجال نمط الحياة الإسلامي. من أَهَم الأَشياء الَّتي يَحتاجُها البَشَر في الحَياة و يُواجه آثارَها عَن طيب خاطر أَو غَير قَصد هُوَ الاقتصاد أَو تَلبية الإحتياجات المالية لِلحَياة. في التَعاليم الدِّينيّة هُناك اهتمام كَبير بِأَهمية الإقتصاد وَ تَأثيراته عَلَى الدُنيا وَ حتّى الآخِرَة لِدَرَجَة أَنَّ الفقر هُوَ أَحد شَرايين الدخول في الكُفر.[1] يَعُدُّ الاقتصاد الصِّحي وَ النَشيط من أَهَم بَرامج الإسلام لِسُمو الحَياة الفَردية وَ الإجتماعية لِلإنسان. نهجُ الدّين في الإقتصاد لَيس فَقَط حَول العالَم وَ لَكِن نِهايَتُه مَذكورَة في الآخِرَة. في التَّعاليم الدِّينية لُوحِظ جانب من الاعتدال فيما يَتَعَلَق بِهذِه الدُنيا وَ الآخِرَة. في العَصر الحاضر يَعتَبِر الاقتصاد مُهِمَاً من وُجهَة نَظر فَردية وَ اجتماعيَة. لِلاقتصاد الفَردي من وُجهَة نَظر دينية وَ اجتماعية آثار لا يُمكن إنكارُها عَلى قَلب المُجتَمَع وَ الَّتي يَعُد الأمن الفَردي وَ الاجتماعي من أَهَمها. يُؤَدِّي الاقتصاد الإجتماعي بِلا شَك إلى الإستقلال الاقتصادي وَ بِالتّالي تَعزيز الإستقلال السياسي وَ الأمن لِلمُجتَمَع الإسلامي. لا شك أن أهمية الاقتصاد في حياة الإنسان جديرة بالملاحظة، ففي التعاليم الدينية يعتبر الفقر شريان الكفر و هذا الأمر يدل على أهمية الاقتصاد في الحياة الروحية. تؤكد التعاليم الدينية على الاقتصاد الصحيح و الديناميكي بعيدًا عن أضراره؛ اقتصاد نشط و ديناميكي بعيدًا عن الربا و الاختلافات الطبقية. و في هذا الصدد فإن أهم الاستراتيجيات التنفيذية المتعلقة بتعاليم

١- الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول الكافي، المجلد ٢، ص ٣٠٧.

الإمام السجاد (عليه السلام) مذكورة في أربعة محاور.

الاول: مُكَونات العَمَل لِخَلق فُرَص التَوظيف وَ الإنتاج

مِـن أَهَـم أهـداف الاقتصاد الإسـلامي القَضاء عَـلَى البَطالَـة و خَلقُ فُرَص التوظيف فِي المُجتَمَع. أَهَم استِراتيجيات العَمَلِ لِخَلقِ فُرَص العَمَل فِي تَعاليم الإمامِ السـجاد (عَليهِ السَّلامُ) هِيَ:

١.تطوير ثقافة الجهد و السعي

ورد في القـرآن الكريـم آيـات عديـدة في تشـجيع العمل والجهـد والتعبير عـن قيمة وأهمية العمل والجهد كما جاء في سـورة الجمعة: «**فَإِذا قُضِيَتِ الصَّـلاةُ فَانْتَـشِروا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُـوا مِنْ فَضْلِ اللَّـهِ وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثـيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**»[١] وهذه الآية المباركة ترشـد المؤمنين إلى المحاولة لكسـب لقمة العيش بعد صلاة الجمعة. في مكان آخر يشير إلى أهمية كسب لقمـة العيـش في البحر و يقول: «**رَبُّكُمُ الَّذي يُزْجـي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُـوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كانَ بِكُـمْ رَحيما**»[٢] كما تناولت عدد من الآيات مهن أنبياء الله العظماء، و هم بالإضافة إلى رسـالتهم و قيادتهم للمجتمع فقد عملوا لكسـب لقمة العيش و تشـجيع الآخرين على العمل و السـعي في هذا الاتجاه. يتحدث القرآن الكريم عن أهمية الجهد و السعي: «**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَـانِ إِلَّا مَا سَـعَى**»«**وَأَنَّ سَـعْيَهُ سَـوْفَ يُرَى**»«**ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى**»[٣] صحيـح أن هـذه الآيـات تشـير إلى المحاولـة و الجهـد للآخرة و رؤية أجرها في دار آخر، لكن معيارها الأسـاسي يشـمل العالم أيضًا. و هذا

١. سورة الجمعة / ١٠
٢. سورة الاسراء /٦٦
٣. سورة النجم /٣٩-٤١

يعنـي أنـه لا ينبغي على المؤمنـين انتظار عمل الآخرين لهم و حل مشـاكل مجتمعهـم. بدلاً من ذلـك يجب أن يبذلوا قصارى جهدهـم و عليهم العمل بجـد[١]. إن كرامة أي أمة واسـتقلالها مرهون بجهود تلـك الأمة، فكما أن الذل و الجشع لكل أمة هو نتيجة كسلها و راحتها و بطالتها.[٢] إن التعاليم الدينية تؤكد على أهمية الجهد و السـعي، كما يقول الرسـول الكريم في هذا الصـدد: «**الْـكَادُّ عَلَى عِيَالِـهِ مِنْ حَـلَالٍ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَـبِيلِ اللَّه**»[٣]؛ في السـيرة العلميـة و العملية للإمام السـجاد (عليه السـلام) تـم التركيز على أهميـة الجهد و الحصول على الرزق الحلال. تشـير السـيرة العملية للإمام السـجّاد (عليه السـلام) إلى أنه حاول البحث عـن رزق حلال لأسرته، و في تعبـيره عن هذا المجهود اعتبر صدقة في سـبيل اللـه. يصف الإمام الصادق (عليه السـلام) هذه الميزة للإمام السـجّاد (عليه السـلام) على النحو التالي: «عَـنْ أَبِـي عَبْدِ اللَّهِ عليه السـلام قَالَ **كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَـيْنِ ع إِذَا أَصْبَحَ خَـرَجَ غَادِيـاً فِي طَلَـبِ الرِّزْقِ فَقِيلَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُـولِ اللَّـهِ أَيْنَ تَذْهَبُ فَقَـالَ أَتَصَدَّقُ لِعِيَالِي قِيلَ لَـهُ أَ تَتَصَدَّقُ قَالَ مَنْ طَلَبَ الْحَلَالَ فَهُوَ مِنَ اللَّـهِ عَـزَّ وَ جَلَّ صَدَقَةٌ عَلَيْه**»[٤] يعتبر الإمام السـجّاد (عليه السـلام) أن السـعي للحصول على الرزق الحلال للأسرة أكثر شـعبية من تحرير العبد، و هـذا يدل على أهمية الجهد و كسـب الرزق الحـلال للأسرة، كما يقول في هـذا الصـدد: «**لَأَنْ أَدْخُلَ السُّـوقَ وَ مَعِي دَرَاهِمُ أَبْتَاعُ بِـهِ لِعِيَالِي لَحْماً**

١- المكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل ، ج٢٢: ٥٥٣-٥٥٢.
٢- الجوادي الآملي، عبدالله، توقع الإنسان من الدين، الطبعة الخامسة:١٥٣-١٥٢.
٣- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣: ١٦٨.
٤- الكليني، الكافي، ج٤، ص ١٣.

وَ قَدْ قَرِمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ نَسَمة»[1] يتحدث الإمام السجاد عن أهمية الجهد بالنسبة للأسرة «**أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَسْبَغُكُمْ عَلَى عِيَالِه**» يعبّر في دعائه عن إحدى فلسفات خلق اليوم و هي محاولة الحصول على الرزق، فيقول: «**وَ خَلَقَ لَهُمُ النَّهارَ مُبْصِراً لِيَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِه، وَ لِيَتَسَبَّبُوا إِلَى رِزْقِه، وَ يَسْرَحُوا فِي أَرْضِه، طَلَباً لِمَا فِيهِ نَيْلُ الْعَاجِلِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَ دَرَكُ الْآجِلِ فِي أُخْرَاهُمْ بِكُلِّ ذَلِكَ يُصْلِحُ شَأْنَهُم**»[2]و يذكر الإمام السجاد أن من آثار البطالة الفقر و في هذه الحالة يصبح الإنسان في حاجة إلى الآخرين، و الحاجة إلى الآخرين تسبب الذل و الإذلال، فيقول: «**طَلَبُ الْحَوَائِجِ إِلَى النَّاسِ مَذَلَّةٌ لِلْحَيَاةِ- وَ مَذْهَبَةٌ لِلْحَيَاءِ وَ اسْتِخْفَافٌ بِالْوَقَارِ- وَ هُوَ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ- وَ قِلَّةُ طَلَبِ الْحَوَائِجِ مِنَ النَّاسِ هُوَ الْغِنَى الْحَاضِر**»[3] لذلك فإن من آثار العمل والجهد كرامة الناس و عدم الاحتياج إلي الناس و هو أمر في غاية الأهمية. يُشيرُ هَذا إلى أنَّ العَمَلَ في أَيِّ وَظيفَة وَ ملبَس بِطَريقَة مَشروعة لَيسَ مَرغوبًا فِيهِ فَحَسب، بَل لَهُ جانبٌ رُوحيٌ أَيضًا. لِسُوءِ الحَظِّ في بَعض الحالاتِ يَنتَظِرُ بَعضُ الشَباب وَ حَتَّى في مُنتَصَف العُمر عَمَلاً رائِعاً وَ عَجيباً أَو مربِحَاً مِمّا يسَبِّبُ في بَطالَتِهم وَ حَتّى كَسلِهم وَ هُوَ ما يُؤدي إلى إصاباتٍ اجتِماعيةٍ وَ اقتِصاديةٍ عَديدةٍ عَلَى المَدى الطَّويلِ. في سيرة الإمام السّجاد تم التعبير عن الجهد لكلا العالمين. بمعنى آخر الدنيا و الآخرة على السواء، كما يقول في إدانته لأولئك الذين استهدفوا العالم المتمركز فقط: «**عَجَباً كُلّ الْعَجَبِ لِمَنْ عَمِلَ لِدارِ الْفَناءِ**

١- المصدر نفسه: ج٤، ص ١٣.

٢- الصحيفة السجادية، الدعاء السادسة.

٣- المجلسي، بحارالانوار، ج٧٥، ص١٣٦.

وَ تَرَكَ دارَ الْبقاء»[1] في هذا السرد، تمت إدانة أولئك الذين استهدفوا فقط شؤون الدنيا في حياتهم وأهملوا شؤون الآخرة. في الثَقافَةِ الدِّينيّةِ يُوصَى بالسَّعي لِبَذلِ جُهودٍ قانونيّةٍ في أَيِّ عَمَلٍ دِيني حَتّى مَع الدَخلِ المُنخَفَضِ. إِنَّ خَلقَ ثَقافَةٍ بِهَذا الأمرِ الهامِّ في المُجتَمَعِ مِن حَيث الأَبعادِ النَظريّةِ وَ العَمليةِ يُمكِنُ أَن يُساعِدَ في تَطويرِ الجُهدِ في المُجتَمَعِ وَ التَنميَةِ الاقتِصادِيَةِ اللاحقةِ. لِذَلِكَ في سيرةِ الإمامِ السجاد (عَليهِ السلامُ) فَإِنَّ تَطويرَ العَمَلِ وَ الجُهدِ يُمكِنُ أَن يُساعِدَ في الأَمنِ الاقتِصادي كَحَلٍّ تَنفيذي وَ مُهِم، بِالإِضافَةِ إِلَى القَضاءِ عَلَى البَطالَةِ وَ تَحقُقِ التَميزِ لِلمُجتَمَعِ وَ التَنميَةِ الاقتِصادِيَةِ. بالإضافة إلى ذلك، فإن خلق المهن المنتجة و كذلك خلق الوظائف من قبل الحكومة على المستوى الكلي يساعد على القضاء على البطالة و خلق فرص العمل.

٢.تطوير الإنتاج

خِلافاً لِاعتِقادِ البَعضِ أَنَّ الإسلامَ لا يَهتَمِ إِلّا بِالآخِرَةِ وَ لا يَنظُرُ إِلَى الدُنيا وَ الأَشياءِ المادِيَةِ فَإِنَّ القُرآنَ يُؤَكِّدُ عَلَى استِخدامِه: «**وَ الْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فيها دِفْءٌ وَ مَنافِعُ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ**»[2] «**وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَميرَ لِتَرْكَبُوها وَ زينَةً وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ**»[3] في مَكانٍ آخَرَ يُؤَكِّدُ القُرآنُ الكريمُ عَلَى استِخدامِ المَواهِبِ الَّتي وَهَبَها اللهُ حَيثُ يَقولُ ذَلِكَ: «**وَ هُوَ الَّذي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَ تَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ**

١- المصدر نفسه: ٧٣/١٢٧.
٢- سورة النحل /٥
٣ - سورة النحل /٨

تَشْكُرُون» (النحل/١٤) من فَلسَفاتِ خَلقِ الأَرضِ وَ حدائِقِها وَ سُهُولِها وَ بَرَكاتِها هِيَ إنتاجيةُ الإنسانِ، كما يقول الامام علي(عليه السلام): «**فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا وَ تَزْدَهِي بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ أَزَاهِيرِهَا وَ حِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا وَ جَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغاً لِلْأَنَامِ وَ رِزْقاً لِلْأَنْعَامِ وَ خَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا وَ أَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا**»[١] من أهم عوامل التطور الاقتصادي لأي مجتمع هو تطوير الإنتاج في ذلك المجتمع. إذا زاد الإنتاج في ذلك المجتمع فإن المجتمع أولاً سيعتمد على الداخل في الاقتصاد و لن يحتاج إلى خارج البلاد لتلبية الاحتياجات الأساسية. ثانيًا يؤدي التوسع في الإنتاج إلى زيادة العمالة في المجتمع و في هذه الحالة بالإضافة إلى استفادة أفراد المجتمع من الدخل يتم أيضًا تقليل الأضرار الناجمة عن البطالة و الفقر في المجتمع. كما أولى أهل البيت (عليهم السلام) اهتمامًا خاصًا بالعمل الإنتاجي و الاقتصادي و شجعوا الآخرين على ذلك. ينشأ هذا الأمر المهم من الحياة العلمية و العملية لأهل البيت (عليه السلام).[٢] ويعتبر الإمام السجاد (عليه السلام) أن الفروسية الكاملة هي استغلال للثروة، بمعنى أن الثروة توضع في الإنتاج و أن هذا الإنتاج و توزيع الثروة في حد ذاته يؤديان إلى خلق فرص عمل، كما يقول في هذا الصدد: «**وَ اسْتِثْمَارُ الْمَالِ تَمَامُ الْمُرُوءَةِ**»[٣]

في أدعية الإمام السجّاد (عليه السلام) يؤكد على مصدر الخلق للإنسان و استعماله و الاستفادة منه، بما في ذلك: «**وَالْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي اخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الْخَلْقِ، وَ أَجْرَى عَلَيْنَا طَيّبَاتِ الرّزْقِ.وَ جَعَلَ لَنَا الْفَضِيلَةَ**

١- نهج البلاغة: خطبة٩١.

٢- انظر: المجلسي، بحارالانوار، ج٤٨: ١١٥؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٣: ٢١٦.

٣- الكليني، الكافي: ج١، ص٢١.

بِالْمَلَكَةِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَكُلّ خَلِيقَتِهِ مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِهِ، وَ صَائِرَةٌ إِلَى طَاعَتِنَا بِعِزّتِهِ.»[1] يقول في مكان آخر في مدح النعم الإلهية و فوائد هذه النعم في الحياة: «**وَ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي رَكّبَ فِينَا آلَاتِ الْبَسْطِ، وَ جَعَلَ لَنَا أَدَوَاتِ الْقَبْضِ، وَ مَتّعَنَا بِأَرْوَاحِ الْحَيَاةِ، وَ أَثْبَتَ فِينَا جَوَارِحَ الْأَعْمَالِ، وَ غَذّانَا بِطَيّبَاتِ الرّزْقِ، وَ أَغْنَانَا بِفَضْلِهِ، وَ أَقْنَانَا بِمَنّهِ.**»[2] و هناك أشياء أخرى كثيرة تشير جميعها إلى أهمية هذه القضية.

في العَصرِ الحالي يُمكنُ لِلدَعمِ الاِقتِصادي لِلمُنتَجينَ وَ التَخفيضاتِ الضَريبيَةِ أَن تُساعِدَ في التَنميَةِ الاِقتِصاديَةِ لِلمُجتَمَعِ وَ تَحقُقِ الأَمنِ الاِقتِصادي. يُمكِنُ أَن تُساعِدَ خُطوَتانِ مُهِمَتانِ في هذا الصَدَدِ عَلَى تَطويرِ الإنتاجِ وَ خَلقِ فُرَصِ العَمَلِ: أَوَلاً إضفاءُ الطابِعِ المُؤَسِّسي عَلَى ثَقافَةِ استِخدامِ السِلَعِ المَحَليةِ بَينَ شَرائِحِ المُجتَمَعِ؛ بِعِبارَةٍ أُخرَى بَدَلاً مِنَ المَيلِ إلى استِهلاكِ السِلَعِ الأَجنَبيةِ يَجِبُ إعطاءُ الأَولَويَةِ لِشراءِ السِّلَعِ المَحَليةِ وَ هذا الأَمرُ الّذي يَتَطَلَّبُ اهتِمامَ المُنتَجينَ لِإنتاجِ سِلَعٍ عالِيَةِ الجودَةِ. إنَّ استِهلاكَ السِّلَعِ المَحَليةِ يساعِدُ بِشَكلٍ عَفوي عَلَى زِيادَةِ الإنتاجِ المَحَلي وَ خَلقِ فُرَصِ العَمَلِ وَ جَذبِ القوى العامِلَةِ؛ وَ الثّاني هُوَ الاِهتِمامُ بِإنتاجِ الحاجاتِ الأَساسَيةِ في البِلادِ، كَما هُوَ مَذكورٌ في سيرةِ المَعصومينَ (عَليهِمُ السَلامُ) و كانَ لَدَيهِم تَركيزٌ خاصّ عَلَى انتاجِ الاحتِياجاتِ الأَساسَيةِ وَ بَذَلوا جُهودًا لِتَوفيرِ الاحتِياجاتِ الأَساسَيةِ بِأَنفُسِهِم. وَ أَمّا في العَصرِ الحالي مِن خِلالِ خَلقِ السِّياقاتِ المُناسَبَةِ يَجِبُ أَن تُوَفِّرَ أَرضيةٌ مُناسَبَةٌ لِإنتاجِ الاحتِياجاتِ الأَساسيَةِ في المُجتَمَعاتِ الإسلامِيَةِ، بِمَعنى أَنَّ كُلَ ما يَأتي مِنَ الاحتِياجاتِ الأَساسيَةِ مِنَ الخارِجِ يَجِبُ أَن يُنتَجَ

١- الصحيفة السجادية: الدعاء الأولي.

٢- المصدر نفسه: الدعاء الأولي.

مـنَ الداخـل. وَ بالطَّبع هَذا لا يُعنـي أَنَّ التِجارَة لا يَنبَغِـي أَن تَتِمَ مَعَ دُوَلٍ أُخـرَى وَ لَكِن هذا يُعنـي أَنَّه يَجِبُ إنتاجُ الاحتِياجاتِ الأَساسـيةِ في المُجتَمَعِ نَفسـه وَ الّـذي بالإضافَـةِ إلَى خَلقِ فُرَصِ العَمَلِ يُزيلُ اعتِمادَ المُسـتَهلكِ عَلَى البُلدانِ الأُخرَى.

الثاني: مُكَونات الإجرائي لإزالَة الاَضرار الاقتِصادية

تُشـير الأَضرار الاقتِصادِيَـة إلَى الآفات الَّتي تُهَدِّد الأَمـن الاقتِصادي وَ الَّتي بالإضافَة إلى الخَسـائِر الشَّـخصيَة وَ الاجتِماعيَة وَ تَكـون عُقبَة مُهمَة أَمام خَلـق فُرَص العَمَل وَ الإنتاج. تَرتَبط بَعض هَـذِهِ الآفات بالحَياة الفَرديَة وَ البَعـض الآخـر بالحَياة الاجتِماعيَة. أَهَمُّ اسـتراتيجيات العَمَـل للقَضاء عَلَى الاَضرار الاقتِصادِيَة المَبنِي عَلَى حَياة الإمام سـجاد (عَلَيهِ السَّـلامُ) هِيَ:

١.محاربة الفساد الاقتصادي

للفَسـاد الاقتِصادي العَديد مِنَ الحالاتِ الَّتي يُمكِن أَن تُوجَد في أَيِّ مُجتَمَع. يَتَعارَض الفَسـاد الاقتِصـادي مَعَ الاقتِصاد الإسـلامي وَ يَضرب الاقتِصاد السَـليم وَ الديناميكـي ضَربَـة. تَعُدّ التِجـارَة غَير الصَحية وَ كَسـب الدَخل غـير المَـشروع مِن أَهـمِّ الأَمثِلَة عَلَى الفَسـاد الاقتِصادي. إنَّ القُـرآن الكَريم يُحَـرِّم الاقتِصـاد غـيرَ الصِّحـي وَ الزائف و يقـولُ: «**يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُـوا أَمْوَالَكُـمْ بَيْنَكُـمْ بِالْبَاطِـلِ إِلَّا أَنْ تَكُـونَ تِجَـارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَـكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**» (النّسـاء/٢٩) في هَـذِهِ الآيـةِ المُبارَكَة يعـرف أَكل بَعضنا البَعض بطريقـة كاذِبَة حَراما وَ في مُقابِلِها يُوصى بالتِجارَة السَـليمة و المُتَبادِلَة. في التَّعاليم الدِّينيّة يَعتَبِر الرِّبا و القُمار وَ الغَلاء و السَرِقَة وَ الاختِلاس أَمثِلَة عَلَى الاقتِصاد غير الصِحي وَ

الفَساد الاقتصادي، وَ قَد أَكَّدّ عَلَى مُكافَحَتِها وَ القَضاء عَلَيها مِنَ المُجتَمَع. فِي نَهج البَلاغة يَعتَبِرُ الاحتِكارُ أَحَدَ أَهَم أَشكال الفَساد الاقتصادي في المجتمع. يُمكِنُ أَن يَتَسَبَبُ الاحتِكارُ فِي المَواقِف الحَساسة أَن يسَبِّبَ أَضراراً جَسيمةً لاقتِصاد الأُسرَة وَ المُجتَمَع. فِي رِسالة ٥٣ من نَهج البَلاغَة إلى مالك اَشتر طالَبَه الإمامُ (عَلَيهِ السَلامُ) بِمُعالَجَة الأضرار الاقتِصاديَة فِي المُجتَمَع بِما فِي ذَلِكَ: الاحتكار و الغَلاء، لِأَنَّ هذه القَضايا تعطل النِّظامَ الاقتصادي للمُجتَمَع وَ تَضُر باقتصاد الشَّعب. فَيَقولُ عَن هذا:«**وَ اعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً وَ شُحّاً قَبِيحاً وَ احْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ وَ تَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ وَ ذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَ عَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلي الله عليه و آله) مَنَعَ مِنْهُ وَ لْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وَ أَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَ الْمُبْتَاعِ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ وَ عَاقِبْهُ مِنْ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ**»[١] الجشع هو أحد الأمثلة الخاطئة التي تتعارض مع الاقتصاد السليم، و هذه الرذيلة الأخلاقية وحدها تسبب الكثير من الأضرار الاقتصادية في المجتمع. من القضايا التي يجب مراعاتها في عملية تنفيذ اقتصاد إسلامي سليم هي إضفاء الطابع المؤسسي على الحقوق و الحق في المجتمع، بمعنى أن الجميع راضٍ عن حقوقه و حقه و لا تتعدى على حقوق الآخرين. و عليه فإن الإمام السجاد (عليه السلام) في الدعاء الثامنة للصحيفة السجادية يستعاذ بالله من هذه الصفة الدنيئة: «**اللّهُمّ إنيّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ**»[٢] و في دعاء أخرى دعا الله بهذه الطريقة: «**وَ**

١- نهج البلاغة، رسالة ٥٣.

٢- الصحيفة السجادية: الدعاء الثامنة.

أَسْـأَلُكَ فِي أَنْ تُسَـهِّلَ إِلَى رِزْقِي سَـبِيلًا، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ابْتِدَائِكَ بِالنِّعَمِ الْجِسَامِ، وَ إِلْهَامِكَ الشُّكْرَ عَلَى الْإِحْسَانِ وَ الْإِنْعَامِ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِـهِ، وَ سَـهِّلْ عَلَيَّ رِزْقِـي، وَ أَنْ تُقَنِّعَنِي بِتَقْدِيرِكَ لِي، وَ أَنْ تُرْضِيَنِي بِحِصَّتِي فِيمَا قَسَـمْتَ لِي، وَ أَنْ تَجْعَلَ مَا ذَهَبَ مِنْ جِسْـمِي وَ عُمُرِي فِي سَـبِيلِ طَاعَتِـكَ، إِنَّـكَ خَـيْرُ الرَّازِقِـين»[1] يطلب الإمام السـجاد (عليه السلام) الله الرضا في الحياة و تجنب الإسراف، و يقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِـهِ، وَ تَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ، وَ سُـمْنِي حُسْـنَ الْوِلَايَةِ، وَ هَبْ لِي صِدْقَ الْهِدَايَةِ، وَ لَا تَفْتِنِّي بِالسَّـعَةِ، وَ امْنَحْنِي حُسْـنَ الدَّعَةِ، وَ لَا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً، وَ لَا تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً، فَإِنِّي لَا أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً، وَ لَا أَدْعُـوَ مَعَـكَ نِدّاً.**»[2] و يذكر الابتعاد عن الجشـع كأحد أمثلة أسـلوب الحياة الإسلامية و يقول: «**رَأَيْتُ الْخَيْرَ كُلَّهُ قَدِ اجْتَمَعَ فِي قَطْعِ الطَّمَعِ عَمَّـا فِي أَيْـدِي النَّاسِ وَ مَنْ لَمْ يَـرْجُ النَّاسَ فِي شَيْءٍ وَ رَدَّ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ**»[3] يعتـبر كسـب الـرزق الحـلال و الابتعاد عـن الاقتصاد غير الصحـي أمثلة أخرى على الانضباط الاقتصادي الذي يسـاعد إضفاء الطابع المؤسسي عليه في تنفيـذ اقتصاد سـليم و الابتعاد عن الاقتصـاد غير الصحي؛ يقول الإمام سـجاد (عليه السـلام) في الدعاء الثلاثين من الصحيفة السـجادية: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ ، وَ احْجُبْنِي عَنِ السَّرَفِ وَ الِازْدِيَادِ ، وَ قَوِّمْنِي بِالْبَذْلِ وَ الِاقْتِصَادِ ، وَ عَلِّمْنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ ، وَ اقْبِضْنِي بِلُطْفِكَ عَنِ**

١- المصدر نفسه: الدعاء ٣٢.

٢- المصدر نفسه: الدعاء ٢٠.

٣- الكليني، الكافي، ج٢، ص١٤٨.

التَّبْذِيرِوَ أَجْرِ مِنْ أَسْبَابِ الْحَلَالِ أَرْزَاقِي»[1] وفي هذه الدعاء يطلب الإمام السـجّاد (عليه السـلام) اللـه تعالى أن يجتنب المال الـذي يصرف في طريق الغطرسـة و الباطـل، و هـو أيضًا مثال على اقتصاد سـليم ينفـق فيه المال بالطريقـة الصحيحـة و لا أفعـال باطلة و غير مشروعـة: «**وَ ازْوِعَنِّي مِنَ الْمَالِ مَا يُحْدِثُ لِي مَخِيلَةً أَوْ تَأَدِّياً إِلَى بَغْيٍ أَوْ مَا أَتَعَقَّبُ مِنْهُ طُغْيَانا**»[2] إنّ الغَـلاءَ وَ الاحتـكارَ وَ الربـا بالإضافـة إلى تَرقيـةِ ثَقافـةِ الاقتصـادِ غَيرِ الصِّحـي في المُجتَمَـعِ وَ زيـادةِ الفجـوة الطَبقية تضربُ الطبقـة الفقيرة و المتوسـطة. يَتَسَـبَبُ الاختلاسُ عَلَى نِطاقٍ واسِـعٍ في إلحاقِ أَضرار باقتصادِ البِـلادِ وَ خَسـارَةٍ لِلخَزينَةِ، ممّا يُؤدِّي أَيضًـا إلى أضرار ثَقافيةٍ وَ اجتماعية. إنَّ وَضـعَ القَوانـينِ المُتَماسِـكَةِ وَ المُلائمَـةِ في هذا الصَّدَدِ وَ تَعزيـزِ الهَيئاتِ التَنظيميةِ وَ التَنفيذيةِ في السُـوقِ وَ النِّظامِ الاقتصادي يُمكِنُ أَن يُسـاعِدَ في تَقليلِ الخَسـائِرِ الاقتصاديَـةِ في هذا الصَّدَدِ.

٢.خلق ثقافة الاستخدام الأمثل للنعم الإلهية

عامِـلٌ مُهِـمٌ آخَرُ في تَحَقُّقِ الأَمنِ الاقتصادي هُوَ خَلقُ ثَقافَةِ الاسـتِخدامِ السَـليمِ لِلبَرَكاتِ الإلهية. في كَثيرٍ مِـن الحالاتِ دَعا القُرآن الكَريم النّاس إلى حُسـن اسـتِخدام النِّعَـم وَ حَذر مِنَ الإسراف و التَبذيـر: «**وَ كُلُوا وَ اشْرَبُـوا وَ لا تُسْرِفُـوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفـِينَ**» (الاعراف/ ٣١)

مِـن أَهَـمِ الأَمثِلَـةِ عَـلَى تَحريـمِ الإسرافِ العَيـشِ البَسـيط وَ عَـدَمُ الانتماء لِلكَماليـات. اَلحَياةُ البَسـيطَة هِيَ إِحـدَى العاداتِ الإسـلامِيَة. اَلتَرفُ وَالمَيلُ إِلَى الطقـوسِ مِـنَ العقبـاتِ الجِديةِ لِإِصـلاحِ أَنمـاطِ الاسـتِهلاكِ وَ التَقَدُمِ

١- الصحيفة السجادية ، الدعاء الثلاثون.
٢- المصدر نفسه.

الاِقتِصـادي. الوقوعُ فِي فَخِ الطقوسِ وَ الكَمالياتِ لَيسَ سِـوَى الابتِعادِ عَنِ الإنتـاجِ. آثـار الإسراف السـيئة في الحيـاة لدرجة أن الإمام السـجّاد (عليه السـلام) يسـتعيذ منه باللـه: «**وَ نَعُوذُ بِكَ مِـنْ تَنَاوُلِ الْإِسْرَافِ**»[1]

الإمـام السـجّاد (عليـه السـلام) في ادعيته الثمينـة يطلب من اللـه الابتعاد عـن الإسراف و الاسـتهلاك غـير النافـع و التخطيـط و الحيـاة الكريمـة، حيـث يقـول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِهِ ، وَ احْجُبْنِي عَنِ السَّرَفِ وَ الاِزْدِيَـادِ ، وَ قَوِّمْنِـي بِالْبَذْلِ وَ الاِقْتِصَادِ ، وَ عَلِّمْنِي حُسْـنَ التَّقْدِيرِ ، وَ اقْبِضْنِي بِلُطْفِكَ عَنِ التَّبْذِيرِ**»[2] و هذا الجزء من الدعاء يشير إلى تحريم الإسراف و الجشـع مـن جهـة و التمتـع بالبركات على النحـو الصحيح من جهة الأخري. كما يقول في هذا الصدد: « **اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ امْنَعْنِي مِنَ السَّرَفِ، وَ حَصِّنْ رِزْقِي مِنَ التَّلَفِ، وَ وَفِّرْ مَلَكَتِي بِالْبَرَكَةِ فِيـهِ**»[3] لذلك فإن الإسراف من العقبات المهمة في تحقيق التفوق الفردي و الاجتماعي و يتعارض مع الاقتصاد الإسـلامي. و للأسـف فإن الإسراف و التبذير يظهر على كافة مسـتويات المجتمع، و يلاحظ التبذير و الإسراف في الاحتفالات كحفلة الزواج و المناسـبات الدينية و حتى الاحتفالات الرسمية في الأجهـزة الحكوميـة. و هذا الضرر الخطير يتطلـب ثقافة كلية على كافة مستويات المجتمع، فإضافة إلى جهود العائلات فإن بناء الثقافة هذا يتطلب جهوداً مكثفة من جميع الأجهزة و المؤسسـات على المسـتويات التربوية و الثقافيـة و العالية. إن خلق ثقافة الاسـتخدام الأمثل للنعم الإلهية و تجنب الإسراف و التبذيـر لـه آثـار اقتصادية كبيرة بالإضافة إلى تعزيز الأسـاس

١- المصدر نفسه: الدعاء الثامنة.

٢- المصدر نفسه، الدعاء٣٠.

٣- المصدر نفسه: الدعاء ٢٠.

الاقتصادي للأسرة و إدارتها في مواجهة الأزمات الاقتصادية يساهم أيضًا في التنمية الاقتصادية للبلاد.

الثالث: المُكَوناتُ العَمَليةُ لِإستئصالِ الفَقرِ وَ الفَجوَةِ الإجتماعيةِ

كانَ أَحَدُ أهداف بعثَة الأنبياءِ تَطبيقُ العَدالة الاجتماعية وَ القَضاء عَلَى الفَواصل الطَبَقية. اَلسيرة العلمية وَ العَمَلية للمعصومين(عَليهم السّلامُ) هي غاية العَدالَة الإسلامية التي تَهدِفُ القَضاء عَلى الفقر وَ الانقسامَ الطَبقي، وَ في هَذا الصَدَدِ قَد ذُكِرَت استراتيجياتٌ هامَة في سيرة الامام سجاد(عليه السلام) وَ هِيَ:

١.تَطبيقُ العَدالةِ الاقتصادِيَةِ

في المَكتبة القُرآنية قَد دُعِيَ الناسُ وَ مَسؤولو النظام الاقتصادي لإقامَة العَدل. يَقولُ القُرآن الكَريم عَن هذا: «**وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْميزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**» (الانعام/١٥٢) فَالعَدالَةُ الاقتصاديَةُ في المُجتَمَع هِيَ رَمزُ ازدِهار المُجتَمَع وَ تَقَدُمه، كَما أَنَّ الحُكم العادل لأمير المُؤمنينَ الإمام علي (عليهِ السّلامُ) هُوَ نَموذَج شامل في هذا الصَدَد. لَقَد اعتبر العَدل لَما لَه من أَثر كَبير، اَلآثار الَّتي واضِحَة في المُجتَمَع الإسلامي من حَيث الدُنيَوية وَ الأُخروية.[١] يَقومُ مَبدأُ العَدل عَلَى عدالة الحُكام[٢] وَ العَدالة في النّاس.[٣]

يَقولُ الإمامُ عَلي (عليهِ السّلامُ) عَنِ التَطبيقِ الشامِلِ لِلعَدالَةِ وَ مُساعَدَةِ

١- المجلسي، بحارالانوار:٨٧/٨٣؛ نهج البلاغه،١٣٧٠ش: حكمة ٧٤٣.
٢- نهج البلاغة: خطبة ٢١٦.
٣- المصدر نفسه: الرسالة ٢٧.

المَحرومـَين: «**وَ ايْمُ اللَّه لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِـن ظَالِمِه وَ لَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِـه حَتَّـى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَ إِنْ كَانَ كَارِهاً**»[١] يَقول في مَكان آخَـرَ: «**وَ اللَّـه لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّـبْعَةَ بِمَا تَحْـتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ وَ إِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَ لِنَعِيمٍ يَفْنَى وَ لَذَّةٍ لَا تَبْقَى نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُـبَاتِ الْعَقْلِ وَ قُبْحِ الزَّلَلِ وَ بِهِ نَسْـتَعِين.**»[٢]

العَدالة تعني مُسـاعَدَة الفُقَراء لِلخُروج مِنَ العُزلَة الاقتصادِيَة، كَتَبَ الإمام (عَليهِ السلام) في رِسالَة إلى أَحَد ولاتِه: «**وَ انْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَـالِ اللَّـهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَ الْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِـعَ [الْمَفَاقِـرِ الْفَاقَةِ وَ الْخَلَّاتِ وَ مَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا**».[٣]

كمـا تشـير تعاليـم الإمـام السـجّاد (عليـه السـلام) إلى أهميـة العدالـة و مكانتهـا. يذكر الإمام سـجاد أهمية العـدل في أدعيته: «**الْمُعَزِّيـنَ مِنَ الذُّلِّ بِـكَ، وَ الْمُجَارِينَ مِنَ الظُّلْمِ بِعَدْلِـكَ، وَ الْمُعَافَيْنَ مِنَ الْبَلَاءِ بِرَحْمَتِكَ،**»[٤] و في مـكان آخـر يقول عن عدل الله تعالى: «**الْحَمْـدُ لِلَّهِ رِضًى بِحُكْمِ اللَّهِ، شَهِدْتُ أَنَّ اللَّهَ قَسَمَ مَعَايِشَ عِبَادِهِ بِالْعَدْلِ، وَ أَخَذَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ بِالْفَضْلِ**»[٥] الإمام سـجاد يسـأل الله تعالى أن يوفقه في نشر العدل فيقول: «**اللَّهُـمَّ صَلِّ عَـلى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ حَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَ أَلْبِسْـنِي**

١- المصدر نفسه: خطبة ١٣٦.
٢- المصدر نفسه: خطبة ٢٢٤.
٣- المصدر نفسه: الرسالة ٧٦.
٤- الصحيفة السجادية، دعاء٢٥.
٥- المصدر نفسه: الدعاء ٣٥.

زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ»[١] يطلب الإمام السجاد في الدعاء الرابعة عشرة الله تعالى عن أحد أمثلة العدل أي التغلب على الظالم، فيقول: «**اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ خُذْ ظَالِمِي وَ عَدُوِّي عَنْ ظُلْمِي بِقُوَّتِكَ، وَ افْلُلْ حَدَّهُ عَنِّي بِقُدرَتِكَ، وَ اجْعَلْ لَهُ شُغْلًا فِيمَا يَلِيهِ، وَ عَجْزاً عَمَّا يُنَاوِيهِاللَّهُمَّ وَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ لَا تُسَوِّغْ لَهُ ظُلْمِي، وَ أَحْسِنْ عَلَيْهِ عَوْنِي، وَ اعْصِمْنِي مِنْ مِثْلِ أَفْعَالِهِ، وَ لَا تَجْعَلْنِي فِي مِثْلِ حَالِهِ**»[٢] في هذ الكلام بالإضافة إلى نفي الظلم يطلب الإمام من الله أن لا يجعله مثل الظالمين الذين لا يحفظون العدل و يضطهدون الآخرين. و بحسب تعاليم الإمام السجّاد فإن العدل من أهم مبادئ الشرائع للدين: «عَنْ أَبِي مَالِك قَالَ قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ع أَخْبِرْنِي بِجَمِيعِ شَرَائِعِ الدِّينِ قَالَ **قَوْلُ الْحَقِّ وَ الْحُكْمُ بِالْعَدْلِ وَ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ**»[٣] في هذه الرواية الشريفة العدل من الأمور التي أكدها الإمام، لأن العدل يؤدي إلي وصول الحق بصاحبه و حضور السلام في المجتمع، كما قال الإمام علي (عليه السلام) في هذا الصدد: «**الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا وَ الْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا وَ الْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ وَ الْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَ أَفْضَلُهُمَا**»[٤] إن الاهتمام بمحرومي المجتمع من سمات العدالة الاقتصادية التي تساعد على القضاء على الفقر و تحقيق العدالة و تقليص الفجوة الطبقية بين الأغنياء والفقراء. في تعاليم الإمام السجّاد مساعدة الفقراء مثال على تحقيق العدل و إزالة البُعد الطبقي عن المجتمع و قد ذكر الإمام هذه المسألة في

١- المصدر نفسه، الدعاء ٢٠.
٢- المصدر نفسه: الدعاء ١٤.
٣- الصدوق، الخصال، ج١، ص١١٣.
٤- نهج البلاغة: حكمة ٤٣٨.

عـدة حـالات منها: «**مَنْ أَطْعَمَ مُؤْمِنـاً مِنْ جُوعٍ أَطْعَمَـهُ اللَّهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ وَ مَنْ سَقَى مُؤْمِناً مِنْ ظَمَإٍ سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ**»[١] فيقول في هذا الصدد: «**مَنْ كَسَـا مُؤْمِناً كَسَـاهُ اللَّهُ مِنَ الثِّيَابِ الْخُضْرِ وَ قَـالَ فِي حَدِيـثٍ آخَـرَ لَا يَـزَالُ فِي ضَمَانِ اللَّـهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ سِـلْك**»[٢] «**حَضَرْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَـيْنِ عليه السـلام يَوْماً حِينَ صَلَّى الْغَدَاةَ فَإِذَا سَـائِلٌ بِالْبَـابِ فَقَـالَ عَلِيُّ بْـنُ الْحُسَـيْنِ ع أَعْطُوا السَّـائِلَ وَ لَا تَرُدُّوا سَائِلا**»[٣] « **كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَخْرُجُ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ فَيَحْمِـلُ الْجِـرَابَ فِيهِ الصُّرَرُ مِـنَ الدَّنَانِيرِ وَ الدَّرَاهِـمِ حَتَّى يَأْتِيَ بَاباً بَابـاً فَيَقْرَعُـهُ ثُمَّ يُنِيلُ مَـنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ فَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَـيْنِ ع فَقَـدُوا ذَاكَ فَعَلِمُـوا أَنَّ عَلِيّاً عليه السـلام كَانَ يَفْعَلُه**»[٤] بالإضافة إلى التأكيـد عـلى أن القرآن و أهل البيت (عليه السـلام) يولـون اهتمامًا خاصًا لمساعدة المحرومين و تخفيف حدة الفقر في المجتمع، فإن هذه المقالات تعبر أيضًـا عـن العدالة الاقتصادية حيـث أن العدل هو إفـادة كل أفراد المجتمع مـن العطايـا الإلهية. تَعُـد العدالة الاِقتصاديَـة مُهمَة لِدَرجـة أَنَّه مِن خِلال مُراقِبَتِها سَـيَختَفي الفَقر و الحِرمان مِنَ المُجتَمَع، وَ بِالتالي سـيقل الفسـاد الاقتصادي بِشَكل كَبير. الهَدف مِن العَدالة الاِقتِصادية هُو مُجتَمَع مُتَجانِس بَعيـدا عَن الفجوة الطَبَقيـةِ وَ هُو ما تُؤَكِّده التَعاليمُ الدِّينية.

١- الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٠١.
٢- المصدر نفسه: ص٢٠٥.
٣- المصدر نفسه، ج٤، ص١٥.
٤- الصدوق، محمد بن بابويه، علل الشرائع، ج١، ص٢٣٢.

٢. الاهتمام بقرض الحسنة و الابتعاد عن الربا

مـن الاسـتراتيجيات الاقتصادية الهامة للقـرآن في التخفيف من حدة الفقر و مسـاعدة الشرائـح ذات الدخـل المنخفض في المجتمع هو تشـجيع قرض الحسـنة:«**مَنْ ذَا الَّـذي يُقْـرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَـناً فَيُضاعِفَـهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَريمٌ**»[١] .

لقـد أولى المعصومـون (عليهـم السـلام) بمـن فيهـم الإمام سـجاد (عليه السلام) اهتماماً كبيراً للسنة الحسنة تسمي بقرض الحسنة؛ و أهمية كبيرة لهذه القضية لدرجة أن مكافأة الإقراض تعتبر أعلى و أحسـن من الصدقة. هو قام عمليا بإضفاء الطابع المؤسـسي على سـنة قرض الحسـنة الجيدة في المجتمع؛ و هم أنفسـهم بوصفهم قدوة يولون اهتماما خاصا لهذه المسـألة الهامة ؛ هناك العديد من الحالات في حياة المعصومين (عليهم السلام) حول قرض الحسـنة و تنفيذه.[٢] في الدعاء الثلاثين للصحيفة السجادية إشارات إلى سـداد القـروض، مما يدل عـلى وجود الإقراض و الاقـتراض في الحياة العلميـة و العملية للإمام سـجاد (عليه السـلام) و طلب مـن الله أن يعينه على سـداد قرضه. و في هذه الدعاء يطلب من الله مجالسـة الفقراء، و هذا بالإضافة إلى الاهتمام بالشؤون الاقتصادية للمحتاجين و تلبية احتياجاتهم بالإقراض و الانفاق، كما يشير إلى كرامة الإنسان و إكرام الفقراء. بقدر ما يقول: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَاءِ ، وَ أَعِنِّي عَلَى صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ**»[٣] و في نفس الدعاء يسـأل الإمام السّـجاد (عليه السلام) الله تعالى

١- سورة الحديد /١١

٢- انظر: الكليني، الكافي، ج ٤: ١٠؛ المجلسي، بحارالانوار، ج١٠٣: ١٣٩.

٣- الصحيفة السجادية، الدعاء الثلاثون.

عن الرزق و الصدقة في سبيل الله حيث يقول: «**وَ أَجْرِ مِنْ أَسْبَابِ الْحَلَالِ أَرْزَاقِي ، وَ وَجِّهْ فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ إِنْفَاقِي**»[1] و يشير الإمام سجاد إلى أهمية قرض الحسنة و الإنفاق و آثارهما باقتباس آيات من القرآن الكريم. فيقول: «**وَ أَنْتَ الَّذِي زِدْتَ فِي السَّوم عَلَى نَفْسِكَ لِعِبَادِكَ، تُرِيدُ رِبْحَهُمْ فِي مُتَاجَرَتِهِمْ لَكَ، وَ فَوْزَهُمْ بِالْوِفَادَةِ عَلَيْكَ، وَ الزِّيَادَةِ مِنْكَ، فَقُلْتَ- تَبَارَكَ اسْمُكَ وَ تَعَالَيْتَ-: مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها، وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها. وَ قُلْتَ: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَ اللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ، وَ قُلْتَ: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً. وَ مَا أَنْزَلْتَ مِنْ نَظَائِرِهِنَّ فِي الْقُرْآنِ مِنْ تَضَاعِيفِ الْحَسَنَاتِ.**»[2] في روايات أُخرى عَن المَعصومينَ (عَليهمُ السَّلامُ) إنَّ إقراضَ المالِ أفضَلُ من إعطاءِ الثَّروةِ.[3] وَ لَعَلَّ سَبَبَ تَفضيل قَرض الحَسَنَة عَلَى الصَّدقة وَ إعطاء المال أَنّ قَرض الحَسَنة يَجعَل المُقتَرض يُفَكِّر في سداد دينه، لذلكَ يَتَجه إلَى العَمَل وَ الجُهد، وَ هذا يُؤَدِّي إلى خَلق فُرَص العَمَل وَ تَجَنُب البَطالَة وَ الكَسَل وَ الرُكود؛ لَكن في الصَدَقَة لَم يَعُد المَتَلَقي يُفَكِّر في إعادَة المال وَ هذا يَجعَلُه مُعتادًا عَلَى طَلَب الراحة منَ الناس. إنَّ لتَشجيع قَرض الحَسَنَة من جهَة وَ تَحريم الرِّبا من جهَة أُخرى آثارٌ كَبيرةٌ عَلَى اقتصاد البلاد. إنَّ قَرضَ الحَسَنَة لا يُساعِد فَقَط وَضع الحَرَج لِلمُحتاجين وَ لَكنُه يَمنَع الضَرَر الاجتماعي وَ الاقتصادي الناجم عَن الفَقر وَ من ناحيةٍ أُخرَى عَلَى عَكس الرِّبا الَّذي هُوَ عامِلٌ في جَعل الغِني أكثرَ

١- المصدر نفسه.

٢- المصدر نفسه: الدعاء ٤٥.

٣- انظر: المجلسي، بحار الانوار: ج١٠٣، ص١٣٩.

ثراء و الفَقير أَشـدَّ فَقراً فَهُوَ عامِل مُهم فِي مُساعَدَة الفُقَراء.

٣. الدَعمُ الإقتصادي لِلفِئات الضَّعيفة

مِـن جَوانِب تَحَقُق الأَمن الاقتصادي سَـدُّ الفَجوَة الطَبَقيـة، لِأَنَّ المُجتَمَع لَهُ أَقسـام وَ طَبَقات، أَحَدها الفُقَراء وَ المَحرومون. لِلفَقر بِشَـكل عام ضَرَران جَسـيمان، أَحَدُهُمـا مِن وُجهَة نَظـرِ الفَردي لِأَنَّ الفَقيرَ قَـد يَنجُرُ إِلى وادِي الكُفـرِ وَ الضَّـلال فِي الإيمـانِ وَ ارتِكاب أَعمـالٍ غَير لائِقَـة كَالسَرِقة وَ نَحوَ ذَلِـكَ؛ مِـن وُجهَـة نَظر الاجتماعية يَتَسَـبَبُ الفَقـر بِالإِضافَة إِلَى المُشـكلات الاقتصاديـة فِي المُجتَمَع يسَـبِّبُ أَضراراً اجتماعيـةً وَ اقتصاديةً، وَ يُؤَدِّي إِلى عَـدَم قيـادة المُجتَمَـع لِطريق الكَمال وَ السَّـعادَة وَ يَسـودُ انعـدام الأَمن وَ الاضطراب فِي المُجتَمَع. وَ بِسَـبب هذِهِ الآثار السَـيئَة لِلفَقر قَد أُكِّدَت إِدانَتُه فِي الثقافَـة الدينيـة. يَعتَبِرُ الإِمامُ علي (عَلَيهِ السَّـلامُ) الفَقرَ أَكـبَرَ مَوتٍ[١] وَ يَعتَبِرُها سَبَبا فِي ارتِباك العَقل وَ سَبَب العَداوَة[٢] قَد ذُكِرَت فِي تَعاليم الإِمام سجاد (عَلَيهِ السَّلامُ) وَ سائر المعصومين(عليهم السلام) ثَلاث استِراتيجيات أَساسـية لِلقَضاء عَلَى الفَقر فِي المُجتَمَع: **الحلّ الأَوَلُ** يَتَعَلَقُ بِالفُقَراء وَ الّذي يُؤَكِّـدُ لَهُـم أَن يميلـوا إِلَي العَمَل الصِّحي فِي أَيِّ مَوقِف وَ يتَجَنَبُوا الكَسَـلَ وَ الضَعـفَ، بِمَعنـى آخَر أُولئـكَ القادِرينَ عَلَى العَمَل وَ غَيرُ المَعوقينَ جَسَـديًا، يَلجَـأونَ إِلَى العَمَـل وَ الجُهد وَ يَكسـبونَ الحَلالَ. حَيـثُ أَنَّ واجبَ الآخرينَ فِي المَرحَلَة الأُولى هُوَ المُسـاعَدَةُ فِي التَوظيف لِلفُقَراء، وَ لَيسَ المُسـاعَدَةُ الماليةُ وَ هـذا بِمَعنى أَنَّهُم يُوَفِرونَ الظُروفَ لِخَلق فُرَص العَمَل لِلمُحتاجينَ بِحَيثُ لا يَحتاجـونَ إِلَى مُسـاعَدَةٍ ماليَـةٍ. كما يقول الإمام السـجّاد في هذا الصدد:

١- نهج البلاغة، الحكمة ١٦٣.

٢- المصدر نفسه، الحكمة ٣١٩.

«**وَ اسْتِثْمَارُ الْمَالِ تَمَامُ الْمُرُوءَةِ**»[١] **الحلُّ الثّاني** لِلأَغنياءِ هُوَ القَضاءُ عَلَى الفَقرِ بِالتَبَرُّعِ بِثَرواتِهِم. إنَّ الإنفاقَ بِالإضافَةِ إِلَى مَنعِ أَيِّ مخاطِرِ اجتِماعية وَ نَفسيّة، سَتَكون عَمَلاً هامًا فِي التَمَتُّعِ بِبَرَكاتِ اللهِ الخالِدَةِ وَ يُمكِنُ أَن يَكونَ أَحدُ عَوامِلِ تَحَقُّقِ التَنميةِ الاقتصاديَةِ المَنشودَة؛ كَما قَد جاءَ فِي القرآنِ الكَريم: «**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**»[٢] الإمام السجّاد في دعائه يسأل الله أن يعطيه له توفيق الإنفاق: « **اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ امْنَعْنِي مِنَ السَّرَفِ، وَ حَصِّنْ رِزْقِي مِنَ التَّلَفِ، وَ وَفِّرْ مَلَكَتِي بِالْبَرَكَةِ فِيهِ، وَ أَصِبْ بِي سَبِيلَ الْهِدَايَةِ لِلْبِرِّ فِيمَا أُنْفِقُ مِنْهُ.**»[٣] مثال آخر على الصدقات التي تساعد الفقراء و إزالة الفقر هو الجهد المبذول لدفع الزكاة. و قد أكد الله على ذلك في القرآن الكريم: «**وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ**»[٤] كما يشير الإمام السجّاد إلى أهمية الزكاة و يقول: «**وَفِّقْنَا فِيهِ لِأَنْ نَصِلَ أَرْحَامَنَا بِالْبِرِّ وَ الصِّلَةِ، وَ أَنْ نَتَعَاهَدَ جِيرَانَنَا بِالْإِفْضَالِ وَ الْعَطِيَّةِ، وَ أَنْ نُخَلِّصَ أَمْوَالَنَا مِنَ التَّبِعَاتِ، وَ أَنْ نُطَهِّرَهَا بِإِخْرَاجِ الزَّكَوَاتِ**»[٥]

يؤكد أهمية مساعدة الفقراء و المحتاجين و يقول: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ**

١- الكليني، الكافي: ج١، ص٢١.
٢- سورة البقرة /٢١٦
٣- الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.
٤- سورة الروم /٣
٥- المصدر نفسه: الدعاء٤٤.

مِـنَ الْمُؤْمِنِـينَ كَانَ فِي كَنَـفِ اللَّـهِ وَ أَظَلَّـهُ اللَّـهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ فِي ظِلِّ عَرْشِـهِ وَ آمَنَهُ مِنْ فَزَعِ الْيَوْمِ الْأَكْبَرِ مَنْ أَعْطَى النَّاسَ مِنْ نَفْسِـهِ مَا هُوَ سَـائِلُهُمْ لِنَفْسِـهِ وَ رَجُلٌ لَمْ يُقَدِّمْ يَداً وَ لَا رِجْلًا حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ فِي طَاعَـةِ اللَّـهِ قَدَّمَهَـا أَوْ فِي مَعْصِيَتِهِ وَ رَجُلٌ لَمْ يَعِبْ أَخَـاهُ بِعَيْبٍ حَتَّى يَتْرُكَ ذَلِكَ الْعَيْبَ مِنْ نَفْسِـهِ وَ كَفَى بِالْمَرْءِ شُـغُلًا بِعَيْبِهِ لِنَفْسِـهِ عَنْ عُيُـوبِ النَّـاسِ»[1] وَ كَانَ زَيْـنُ الْعَابِدِينَ ع يُقَبِّلُ يَدَهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ وَ سُـئِلَ عَـنْ [فِي] ذَلِـكَ فَقَـالَ عليه السـلام «**إِنَّهَا تَقَـعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْـلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّـائِلِ.**»[2] **الحلُّ الثالثُ** لِلقَضاءِ عَلَى الفَقرِ هُوَ واجِبُ الحُكومَةِ تِجاهَ المُحتاجينَ. كَتَبَ الإمامُ علي (عَليهِ السَّلامُ) عَن هذا رِسالَةً إِلَى أَحَدِ ولاتِه: «**وَ إِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَ حَقّاً مَعْلُوماً وَ شُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْـكَنَةٍ وَ ضُعَفَـاءَ ذَوِي فَاقَةٍ وَ إِنَّا مُوَفُّـوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ وَ إِلَّا تَفْعَـلْ فَإِنَّـكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَـوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3] لِذلكَ مِن خِـلالِ تَطبيـقِ هذهِ المَبادئِ فيما يَتَعلَقُ بِالفُقَراءِ سَـيَتِمُّ القَضـاءُ عَلَى العَديدِ مِنَ الأضرارِ الاجتِماعيةِ وَ الاقتِصاديةِ وَ سَيَزدادُ الأمنُ وَ السَّلامُ فِي المُجتَمَعِ.

الرابع: مُكَوناتُ العَمَلِ مِن أَجلِ التَنميةِ الاقتِصاديةِ

يَعودُ الاستقلالُ السِّياسي لِبَلَدٍ ما إلى استقلالِهِ الاقتِصادي، فَإذا كانَ المُجتَمَعُ يَتَمَتَعُ باستقلالٍ سياسي و لَكِن لا يَتَمَتَعُ باستقلالٍ اقتِصادي فَسَوفَ يَتَراجَعُ وَ سَيَحصُلُ الأعداءُ عَلَى الاستقلالِ السِّياسي عَن ذَلِكَ البَلَدِ بِفَرضِ عُقوباتٍ. فَإنَّ أَحَدَ أهدافِ الغَطرَسَـةِ العالَميةِ فِي التَغَلُبِ عَلَى المُجتَمَعاتِ الإسـلاميةِ هُوَ

١- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٢٨٢.

٢- ابن فهد حلي، عدة الداعي و نجاح الساعي، ص٦٨.

٣- المصدر نفسه ، رسالة ٢٦.

فَـرضُ العُقوبـاتِ الاِقتِصاديَةِ لَها وَ قَـد ظَهَرَ تاريخُ هَذَا الأمـرِ مُنذُ ظُهورِ الإِسـلامِ. فِي زَمَـنِ الرَّسـولِ الكَريمِ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَ سَـلَم فَـرَضَ الحِصارُ الاِقتِصـادي عَلَى المُسـلمينَ فِي شِـعبِ أَبي طالب (عليه السـلام)[1] هُوَ واحِد مِن مَظاهِرِ الضغوط الاِقتِصادِيَة فِي التَغَلُّب عَلَى المُجتَمَع الإِسـلامي. إِذا كانَ المُجتَمَعُ يَتَمَتَع بِاستقلالِ سياسي لَكِنَّه لا يَتَمَتَع بِاستِقلال اقتِصادي فَسَوف يَتَراجَع وَ سَيَحصل الأعداء عَلَى الاِستِقلالِ السِّياسي عَن ذَلِكَ البَلَد مِن خِلال فَرضِ العُقوبات. أَهَمُ الاِسـتراتيجيات لِلتَنميةِ الاِقتِصاديةِ لِلمُجتَمَعِ هِيَ:

١.التَخطيط الاِقتصادي السَّليم

يُمكِن لِلاقتِصادِ الإِسـلامي السَّـليمِ وَ الدِّيناميكي أَن يَقودَ المُجتَمَع إِلَى نُمُوِ وَ تَطَـوُر دُنيَـوي وَ أُخرَوي، بِمَعنى أَنَّه يَتَسَـبَب فِي ازدِهـارِ اقتِصاد البِلاد وَ يَمنَـع دُخـول البَضائِـع المهربـة وَ الأَجنَبيـة إِلَى البِـلاد. هذا أَمـرٌ مُهمٌ فِي ضَـوءِ التَخطيطِ الاِقتِصادي السَّـليم. كَما فِي سـورةُ يُوسـفَ قَـد ذُكِر مِثال عَلَى التَخطيطِ الاِقتِصادي: «**قالَ تَزْرَعُونَ سَـبْعَ سِنينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَـذَرُوهُ فِي سُـنْبُلِهِ إِلاَّ قَليلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ**»[2] تُشـير هَـذِه الآيَة المُبارَكَة إِلى التَخطيط الاِقتِصادي الَّذي يستَنتِج مِن مَوضوعِه أَنَّه يَجِب أَن يَكون النهج الاقتِصـادي لِلمُجتمع فِي الأوقات وَ الأَوضـاع المُتباينَة مُختَلفا؛ عِندَما يَكون فِي المُجتَمَع وَفرَة مِن البَرَكات يَجِب أَن يقام بِطَريقة تَجعَل المُجتَمع فِي حالة عَدَم وُجودِها لَن يُواجِهَ مَشـاكِلَ اقتِصادية، اِهتَمّ أَهلُ البيتِ(عَلَيهِمُ السّلامُ) اهتِمامـا خاصَـا بِالتَخطيط فِي الحَيـاةِ وَ عَلَى رأسِـها التَخطيط الاقتصادي

١- الإصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، دلائل النبوة، المجلد ٢، ص ٣١١.
٢- سورة يوسف/٤٧

وَ بَذَلوا لَها أَهميةً كَبيرةً.[١] الإمامُ عَلي (عَلَيه السَّلامُ) يُؤَكِّدُ عَلَى أَهميةِ التَخطيطِ الاقتِصادي وَ يقولُ: «**حُسْنُ التَّدْبيرِ يُنْمي قَليلَ الْمَالِ وَ سُوءُ التَّدْبيرِ يُفْنِي كَثيرَه**»[٢] **كَما يَقولُ في هذا الصَّدَد: «ثَلَاثٌ بِهِنَّ يَكْمُلُ الْمُسْلِمُ التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ وَ التَّقْديرُ فِي الْمَعِيشَةِ وَ الصَّبْرُ عَلَى النَّوَائِب**»[٣]. الإمام السجّاد (عليه السلام) يدعو الله من أجل التخطيط الاقتصادي السليم: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ ، وَ احْجُبْنِي عَنِ السَّرَفِ وَ الازْدِيَادِ، وَ قَوِّمْنِي بِالْبَذْلِ وَ الِاقْتِصَادِ، وَ عَلِّمْنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ، وَ اقْبِضْنِي بِلُطْفِكَ عَنِ التَّبْذِيرِ**»[٤] وهذا الجزء من الدعاء بالإضافة إلى تحريم الإسراف و التبذير من جهة يشير إلى حسن التدبير و التمتع بالبركات من جهة أخرى، حتى لا يصيب الإنسان بالفقر و البؤس مع القياس المناسب في الأمور. إنَّ التَخطيط الاقتصادي لَدَيه القُدرة عَلَى التَنفيذ عَلى المُستويين الجُزئي وَ الكُلي وَ يقدرُ أَن يسهَم في التَنمية الاقتِصادِيَة لِلمُجتَمَع. عَلَى المُستَوى الجُزئي مُهمَة الأُسرَة هي الإدارَةُ الاقتصاديةُ السّليمةُ للأُسرَة، تَحسين أنماطِ الاستِهلاك و التَخطيطُ السَّليم لِلدَخل السَّنوي وَ تَجَنُب الاستِهلاك غير الضَروري لِلدَخل لِلسِلَع غير الضَروريَة وَ القناعة وَ الادِخار الضَّروري يُمكِن أن يُساعِد الأُسرَة في الأَزمات الاقتِصادِيَة أَو الرُكود وَ خَفض الدَّخل. عَلَى المُستَوَى الكُلي التَخطيط السَّليم لِلميزانية الوَطَنية وَ إدارةِ الاستِهلاك وَ النَفَقات وَ التَجَنُب عَن إهدار الخَزينَة وَ إدارَة المَصادِرِ الماليةِ وَ الماديَةِ وَ البَشَريةِ لِلمُجتَمَعِ وَ الاهتمامِ بِالاحتياجاتِ الأساسيةِ لِلبِلادِ

١- المتّقي الهندي، كنز العمّال، المجلد ٧، ص١٨٨؛ احسائي، عوالي اللئالي، المجلد ٤، ص ٣٩.
٢- الآمدي، غررالحكم: ح ٨٠٨١.
٣- الصدوق، محمد بن بابويه، خصال، ج١، ص١٢٤.
٤- الصحيفة السجادية، الدعاء٣٠.

وَ كَذلِكَ الظروف الاقتصادِيَةِ لِلبَلَد علي رغم من وُجودِ العُقوبات يُمكن أَن يمنَع مِنَ التَدَهوُر الاقتصادي لِلمُجتَمَع وَ التَضَخُم وَ الأَضرار الاقتصادية الأُخرى و هذا اَمر مُهِم لِتَنمية اقتصادِيَة لِلمُجتَمَع.

٢.تَشجيعُ الاستقلال الاقتصادي

تَعتَمِدُ سُلطَةُ المجتمع عَلَى الاستقلال الاقتصادي لِكُل بَلَد. وَ قَد ذَكَرَ القُرآنُ الكَريمُ سُلطَةَ وَ استقلالَ المُجتَمَعِ الإسلامي فِي آياتٍ مُختَلَفةٍ من خِلالِ تَشجيعِه علَى ذَلكَ:

«الَّذينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قالُوا أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَ إِنْ كانَ لِلْكافِرينَ نَصيبٌ قالُوا أَ لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَ نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرينَ عَلَى الْمُؤْمِنينَ سَبيلا»[١].

«وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ وَ آخَرينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُون» [٢]

فِي هَذِهِ الآيَةِ المُبارَكَةِ يَأمُرُ اللهُ المُسلمينَ بِالمُحاوَلَةِ لِتَقويةِ القاعِدَةِ العَسكَريةِ ضِدَ الأعداءِ لِأَنَهُ يَمنَعُ العَدوَ من التَسَلُلِ إِلَى المُجتَمَعِ الإسلامي. لا شَك أَنَّ تَعزيزَ القُوَةِ العَسكريَةِ وَ التَعبيرَ عَنِ الاستقلالِ السِّياسي بِدونِ الاستقلالِ الاقتصادي أَمر مُستَحيل؛ وَ رُبَما عَلَى هذا الأساسِ وَ فِي استمرارِ الآيةِ هُناكَ حَديثٌ عَنِ الانفاق فَي سَبيلِ الله، حَتّي يُمكِنُ باستخدام ذلك الانفاقِ أَن يقامَ بِتَقويةِ القُوَةِ العَسكريَةِ لِلمُجتَمَعِ الإسلامي؛ لِأَنَّ تَلَبيةَ احتِياجاتِ الجيشِ وَ

١- سورة النساء / ١٤١

٢- سورة الانفال / ٦٠

تَوفيرَ المُعَداتِ العَسكرية يَتَطَلَب قُوَة ماليَة. يُؤَثِّر الاستقلال الاِقتِصادي لِأَيِّ مُجتَمَع بِشَكل كَبيرعَلَى جَميعِ أَقسامِ المُجتمَعِ. تؤكد التعاليم الدعائية للإمام السـجّاد (عليه السلام) على الاستقلال الاقتصادي فرديًا و اجتماعيًا، و من طلبات الإمام السجّاد (عليه السلام) من الله تعالى أن يبتعد عن الفقر و قلة الاكتفاء في الحياة و يحتاج إلى غيره مما يلوم الأعداء فيصلي بهذه الطريقة: **«وَنَعُـوذُ بِـكَ مِنْ تَناوُلِ الإِسْرافِ وَمِنْ فِقْـدانِ الكَفافِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَماتَةِ الأَعْداءِ. وَمِنَ الفَقْرِ إلى الأَكْفاءِوَمِنْ مَعيشَةٍ فِي شِدَّةٍ»**[1]

يشـير هذا الجزء من الدعاء إلى الاسـتقلال الاقتصادي على المستوى الفردي و الاجتماعي. إن عدم التخطيط في الحياة و قلة الميزانية المالية في حد ذاتها تـؤدي إلى الحاجـة للآخرين و يمكن أن يكون لهذه الحاجة آثار سـيئة؛ في حيـاة الفردية يترتـب عليه التمسـك بالربـا و الاضرار الاقتصادية، و على الصعيد الاجتماعي رغم عدم الاسـتقلال السياسي، لكن في غياب الاستقلال الاقتصـادي فيـؤدي إلي لـوم الأعـداء و سـيطرتهم على البـلاد و تقويض الاسـتقلال السـياسي. لِذلِكَ فَإِنَّ اسـتِقلاليةَ المُجتَمَعِ وَ تَطَـوُرَهُ الاقتصادي عامل مُهِم فِي الاِسـتقلالِ السِّـياسي لِلمُجتَمَعِ الإسلامي وَ ازدِهارِهِ، وَ هُوَ ما يُمكِن تَحقُقه وفقَ الاِسـتراتيجياتِ المُعَبَر عَنهـا فِي التَّعاليمِ الدِّينيةِ. وَ تَجدُر الإِشـارةُ إلى أَنَّ الاِسـتقلالَ الاِقتِصادي يَعودُ إِلَى الجُهود الشّامِلَةِ لِلأَفرادِ فِي المُجتَمَـعِ. يُمكِـنُ لِأفراد المُجتَمَـع أَن يَلعَبوا دَورا فِي الاِسـتِقلالِ الاِقتِصادي.

١- المصدر نفسه: الدعاء الثامنة.

عِندَما يَتَجه أفرادُ المُجتَمَع إلى استِهلاك السِّلَع المَحَلية وَ يتَجَنبَون عَن استِهلاك السِلَع المهربةِ وَ الأَجنبيةِ، فَإنّ الإنتاجَ المَحَلي سَيزدَهَر تلقائيًا. عِندَما يَلتَزم المَسؤولونَ بالعَدالَة الاقتِصاديَة وَ إذا لَم يُميزوا في استِخدام الخزانَة فَسَوفَ يَختَفي الفَقر و الفَوارق الطَبَقية، فَسوفَ تَختَفي العَديد مِنَ الخَسائر الاقتِصادية عِندَما يَتم تَنفيذ الثقافة الدينية في استِخدام الخزانَة. يُمكِن أَن يُوَفِر التَخطيط الاقتِصادي السَّليم وَ الشّامِل غايةً لِلاقتِصاد الإسلامي وَ هِيَ اقتِصاد صِحي وَ نَشيط وَ قوي وَ مُستَقَل وَ هذا الاَمرُ يُساعِدُ عَلَى تَحَقُق الأَمن الاقتِصادي.

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قُتِّرَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ:

(١) اللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَلَيْتَنَا فِي أَرْزَاقِنَا بِسُوءِ الظَّنِّ، وَ فِي آجَالِنَا بِطُولِ الْأَمَلِ حَتَّى الْتَمَسْنَا أَرْزَاقَكَ مِنْ عِنْدِ الْمَرْزُوقِينَ، وَ طَمِعْنَا بِآمَالِنَا فِي أَعْمَارِ الْمُعَمَّرِينَ. (٢) فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ هَبْ لَنَا يَقِيناً صَادِقاً تَكْفِينَا بِهِ مِنْ مَئُونَةِ الطَّلَبِ، وَ أَلْهِمْنَا ثِقَةً خَالِصَةً تُعْفِينَا بِهَا مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ (٣) وَ اجْعَلْ مَا صَرَّحْتَ بِهِ مِنْ عِدَتِكَ فِي وَحْيِكَ، وَ أَتْبَعْتَهُ مِنْ قَسَمِكَ فِي كِتَابِكَ، قَاطِعاً لِاهْتِمَامِنَا بِالرِّزْقِ الَّذِي تَكَفَّلْتَ بِهِ، وَ حَسْماً لِلِاشْتِغَالِ بِمَا ضَمِنْتَ الْكِفَايَةَ لَهُ (٤) فَقُلْتَ وَ قَوْلُكَ الْحَقُّ الْأَصْدَقُ، وَ أَقْسَمْتَ وَ قَسَمُكَ الْأَبَرُّ الْأَوْفَى: وَ فِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ.(٥) ثُمَّ قُلْتَ فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ.

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَعُونَةِ عَلَى قَضَاءِ الدَّيْنِ:

(١) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ هَبْ لِيَ الْعَافِيَةَ مِنْ دَيْنٍ تُخْلِقُ بِهِ وَجْهِي، وَ يَحَارُ فِيهِ ذِهْنِي، وَ يَتَشَعَّبُ لَهُ فِكْرِي، وَ يَطُولُ بِمُمَارَسَتِهِ

شُغْلي (٢) وَ أَعُوذُ بِكَ، يَا رَبِّ، مِنْ هَمِّ الدَّيْنِ وَ فِكْرِهِ، وَ شُغْلِ الدَّيْنِ وَ سَهَرِهِ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَعِذْنِي مِنْهُ، وَ أَسْتَجِيرُ بِكَ، يَا رَبِّ، مِنْ ذِلَّتِهِ فِي الْحَيَاةِ، وَ مِنْ تَبِعَتِهِ بَعْدَ الْوَفَاةِ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَجِرْنِي مِنْهُ بِوُسْعٍ فَاضِلٍ أَوْ كَفَافٍ وَاصِلٍ. (٣) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ احْجُبْنِي عَنِ السَّرَفِ وَ الِازْدِيَادِ، وَ قَوِّمْنِي بِالْبَذْلِ وَ الِاقْتِصَادِ، وَ عَلِّمْنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ، وَ اقْبِضْنِي بِلُطْفِكَ عَنِ التَّبْذِيرِ، وَ أَجْرِ مِنْ أَسْبَابِ الْحَلَالِ أَرْزَاقِي، وَ وَجِّهْ فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ إِنْفَاقِي، وَ ازْوِ عَنِّي مِنَ الْمَالِ مَا يُحْدِثُ لِي مَخِيلَةً أَوْ تَأَدِّياً إِلَى بَغْيٍ أَوْ مَا أَتَعَقَّبُ مِنْهُ طُغْيَاناً. (٤) اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَاءِ، وَ أَعِنِّي عَلَى صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ (٥) وَ مَا زَوَيْتَ عَنِّي مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ فَاذْخَرْهُ لِي فِي خَزَائِنِكَ الْبَاقِيَةِ (٦) وَ اجْعَلْ مَا خَوَّلْتَنِي مِنْ حُطَامِهَا، وَ عَجَّلْتَ لِي مِنْ مَتَاعِهَا بُلْغَةً إِلَى جِوَارِكَ وَ وُصْلَةً إِلَى قُرْبِكَ وَ ذَرِيعَةً إِلَى جَنَّتِكَ، إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَ أَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ.

الفصل الثامن
الخصائص الاجتماعية للحياة الطيبة

الإنسان كائن اجتماعي وحضوره في المجتمع هو أحد احتياجاته الأساسية. إن دين الإسلام هو الدين الوحيد الذي وضع أساس دعوته للمجتمع بشكل واضح، ولم يهمل المجتمع في أي شيء من شؤونه. لقد سكب الإسلام جميع قواعده في صورة المجتمع، ونفخ روح المجتمع في كل هذه القواعد إلى أقصى حد ممكن.[١] وعلى هذا الأساس فقد ذكر بعض

١. الطباطبائي، محمد حسين، العلاقات الاجتماعية في الإسلام، ص٧-٨.

الأمـور في اتجـاه تقدم المجتمع ودفعه نحو كمال وسـعادة الدنيا والآخرة. قـد شرح في هذا الفصل أهم الخصائص الاجتماعية للحياة الصالحة، والتي لهـا أهمية كبيرة في بناء مجتمع مرغوب ومزدهر وفي هذا الصدد تم تحليل ودراسة أهمية كل منهما بحسب أدعية الإمام السجاد في الصحيفة السجادية المذكورة أدناه.

التعاون الاجتماعي في أعمال الخير

يعـد التعـاون من أهم الشروط التـي يحتاجها المجتمع الناجـح. في الثقافة الإسلامية يعد التعاون على الخير من سمات الحياة الاجتماعية: «**وَتَعَاوَنُوا عَـلَى الْـبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَـلى الْإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّـهَ شَـدِيدُ الْعِقَـابِ**[1]» إنّ الدعـوة إلى التعـاون التـي تؤكّـد عليها الآية الكريمة تعتبر مبدأ إسلاميا عاما، تدخل في إطاره جميع المجالات الاجتماعية و الأخلاقية و السياسية و الحقوقية و غيرها و قد أوجبت هذه الدعوة على المسـلمين التعـاون في أعمـال الخير، كمـا منعتهم و نهتهم عـن التعاون في أعمال الشرّ و الإثم اللّذين يدخل إطارهما الظلم و الاسـتبداد و الجور بكل أصنافها. و يأتي هذا المبدأ الإسـلامي تماما على نقيض مبدأ سـاد في العصر الجاهلي، و ما زال يطبق حتى في عصرنا الحاضر، و هو المبدأ القائل: «انصر أخـاك ظالمـا أو مظلومـا»، و كان في العـصر الجاهلي إذا غـزت جماعة من إحـدى القبائل جماعـة من قبيلة أخرى، هب أفراد القبيلـة الغازية لموازرة الغازيـن بغـض النظـر عمّـا إذا كان الغزو لغرض عـادل أو ظالم، و نرى في وقتنـا الحـاضر- أيضا- آثار هـذا المبدأ الجاهلي في العلاقـات الدولية، و بالـذات لـدى الدول المتحالفة حين تهب في الغالـب لحماية بعضها البعض،

١. المائدة/٢.

و التضامـن و التعاون معا حيال القضايـا الدولية دون رعاية لمبدأ العدالة و دون تمييـز بـين الظالم و المظلوم: لقد ألغى الإسـلام هـذا المبدأالجاهلي، و دعـى المسـلمين إلى التعاون في أعمال الخير و المشـاريع النافعة و البناءة فقـط، و نهى عن التعـاون في الظلم و العدوان.و الطريق في هذا المجال هو مجيء كلمتي «البر» و «التقوى» معا و على التوالي في الآية، حيث أنّ الكلمة الأولى تحمل طابعا إيجابيا و تشـير الى الأعمال النافعة، و الثانية لها طابع النهي و المنع و تشير إلى الامتناع عن الأعمال المنكرة- و على هذا الأساس- أيضـا- فـإن التعاون و التآزر يجب أن يتمّ سـواء في الدّعوة إلى عمل الخير، أو في مكافحة الأعمال المنكرة.و قد اسـتخدم الفقه الإسـلامي هذا القانون في القضايـا الحقوقية، حيث حرّم قسـما من المعامـلات و العقود التجارية التـي فيها طابع الإعانـة على المعاصي أو المنكرات، كبيع الأعناب إلى مصانع الخمور أو بيع السـلاح إلى أعداء الإسـلام و أعداء الحق و العدالة، أو تأجير محل للاكتسـاب لتمارس فيه المعامـلات غير الشرعية و الأعمال المنكرة (و بديهي أن لهذه الأحكام شروطا تناولتها كتب الفقه الإسلامي بالتوضيح). إنّ إحياء هذا المبدأ لدى المجتمعات الإسـلامية، و تعاون المسـلمين في أعمال الخير و المشاريع النافعة البناءة دون الاهتمام بالعلاقات الشخصية و العرقية و النسبية، و الامتناع عن تقديم أي نوع من التعاون إلى الأفراد الذين يمارسون الظلـم و العـدوان، بغض النظـر عن تبعية أو انتمائية الفئـة الظالمة، كل ذلك من شأنه أن يزيل الكثير من النواقص الاجتماعية.أمّا في العلاقات الدولية، فلو امتنعـت دول العالم عن التعاون مع كل دولة معتدية- أيّا كانت- لقضي بذلك عـلى جذور العدوان و الاسـتعمار و الاسـتغلال في العالـم، و لكن حين ينقلب الوضـع فتتعـاون الدول مع المعتدين و الظالمين بحجّـة أنّ مصالحهم الدولية

تقتضي ذلك، فلا يمكن توقع الخير أبدا من وضع كالذي يسود العالم اليوم.[١]

في الحياة العلمية والعملية للمعصومين (عليهم السلام) يظهر التعاون والتعاضد على الخير. عن البراء بن عازب يقول: رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم ينقل التراب يوم الخندق حتى وارى التراب شعر صدره.[٢]

يقول الامام محمد الباقر (عليه السلام) عن أهمية تعاطف المؤمنين ووحدتهم مع بعضهم البعض: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يُغْرِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَمْ يَرْجِعْ أَحَدُهُمْ عَنْ دِينِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ اسْتَلْقَى عَلَى قَفَاهُ وَ تَمَدَّدَ ثُمَّ قَالَ فُزْتُ فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَلَّفَ بَيْنَ وَلِيَّيْنِ لَنَا يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ تَأَلَّفُوا وَ تَعَاطَفُوا**»[٣] يقول الامام الصادق (عليه السلام) في شأن جماعة المؤمنين: «**مَا اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَصَاعِداً إِلَّا حَضَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِثْلُهُمْ فَإِنْ دَعَوْا بِخَيْرٍ أَمَّنُوا وَ إِنِ اسْتَعَاذُوا مِنْ شَرٍّ دَعَوُا اللَّهَ لِيَصْرِفَهُ عَنْهُمْ وَ إِنْ سَأَلُوا حَاجَةً تَشَفَّعُوا إِلَى اللَّهِ وَ سَأَلُوهُ قَضَاءَهَا**»[٤]

إن التعاون والتعاضد على الأهداف الطيبة هو أحد الأسس الأساسية لصيانة المجتمع وتقدمه، وهو ما أكدت عليه تعاليم الإسلام. في الدعاء السادس يسأل الإمام السجاد(عليه السلام) الله التوفيق في اعمال الخير ويقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ وَفِّقْنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا وَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ وَ فِي جَمِيعِ أَيَّامِنَا لِاسْتِعْمَالِ الْخَيْرِ، وَ هِجْرَانِ الشَّرِّ، وَ شُكْرِ النِّعَمِ، وَ اتِّبَاعِ السُّنَنِ، وَ مُجَانَبَةِ الْبِدَعِ، وَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ حِيَاطَةِ الْإِسْلَامِ، وَ انْتِقَاصِ الْبَاطِلِ وَ إِذْلَالِهِ،**

---

١. المكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج٣، ص ٥٨١.
٢. الحسينى الفيروزآبادى، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة، ج ١، ص ١٧١.
٣. الكليني، الكافى، ج ٢، ص ٣٤٥.
٤. المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٧.

وَ نُصْرَةِ الْحَقِّ وَ إِعْزَازِهِ، وَ إِرْشَادِ الضَّالِّ، وَ مُعَاوَنَةِ الضَّعِيفِ، وَ إِدْرَاكِ اللَّهِيفِ»[1] قد وردت في هذه العبارات نقاط مهمة، وهي تشير إلى التعاون والمساعدة في الشؤون الاجتماعية في مجال الخير، وهذه الأمور تجلب الصحة والرخاء للمجتمع.

أولا: لقد استخدم الإمام ضمير الجمع في هذه الأدعية واستخدمه بصيغة متكلم مع الغير، مما يدل على نجاح الطلب الجماعي، وليس الفردي.

ثانياً: أن يكون محور التعاون في الخير والابتعاد عن الشر. عبارات «**لِاسْتِعْمَالِ الْخَيْرِ، وَ هِجْرَانِ الشَّرِّ**» تشير إلى هذا الأمر.

ثالثاً: أن يكون التعاون والمساعدة الاجتماعية في اتجاه اتباع السنن الحميدة، والابتعاد عن البدع؛ و عبارات «**وَ اتِّبَاعِ السُّنَنِ، وَ مُجَانَبَةِ الْبِدَعِ**» تشير إلى هذا الموضوع.

رابعاً: مسألة الامر بالمعروف و النهي عن المنكر في الشؤون الاجتماعية، وهي مذكورة في باب خاص بها.

خامساً: أن يكون التعاون والتعاضد على نصر الحق وإعلائه، ومواجهة الباطل وتدميره؛ عبارات «**وَ انْتِقَاصِ الْبَاطِلِ وَ إِذْلَالِهِ، وَ نُصْرَةِ الْحَقِّ وَ إِعْزَازِهِ**» تدل على ذلك. **سادساً:** التعاون والتعاضد يجب أن يساعد المظلومين والمستضعفين، عبارات «**وَ مُعَاوَنَةِ الضَّعِيفِ، وَ إِدْرَاكِ اللَّهِيفِ**» تشير إلى هذا الامر. إن كلمة لهيف من أصل لهف، وقد كتب ابن منظور عن هذه الكلمة هكذا: «لَهِفَ، بِالْكَسْرِ، يَلْهَفُ لَهَفاً أَي حَزِن وتحسَّر، وَكَذَلِكَ التَّلَهُّف عَلَى الشَّيْءِ. وَقَوْلُهُمْ: يَا لَهْفَ فُلَانٍ كَلِمَةٌ يُتحسَّر بِهَا

١. الصحيفة السجادية، الدعاء السادس.

عَـلَى مَا فَاتَ؛ وَرَجُلٌ لَهِف ولَهِيف»[١] وكذا كتب الطريحي أيضا: «الملهوف: المظلوم المستغيث. ومنه " إغاثة الملهوف ". واللاهف واللهفان: المضطرب يستغيث ويتحسر.»[٢] لكن العبارة الأخيرة تعني التعاون الاجتماعي في مساعدة المظلومين. لذلك فإن التعاون والمساعدة على الخير في المجتمع هو من أهم احتياجات المجتمع الأساسية، التي يمكن أن تساعد على ازدهار المجتمع وتنمية الخير وزوال الامور الباطلة من المجتمع.

الاستشارة وأثرها في الحياة الفردية والاجتماعية

إن الشورى والتوافق في الأمور الشخصية والاجتماعية من الخصائص الاجتماعية للحياة الإسلامية، والتي لها دور مهم في نمو المجتمع وتطوره. كثير من الفاشلين في الحياة كانوا معتدين على أنفسهم ولم يتشاوروا مع من يملك سلطة التشاور. كما أن القرآن الكريم يوضح هذا الأمر المهم بشكل جيد، ومن ذلك هذه الآية المباركة التي تقول: «**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**»[٢] عبارة «**وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**» و هذا توجيه عمليّ آخر يوجّه به اللّه رسوله، و يوجّه الأمّة من خلاله، و هو مبدأ المشاورة في الأمور التي تمس حياتهم و حياة الإسلام بشكل عام في ما يريد أن يقوم به الرسول من عمل، أو يقرّره من قرار، أو يخطط له من وسائل و أهداف في حالة السلم و في حالة الحرب، ليحقّق من خلال ذلك أمرين تربويين عمليين في حركة العاملين في الحياة:

١. ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٣٢٢.
٢. الطريحي، مجمع البحرين، ج٤، ص١٤٦.
٢. آل عمران/ ١٥٩.

الأوّل:

التخطيط للسلوك الفردي و الاجتماعي على أساس الابتعاد عن الاستبداد بالرأي في اتخاذ المواقف الحاسمة و القرارات المصيريّة، و التأكيد على أن يرجع الإنسان إلى فكر الآخرين الذين يملكون الفكر السليم فيحاورهم و يناقشهم و يستشيرهم في كل خطوة من خطوات العمل، ثم يرجع إلى فكره ليقارن بين الآراء و يدرس كل واحد منها بمفرده بهدوء و موضوعية، لينتهي إلى النتيجة الأخيرة بطريقة فكريّة سليمة، فيعمل على أساسها بقوّة و ثبات.

الثاني:

إعداد الأمّة التي تمثل القاعدة الواسعة لتفكر مع القيادة في كل ما تريد القيادة أن تقوم به من خطط و مشاريع، لتعرف- من موقع الفكر- كيف يكون التحرك و أين تقع الوسيلة من خط الهدف، فتتابع القرارات من بدايتها بوعي و تأمل و تركيز، و تتدرّب- بذلك- على ممارسة الدور القيادي في المرحلة الفكرية، من أجل أن تعدّ نفسها لاستلام القيادة في حالات الفراغ بكفاءة و قدرة على اتخاذ القرارات و تخطيط المواقف، و تتعلم كيف تراقب خطوات القيادة غيرلمعصومة، أو ترصد قراراتها، لئلا تنحرف أو تغفل أو تخون، فتكون بالمرصاد لها من بداية الطريق، قبل أن تتعقد المشكلة و يستفحل الأمر في نهايته، و بذلك يصعب على القيادات المنحرفة التي قد تفرض نفسها على الساحة في المستقبل، أن تمارس حريتها في التلاعب بمقدرات الأمة و اللعب على عواطفها و مشاعرها بالكلمات المبهمة، لأن الأمّة قد أعدّت لترصد الحكم في عمليّة محاكمة و مناقشة على أساس تحصيل القناعة من قاعدة الحجة و البرهان المتمثل بحركة الحوار الفكري.و تلك هي عظمة التربية الإسلامية التي توحي للقادة، و إن كانوا في مستوى رسول اللّه صلّى اللّه

عليه و آله و سلم الذي لا يحتاج إلى فكر أحد، بأن يبحثوا عن القاعدة التي تفكر و تقتنع لتطيع من خلال ذلك، لا عن القاعدة التي تطيع من دون فهم و وعي، و ذلك كوسيلة مثلي من وسائل التحضير العملي لقيادات المستقبل من بين أفراد القاعدة.[١]

إحدى النتائج المهمة للتشاور هي كسب ثقة الجمهور. بالتشاور يرى الناس أنفسهم شركاء في تقرير مصيرهم.[٢] في تعاليم الدين فإن الشورى هي خير سند وحارس لأفراد المجتمع. إذ إن اختيار الطريق الصحيح من قبل الأمة قد أدخل في ظلال الشورى.[٣] يقول الامام الحسين (عليه السلام) في هذا الشأن: «**مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ إِلَّا هُدُوا إِلَى رُشْدِهِم**»[٤] في الروايات الإسلامية، بالإضافة إلى التأكيد على أهمية الشورى وآثارها فقد وردت أيضاً عن نوع الشورى وشروط المستشار؛ يقول الامام علي (عليه السلام) في هذا الشأن: «**لَا تَسْتَشِرِ الْكَذَّابَ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ وَ يُبَعِّدُ عَلَيْكَ [إِلَيْكَ] الْقَرِيب**».[٥]

يشير الإمام السجاد في الدعاء السادس والعشرين عن حقوق الجيران إلى أن من واجبات المؤمن الشرعية تجاه جيرانه، وهي النصح والمشورة لمن يحتاج إلى النصيحة. يقول عن هذا: «**وَ وَفِّقْهُمْ لِإِقَامَةِ سُنَّتِكَ، وَ الْأَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ فِي إِرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ، وَ سَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَ عِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَ هِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَ مُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وَ تَعَهُّدِ قَادِمِهِمْ،**

١. فضل الله، من وحي القران، ج٦، ص ٣٤٤.
٢. كمالي دزفولي، القرآن وبناء المجتمع، ص٤٢٤.
٣. الحرّانى، تحف العقول، ص ٢٣٣.
٤. المصدر نفسه.
٥. الآمدي، تصنيف غررالحكم و دررالكلم، ص٤٤٢.

وَ كِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ، وَ سَتْرِ عَوْرَاتِهِمْ، وَ نُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَ حُسْنِ مُوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونِ، وَ الْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَةِ وَ الْإِفْضَالِ، وَ إِعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ»[1] في عبارة «**مُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ**» وردت نقاط مهمة؛ وكلمة مناصحة مشتقة من نصح، والنصح يعني المساعدة على الخير. كتب ابن منظور عن هذه الكلمة: «النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ جُمْلَةٍ هِيَ إِرادة الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، فَلَيْسَ يُمْكِنُ أَن يُعَبَّرَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَجْمَعُ مَعْنَاهَا غَيْرُهَا. وأَصل النُّصْحِ: الْخُلُوصُ. وَمَعْنَى النصيحة لله: صِحَّةُ الِاعْتِقَادِ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ وإِخلاص النِّيَّةِ فِي عِبَادَتِهِ. وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ: هُوَ التَّصْدِيقُ بِهِ وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ. وَنَصِيحَةُ رَسُولِهِ: التَّصْدِيقُ بِنُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ وَالِانْقِيَادُ لِمَا أَمر بِهِ وَنُهِيَ عَنْهُ. وَنَصِيحَةُ الأَئمة: أَن يُطِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ وَلَا يَرَى الْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ إِذا جَارُوا. وَنَصِيحَةُ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ: إِرشادهم إِلى الْمَصَالِحِ»[2] قد ذكر الإمام نقطة مهمة حول الشورى في هذا الدعاء، وذلك المهم هو الشورى والمشورة مع الخير؛ بحيث ينبغي لمن يحتاج إلى النصيحة أن يُنصح إليه بالإحسان والخير ويُرشده إلى الطريق الصحيح. يشير الإمام السجاد(عليه السلام) في رسالته الشرعية إلى تفاصيل أكثر في الاستشارة وآدابها وشروط النصيحة والمشورة فيقول: **«وَ أَمَّا حَقُّ الْمُسْتَشِيرِ فَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ رَأْياً حَسَناً أَشَرْتَ عَلَيْهِ وَ إِنْ لَمْ تَعْلَمْ لَهُ أَرْشَدْتَهُ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ»**[3] وعن حق المستشار ذكر أيضاً العادات والقوانين: **«وَ حَقُّ الْمُشِيرِ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَتَّهِمَهُ فِيمَا لَا يُوَافِقُكَ**

---

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٦.

٢. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٦١٦.

٣. الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج٢، ص٦٢٤.

مِنْ رَأْيِهِ وَ إِنْ وَافَقَكَ حَمِدْتَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ»[1] إن الاهتمام بهذه الأمور في المجال الاجتماعي يمكن أن يساعد على تنمية النصح والمشورة الجيدة، وزيادة استشارة في الأمور الجيدة في المجتمع، مما يؤدي إلى المساعدة على فعل الصواب والخير في المجتمع؛ وسيجعل الناس يتخذون القرار الصحيح في القضايا الحساسة مع التشاور، وسيكون هذا عاملاً في رسم المجتمع المرغوب فيه.

الامر بالمعروف و النهي عن المنكر

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الموضوعات التي ثبت في مجال المجتمع وصحته. تشير عدة آيات من القرآن الكريم إلى اهمية هذه الفريضة؛ منها: ١- «**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ**»[2]؛ إنّ قيمة كل أمّة بالنسبة إلى الأمم الأخرى، هي في المبادئ التي تؤمن بها وفي الدور الكبير الذي تقوم به في حياة الناس. وعلى هذا الأساس جاءت هذه الآية لتؤكد أفضلية الأمة الإسلامية على سائر الأمم، لا من خلال الجانب الذاتي الذي يقوم على تفضيل شعب على شعب لصفاته الذاتية، أو لامتيازات غيبية خاصة كما هو شأن اليهود في اعتقادهم بأنهم شعب اللّه المختار، بل من خلال الدور الذي أنيط بها في تغيير الواقع الفاسد بكل الوسائل الممكنة، سواء كان ذلك بالإقناع القائم على أساس المحبة، أو بالقوّة التي تحطّم الحواجز التي يقيمها الآخرون أمام حرية الإسلام في الدعوة، أو التي تواجه التمرد

---

١. المصدر نفسه.

٢. آل عمران/ ١١٠.

المنحـرف الذي يقـوم به الأفراد في المجتمعات الإسـلامية، فهـي أمّة قائدة لمجتمعهـا و مجتمعات الآخرين من حيـث الدور الذي أنيط بها.[١]

٢- «**وَ لْتَكُـنْ مِنْكُـمْ أُمَّـةٌ يَدْعُـونَ إِلَى الْخَـيْرِ وَ يَأْمُـرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنْكَـرِ وَ أُولئِكَ هُـمُ الْمُفْلِحُون**»[٢]

بعـد الآيـات السـابقة التي حثت على الأخـوة والاتحاد جاءت الإشـارة -في الآية الأولى من الآيتين الحاضرتين- إلى مسـألة «الأمر بالمعروف» و «النهي عـن المنكـر» اللذين هما -في الحقيقة- بمثابة غطاء وقائي اجتماعي لحماية الجماعـة وصيانتهـا، إذ تقـول «**وَ لْتَكُـنْ مِنْكُـمْ أُمَّـةٌ يَدْعُـونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُـرُونَ بِالْمَعْـرُوفِ وَ يَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنْكَـرِ وَأُولئِكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ**»؛ لأن فقـدان «الأمر بالمعـروف» و«النهي عن المنكر» يفسـح المجال للعوامل المعادية للوحدة الاجتماعية بأن تنخرها من الداخل، وتأتي على كلّ جذورها كمـا تفعـل الأرضة، وأن تمزق وحدة الأمة و تفـرق جمعها، و لهذا فلا بدّ مـن مراقبـة مسـتمرة و رعاية دائمة لهذه الوحـدة، و لا يتم ذلك إلّا بالأمر بالمعـروف، والنهـي عـن المنكر. و هذه الآيـة تتضمن دسـتورا أكيدا للأمة الإسلامية بأن تقوم بهاتين الفريضتين دائما، وأن تكون أمة آمرة بالمعروف ناهيـة عـن المنكر أبدا لأن فلاحها رهن بذلـك.[٣] ولذلك فإن الآية المباركة تعبر عن نتيجة الأمر المعروف وهي الوصول إلى النجاح والنجاة؛ بمعنى أن نتيجـة هذه الفريضة تصل إلى من يقـوم بها في الآخرة كما في الدنيا.

في المجـال الاجتماعـي يسـأل الإمـام السـجاد اللـه التوفيـق لفعـل الامـر

١. فضل الله، من وحى القرآن، ج٦، ص: ٢١٣.
٢. آل عمران/ ١٠٤.
٣. المكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج٢، ص ٦٢٨.

بالمعـروف والنهـي عن المنكـر و يقول: «**اللَّهُمَّ صَـلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَ آلِهِ، وَ وَفِّقْنَـا فِي يَوْمِنَـا هَـذَا وَ لَيْلَتِنَا هَـذِهِ وَ فِي جَمِيعِ أَيَّامِنَا لِاسْـتِعْمَالِ الْخَـيْرِ، وَ هِجْـرَانِ الشَّرِّ، وَ شُـكْرِ النِّعَـمِ، وَ اتِّبَاعِ السُّـنَنِ، وَ مُجَانَبَةِ الْبِـدَعِ، وَ الْأَمْـرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَ النَّهْـيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ حِيَاطَةِ الْإِسْـلَامِ، وَ انْتِقَـاصِ الْبَاطِـلِ وَ إِذْلَالِـهِ، وَ نُـصْرَةِ الْحَـقِّ وَ إِعْـزَازِهِ، وَ إِرْشَـادِ الضَّـالِّ، وَ مُعَاوَنَةِ الضَّعِيفِ، وَ إِدْرَاكِ اللَّهِيفِ**»[1] في هذه العبارات التي يعـبر عنها بكلمة الجمع يعني أن الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة اجتماعية يجب على الجميع الالتزام بها. كما يشير الإمام إلى منهج القلبي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقول: «**وَ أَشْـعِرْ قَلْبِيَ الِازْدِجَارَ عَنْ قَبَائِـحِ السَّـيِّئَاتِ، وَ فَوَاضِحِ الْحَوْبَاتِ**»[2] يشـير الإمام في هذا الخطاب إلى قاعدة مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وهو اشـمئزاز القلب من السـيئات. قد عرّف الإمام السـجاد من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر بأنـه تارك القرآن، فيقول: «**التـارك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر كنابذ كتاب الله وراء ظهره إلا أن يتقي تقاة قلت و ما تقاته قال يخاف جبارا عنيدا أن يفرط عليه أو أن يطغى.**»[3] ذلك لأن القرآن الكريم نزل على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث قد بين فيه الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر بأبعاد مختلفـة؛ ومن ترك هذا الواجب فكأنه لم يتبع مضمون القرآن وتركه. يعتقد الإمام السجاد إن من أسباب البـلاء تـرك المعروف والنهي عـن المنكر فيقـول: «**وَ الذُّنُوبُ الَّتِـي تُنْزِلُ الْبَـلَاءَ تَـرْكُ إِغَاثَـةِ الْمَلْهُوفِ وَ تَـرْكُ مُعَاوَنَةِ الْمَظْلُـومِ وَ تَضْيِيعُ الْأَمْرِ**

١. الصحيفة السجادية، الدعاء السادس.
٢. نفس المصدر، الدعاء ٤٧.
٣. الحراني، تحف العقول، ج٢، ص١٠٣.

بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ»[1] ذلك لأن ترك المعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى انتشار المنكرات والمعاصي والأضرار الاجتماعية، ويصيب المجتمع بالانحطاط والإثم والضلال. إن عدم مبالاة أفراد المجتمع بهذه الخطايا في المجتمع يجعل المجتمع يستحق العقاب الإلهي ويجب أن يشمل هذا العقاب كل من استهان بهذا الواجب الإلهي. يشير الإمام أيضاً إلى المناهج السلوكية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بحيث أنه حتى في السلوك لا يجب أن تكون لديه علاقة مع أولئك الذين يفعلون أشياء سيئة؛ يقول الإمام بالإشارة إلى القرآن الكريم: «**لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْعُدَ مَعَ مَنْ شِئْتَ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى يَقُولُ إِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَ إِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِمَا شِئْتَ لِأَنَّ اللَّه تَعَالَى قَالَ وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ وَ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً قَالَ خَيْراً فَغَنِمَ أَوْ صَمَتَ فَسَلِمَ وَ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَسْمَعَ مَا شِئْتَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلا**»[2] كل هذه الحالات تشير إلى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومكانتهما في صحة المجتمع وسعادته.

حل مشاكل الآخرين

من أهم آثار الحياة الاجتماعية معالجة مشاكل الناس واحتياجاتهم؛ وفي التعاليم الدينية يتم التأكيد على حل مشاكل الناس وعدم الاكتراث بهم. إن المسلمين الذين يعيشون معًا يتمتعون بحق وحقوق تجاه بعضهم

١. الصدوق، معاني الاخبار، ص٢٧١.
٢. الصدوق، علل الشرايع، ج٢، ص٦٠٦.

البعض، ويجب عليهم مراعاتها. إن احترام هذه الحقوق يضيف إلى حيوية وديناميكية الحياة الاجتماعية ويصبح التعاطف هو السمة الرئيسية لذلك المجتمع. ذكر الامام الصادق (عليه السلام) سبعة حقوق في بيان حقوق المسلمين بعضهم لبعض: «**عَنْ مُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قُلْتُ لَهُ مَا حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ قَالَ لَهُ سَبْعُ حُقُوقٍ وَاجِبَاتٍ مَا مِنْهُنَّ حَقٌّ إِلَّا وَ هُوَ عَلَيْهِ وَاجِبٌ إِنْ ضَيَّعَ مِنْهَا شَيْئاً خَرَجَ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ وَ طَاعَتِهِ وَ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ فِيهِ مِنْ نَصِيبٍ قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ وَ مَا هِيَ قَالَ يَا مُعَلَّى إِنِّي عَلَيْكَ شَفِيقٌ أَخَافُ أَنْ تُضَيِّعَ وَ لَا تَحْفَظَ وَ تَعْلَمَ وَ لَا تَعْمَلَ قَالَ قُلْتُ لَهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ أَيْسَرُ حَقٍّ مِنْهَا أَنْ تُحِبَّ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَ تَكْرَهَ لَهُ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ وَ الْحَقُّ الثَّانِي أَنْ تَجْتَنِبَ سَخَطَهُ وَ تَتَّبِعَ مَرْضَاتَهُ وَ تُطِيعَ أَمْرَهُ وَ الْحَقُّ الثَّالِثُ أَنْ تُعِينَهُ بِنَفْسِكَ وَ مَالِكَ وَ لِسَانِكَ وَ يَدِكَ وَ رِجْلِكَ وَ الْحَقُّ الرَّابِعُ أَنْ تَكُونَ عَيْنَهُ وَ دَلِيلَهُ وَ مِرْآتَهُ وَ الْحَقُّ الْخَامِسُ أَنْ لَا تَشْبَعَ وَ يَجُوعُ وَ لَا تَرْوَى وَ يَظْمَأُ وَ لَا تَلْبَسَ وَ يَعْرَى وَ الْحَقُّ السَّادِسُ أَنْ يَكُونَ لَكَ خَادِمٌ وَ لَيْسَ لِأَخِيكَ خَادِمٌ فَوَاجِبٌ أَنْ تَبْعَثَ خَادِمَكَ فَيَغْسِلَ ثِيَابَهُ وَ يَصْنَعَ طَعَامَهُ وَ يَمْهَدَ فِرَاشَهُ وَ الْحَقُّ السَّابِعُ أَنْ تُبِرَّ قَسَمَهُ وَ تُجِيبَ دَعْوَتَهُ وَ تَعُودَ مَرِيضَهُ وَ تَشْهَدَ جَنَازَتَهُ وَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ حَاجَةً تُبَادِرُهُ إِلَى قَضَائِهَا وَ لَا تُلْجِئُهُ أَنْ يَسْأَلَكَهَا وَ لَكِنْ تُبَادِرُهُ مُبَادَرَةً فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ وَصَلْتَ وَلَايَتَكَ بِوَلَايَتِهِ وَ وَلَايَتَهُ بِوَلَايَتِك.**»[1]

بالإضافة إلى ذلك يجب على المؤمنين أن يهتموا بمشاكل بعضهم البعض واحتياجاتهم ويحاولوا حل احتياجات الآخرين بقدر استطاعتهم،

١. الكليني، الكافي، ج٢، ص١٦٩.

وهي من علامات المؤمنين وصفاتهم. يقول الامام الصادق (عليه السلام) في أهمية قضاء حوائج المؤمنين وحل مشاكلهم: «**قَضَاءُ حَاجَةِ الْمُؤْمِنِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ حِجَّةٍ مُتَقَبَّلَةٍ بِمَنَاسِكِهَا وَ عِتْقِ أَلْفِ رَقَبَةٍ لِوَجْهِ اللَّهِ وَ حُمْلَانِ أَلْفِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسُرُجِهَا وَ لُجُمِهَا**»[1] وبالطبع هذا الجزاء للمؤمنين الذين يحاولون بإخلاص ورضا الله تعالى حل مشاكل المؤمنين الآخرين حتى أنهم يظهرون التضحية في بعض الحالات. يقول الامام محمد الباقر (عليه السلام) عن أهمية وأثر حل مشاكل الآخرين: «**أَيُّمَا مُؤْمِنٍ لَجَأَ إِلَيْهِ مَكْرُوبٌ فَقَضَى حَاجَتَهُ قَضَى اللَّهُ لَهُ ثَلَاثاً وَ سَبْعِينَ حَاجَةً اثْنَتَيْنِ وَ سَبْعِينَ حَاجَةً فِي الْآخِرَةِ وَ وَاحِدَةً فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّ أَدْنَى مَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ وَ مَالِهِ وَ أَهْلِهِ وَ وُلْدِهِ وَ إِنَّ أَدْنَى مَا يَكُونُ مِنَ الْآخِرَةِ أَنْ تُفَتَّحَ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَيُقَالَ لَهُ ادْخُلْ مِنْ أَيِّهَا شِئْتَ قَالَ أَيْنَ يَدْخُلُ إِلَيْنَا إِلَيْنَا**».[2]

قد أكد الإمام السجاد في مناسبات عديدة على أهمية حل مشاكل الآخرين ومساعدتهم. فالمؤمن لا يفكر في حل مشاكله فقط، بل يبذل قصارى جهده لحل مشاكل الآخرين ومساعدتهم بكل ما يستطيع. هكذا يدعو الإمام السجاد(عليه السلام) في حقوق جيرانه ومسامحتهم ومساعدتهم: «**وَ وَفِّقْنَا فِيهِ لِأَنْ نَصِلَ أَرْحَامَنَا بِالْبِرِّ وَ الصِّلَةِ، وَ أَنْ نَتَعَاهَدَ جِيرَانَنَا بِالْإِفْضَالِ وَ الْعَطِيَّةِ، وَ أَنْ نُخَلِّصَ أَمْوَالَنَا مِنَ التَّبِعَاتِ، وَ أَنْ نُطَهِّرَهَا بِإِخْرَاجِ الزَّكَوَاتِ، وَ أَنْ نُرَاجِعَ مَنْ هَاجَرَنَا، وَ أَنْ نُنْصِفَ مَنْ ظَلَمَنَا، وَ أَنْ نُسَالِمَ مَنْ عَادَانَا حَاشَى مَنْ عُودِيَ فِيكَ وَ لَكَ، فَإِنَّهُ الْعَدُوُّ الَّذِي**

---

١. الصدوق، الامالي، ص٢٣٧.

٢. ابن فتال النيشابوري، روضه الواعظين و بصيره المتعظين،ج٢، ص٣٨٨.

لَا نُوَالِيهِ، وَ الْحِزْبُ الَّذِي لَا نُصَافِيه»[1] يعتبر الإمام الاهتمام بحاجات الآخرين ومشاكلهم بمثابة الاهتمام بمشاكله وحاجاته، ويطلب ذلك من الله: **«وَ اجْعَلْنِي اللَّهُمَّ أَجْزِي بِالْإِحْسَانِ مُسِيئَهُمْ، وَ أُعْرِضُ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِمِهِمْ، وَ أَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ فِي كَافَّتِهِمْ، وَ أَتَوَلَّى بِالْبِرِّ عَامَّتَهُمْ، وَ أَغُضُّ بَصَرِي عَنْهُمْ عِفَّةً، وَ أُلِينُ جَانِبِي لَهُمْ تَوَاضُعاً، وَ أَرِقُّ عَلَى أَهْلِ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ رَحْمَةً، وَ أُسِرُّ لَهُمْ بِالْغَيْبِ مَوَدَّةً، وَ أُحِبُّ بَقَاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصْحاً، وَ أُوجِبُ لَهُمْ مَا أُوجِبُ لِحَامَّتِي، وَ أَرْعَى لَهُمْ مَا أَرْعَى لِخَاصَّتِي.»**[2] كما يدعو الإمام للجيران ويسأل الله أن يوفقهم في مساعدة الضعفاء. يقول هكذا في هذا الدعاء: **«وَ وَفِّقْهُمْ لِإِقَامَةِ سُنَّتِكَ، وَ الْأَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ فِي إِرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ، وَ سَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَ عِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَ هِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَ مُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وَ تَعَهُّدِ قَادِمِهِمْ، وَ كِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ، وَ سَتْرِ عَوْرَاتِهِمْ، وَ نُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَ حُسْنِ مُوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونِ، وَ الْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَةِ وَ الْإِفْضَالِ، وَ إِعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ»**[3] تعبر هذه الأدعية بشكل صحيح عن أهمية مساعدة الآخرين وحل مشاكلهم؛ ولهذا السبب فإن إحدى أهم فلسفات الحياة الاجتماعية والعيش معًا هي الاهتمام بمشاكل بعضنا البعض ومساعدة بعضنا البعض في الشدائد والصعوبات حتى لا يشعر الناس بالوحدة في الصعوبات والمشاق ولا يفقدون الأمل في الحياة.

الالتزام بالمعاهدات والاتفاقيات في العلاقات الاجتماعية

---

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٤.
٢. المصدر نفسه، الدعاء ٢٦.
٣. المصدر نفسه.

إن مسألة الوفاء بالوعود هي من أهم شروط الحياة الجماعية، وبدونها لا يكون التعاون الاجتماعي ممكنا؛ وبفقده سيفقد الإنسان عمليا الحياة الاجتماعية وآثارها. لهذا السبب تم التركيز بشكل كبير على هذه القضية في التعاليم الدينية، وربما قل ما انتشر إلى هذا الحد، لأنه بدونه سوف تجد الفوضى وانعدام الثقة العامة بين البشر، وهي أكبر كارثة اجتماعية؛ ومن أجل خلق ثقافة الأمانة والوفاء بالوعود في الحياة الشخصية والاجتماعية قدم القرآن الكريم هذه السمة المهمة للمؤمنين: «**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**»[١]؛ وفي موضع آخر يأمر بالوفاء بالعهد: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**»[٢]

في الروايات الإسلامية، فإن أهمية الحفاظ على العهود في المجتمع كبيرة لدرجة أن عدم الالتفات إلى هذا الأمر يعتبر كفرًا في الدين. يقول النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) في هذا الصدد: «**لَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَه**»[٣] كما أن قبول صالحات العباد في ظل الوفاء بالعهد؛ قد قال النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) في موضع آخر عن أهمية هذه المسألة: «**أَقْرَبُكُمْ مِنِّي فِي الْمَوْقِفِ غَداً أَصْدَقُكُمْ حَدِيثاً وَ آدَاكُمْ أَمَانَةً و أوفاكم بالْعَهْدِ وَ أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً وَ أَقْرَبُكُمْ إِلَى النَّاس**»[٤] يقول الإمام علي (عليه السلام) أيضاً عن أهمية ذلك: «**وَ إِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ [عَدُوٍّ لَكَ] عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ وَ ارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ وَ اجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ**

١. المومنون/٨.
٢. المائدة/١.
٣. المجلسي، بحارالانوار، ج٧٢، ص٩٦.
٤. المفيد، الأمالي، ص٦٧.

شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَ تَشَتُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَ قَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَ لَا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ وَ لَا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَ ذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ- وَ حَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَ يَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ فَلَا إِدْغَالَ وَ لَا مُدَالَسَةَ وَ لَا خِدَاعَ فِيهِ.»[1] كما أشار الإمام السجاد وأكد على أهمية الوفاء بالعهد في مختلف المواقف؛ وفي أهمية الوفاء بالوعد لله يدعو هكذا: «**وَ لَكَ- يَا رَبِّ- شَرْطِي أَلَّا أَعُودَ فِي مَكْرُوهِكَ، وَ ضَمَانِي أَنْ لَا أَرْجِعَ فِي مَذْمُومِكَ، وَ عَهْدِي أَنْ أَهْجُرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ.**»[2] إذا انعقد الإنسان عهداً مع الله بأنه لن يرتكب خطيئته ومخلصاً لعهده، فإن هذا الإخلاص للعهد مع الله سيجعل الإنسان لا يخطئ دائماً وفي كل مكان ويتجنب أي تصرفات غير لائقة؛ وهذا الوفاء بالعهد مع الله سيكون أساس كل العقود والعهود؛ لأن الإنسان عندما يعهد مع الله ويراه رقيبا له في كل الأحوال، لا يأثم عليه؛ ولهذا السبب لا ينقض العهد مع الناس ويفي بعهده مع الشعب. يقول الإمام السجاد عن أهمية الوفاء بالوعد: «**خَيْرُ مَفَاتِيحِ الْأُمُورِ الصِّدْقُ وَ خَيْرُ خَوَاتِيمِهَا الْوَفَاءُ**»[3] السبب في ذلك هو أهمية الوفاء بالوعد في الحياة الاجتماعية، فدون الاهتمام به والالتزام به لا تتم العديد من العلاقات الاجتماعية وتنتزع الثقة العامة من المجتمع. إن الوفاء بالعهد في الثقافة الإسلامية هو علاقة متبادلة بين مسؤولي المجتمع

١.نهج البلاغة، الرسالة ٥٣.

٢. الصحيفة السجادية، الدعاء ٣١.

٣. المجلسي، بحارالانوار، ج٧٥، ص١٦١.

والشعب، وكذلك أفراد المجتمع تجاه بعضهم البعض، والتي سيؤدي الاهتمام بها إلى رخاء المجتمع وصحته.

الوحدة والبعد عن التفرقة

إن من أهم المحاور الأساسية لبقاء المجتمع على طريق الكمال والسعادة هو الوحدة والتكامل والبعد عن الفرقة والنفاق. الوحدة والبعد عن الفرقة واجب عظيم ونعمة من الله. في الثقافة الإسلامية فإن الوحدة والتكامل المتمركزين حول الله هو عامل التفوق وكمال المجتمع. وفي المجتمع الذي يسود فيه الخلاف والتفرقة، ينبثق من ذلك المجتمع التقدم والازدهار والسلام؛ وعلى هذا الأساس تعتبر الوحدة والبعد عن التفرقة من أهم خصائص الثقافة الإسلامية. إن محور الوحدة في المجتمع يجب أن يكون الله كما قال الله: «**وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَميعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**»[1] وأما عن معني "حبل الله" في هذه الآية فقد وردت عدة أمثلة، كلها بالطبع تعود إلى حقيقة واحدة وفي بعض الأحاديث تفسير "حبل الله" لأهل البيت (عليهم السّلام)[2] وفي بعض الأحاديث تم تفسيره بالقرآن..[3] لكن في الحقيقة هما مثال ومصداق واحد؛ فإذا تم تفسير القرآن وتبيينه بشكل صحيح، سيتحدد موقف أهل البيت (عليهم السّلام) وسيعرف الناس قادتهم الحقيقيين ويطيعونهم،

---

١. آل عمران/١٠٣.

٢. العياشي، تفسير العياشي، ج١، ص١٩٤.

٣. الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص٥٤٥.

وهذا سيمنع أي خلافات وإذا رجع الناس إلى أهل البيت (عليهم السّلام) وقبلوا بإمامتهم، فإن أهل البيت (عليهم السّلام) في هذه الحالة سوف يفسرون القرآن كما أراده تعالى، ويقود الإنسان إلى مقصده. ولهذا فمن خلال ملاحظة اختلاف الآراء واختلاف المذاهب و وجود أديان ومدارس مختلفة في الرجوع إلى القرآن بعد وفاة الرسول الكريم، توصلنا إلى أن كل مدرسة ودين اعتبرت نفسها على حق في رجوعه إلى القرآن فأنكر الآخر، وهذا يدل على أن معني "حبل الله" لم يتحقق في هذا الصدد؛ لأن الاعتصام بحبل الله لا يسبب الفرقة وهذا يدل على أن القرآن له ثقل، وأن ثقله أهل البيت (عليهم السّلام) الذين يستطيعون تفسير القرآن على الوجه الذي أراده الله والنتيجة هي أنه لن تكون هناك خلافات بين الناس، وفي ظل قيادة أهل البيت(عليهم السّلام) موحدين ومتحدين وبمدرسة واحدة ومهنة واحدة سوف يسيرون على الطريق الصحيح.

يقول الامام علي (عليه السلام) عن أهمية الوحدة ومكانتها في المجتمع على قول النبي الكريم (صلى الله عليه وآله): «**فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ص يَقُولُ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَ الصِّيَام**»[1] وفي روايات أخرى جعل الوحدة عند الاختلاف أفضل الصدقة التي يحبها الله: «**صَدَقَةٌ يُحِبُّهَا اللَّهُ إِصْلَاحٌ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَ تَقَارُبٌ بَيْنِهِمْ إِذَا تَبَاعَدُوا**» [2] كانت مناظرات الإمام الرضا (عليه السلام) مع المذاهب الأخرى بما لا يؤدي إلى العواطف الدينية. كان دائما ينظر إلى وحدة المسلمين واجتماعهم.[3] إن أحد العوامل المهمة في وحدة وتكامل الأمة

١. نهج البلاغة، الوصية٤٧.
٢. الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٠٩.
٣. المجلسي، بحارالانوار، ج٨١، ص١٩٥.

الإسلامية هو قبول ولاية وإمامة أهل البيت (عليهم السلام)، تقول عنه السيدة الزهراء (سلام الله عليها): «**وَ طَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمِلَّةِ وَ إِمَامَتَنَا أَمَاناً لِلْفُرْقَةِ**»[1] قد أشار الإمام السجاد (عليه السلام) إلى أهمية الوحدة واجتناب التفرقة في كثير من الأحوال؛ وبعبارة أساسية ومهمة يسأل الله أن لا يجعله حليفاً للذين أعرضوا عن الله؛ وكذلك لا تفرقوه بين الذين اجتمعواواتحدوا في سبيل الله. كما يقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبِرْتُ، وَ أَقْوَى قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ، وَ لَا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ، وَ لَا الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ، وَ لَا بِالتَّعَرُّضِ لِخِلَافِ مَحَبَّتِكَ، وَ لَا مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَ لَا مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ.**»[2] هذا الدعاء يعبر عن مبدأ مهم ورئيسي، وهو أنه يعبر عن مركزية الوحدة والاجتماع كما يعبر عن التفرقة والانفصال، وذلك المبدأ الأساسي هو الله؛ بمعنى أن محور الوحدة والتكامل والالتقاء يجب أن يكون الله، ويكون الله هو المركز، ولقد منع أي انقسام وانفصال بالتركيز على الله؛ و عبارة «**وَ لَا مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَ لَا مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ.**» تدل على هذا. في مكان آخر يسأل الإمام السجاد (عليه السلام) الله التوفيق والوحدة بين الناس و يقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ حَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَ أَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وَ كَظْمِ الْغَيْظِ، وَ إِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَ ضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَ إِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَ سَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَ لِينِ الْعَرِيكَةِ، وَ خَفْضِ الْجَنَاحِ، وَ حُسْنِ السِّيرَةِ، وَ سُكُونِ الرِّيحِ، وَ طِيبِ الْمُخَالَقَةِ، وَ السَّبْقِ**

---

١. الطبرسي، الإحتجاج على أهل اللجاج، ج١ ، ص٩٩.
٢. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.

إِلَى الْفَضِيلَةِ، وَ إِيثَارِ التَّفَضُّلِ، وَ تَرْكِ التَّعْيِيرِ، وَ الْإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ، وَ الْقَوْلِ بِالْحَقِّ وَ إِنْ عَزَّ، وَ اسْتِقْلَالِ الْخَيْرِ وَ إِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَ فِعْلِي، وَ اسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَ إِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَ فِعْلِي، وَ أَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، وَ لُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَ رَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَ مُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.»[1] وكلمة **"ضَمِّ"** تعني الوصل والجمع؛ بمعنى أنه إذا حدث الانقسام والتفرقة بين الناس، فينبغي للمؤمن أن يحاول إزالة تلك التفرقة؛ لأن الفرقة والنفاق يسببان مشاكل كثيرة في الحياة الفردية والاجتماعية. في مجتمع لا توجد فيه وحدة، سيختفي السلام الفردي والاجتماعي ويصبح الشقاق والتفرقة وانعدام الأمن هي السمات الرئيسية لذلك المجتمع. لذلك فإن الوحدة واجتناب الفرقة هي أحد أمثلة الحياة الطيبة في البعد الاجتماعي.

حفظ المجتمع الاسلامي بالجهاد في سبيل الله

إن الجهاد في سبيل الله عامل من عوامل الحفاظ على تماسك المجتمع الإسلامي ومنع انحطاطه. قد فرض الله الجهاد حتى تحفظ أعراض المسلمين ولا يستطيع أحد أن يعتدي عليهم. يذكر الإمام السجاد(عليه السلام) باختصار موضوع الجهاد في دعائه لحرس الحدود ويقول: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ حَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ، وَ أَيِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ، وَ أَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِكَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ كَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَ اشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ، وَ احْرُسْ حَوْزَتَهُمْ، وَ امْنَعْ حَوْمَتَهُمْ، وَ أَلِّفْ جَمْعَهُمْ، وَ دَبِّرْ أَمْرَهُمْ، وَ وَاتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ، وَ تَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مُؤَنِهِمْ، وَ اعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَ أَعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ، وَ الْطُفْ لَهُمْ**

١. نفس المصدر، الدعاء ٢٠.

فِي الْمَكْرِ.»[1] فيما يتعلق بأهمية مقاومة الأعداء وحماية المجتمع الإسلامي من خطر الأعداء، دعا الإمام حرس الحدود إلى الثبات في وجه الأعداء: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ، وَ امْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ، وَ اجْعَلِ الْجَنَّةَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَ لَوِّحْ مِنْهَا لِأَبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ وَ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ وَ الْحُورِ الْحِسَانِ وَ الْأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ بِأَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ وَ الْأَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ بِصُنُوفِ الثَّمَرِ حَتَّى لَا يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالْإِدْبَارِ، وَ لَا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرَارٍ.**»[2] في هذا الدعاء يطلب الإمام السجاد من الله أن يضعف أعداء الإسلام حتى لا يتمكنوا من مهاجمة المجتمع الإسلامي، فيقول: «**اللَّهُمَّ افْلُلْ بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ، وَ اقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ، وَ فَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ، وَ اخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ، وَ بَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ أَزْوِدَتِهِمْ، وَ حَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ، وَ ضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ، وَ اقْطَعْ عَنْهُمُ الْمَدَدَ، وَ انْقُصْ مِنْهُمُ الْعَدَدَ، وَ امْلَأْ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ، وَ اقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْبَسْطِ، وَ اخْزِمْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وَ شَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ وَ نَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَ اقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ أَطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ. اللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ، وَ يَبِّسْ أَصْلَابَ رِجَالِهِمْ، وَ اقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ وَ أَنْعَامِهِمْ، لَا تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْرٍ، وَ لَا لِأَرْضِهِمْ فِي نَبَاتٍ**».[3] يسأل الإمام السجاد(عليه السلام) الله قوة جنود الإسلام وضعف أعداء الإسلام حتى ينتشر دين الله ويكون عاملاً في بسط الإسلام وعزته أمام المشركين كما يقول: «**اللَّهُمَّ وَ**

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٧.
٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه.

قَوِّ بِذَلِكَ مِحَالَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَ حَصِّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ، وَ ثَمِّرْ بِهِ أَمْوَالَهُمْ، وَ فَرِّغْهُمْ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ، وَ عَنْ مُنَابَذَتِهِمْ لِلْخَلْوَةِ بِكَ حَتَّى لَا يُعْبَدَ فِي بِقَاعِ الْأَرْضِ غَيْرُكَ، وَ لَا تُعَفَّرَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ. اللَّهُمَّ اغْزُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ بِإِزَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَ أَمْدِدْهُمْ بِمَلَائِكَةٍ مِنْ عِنْدِكَ مُرْدِفِينَ حَتَّى يَكْشِفُوهُمْ إِلَى مُنْقَطَعِ التُّرَابِ قَتْلًا فِي أَرْضِكَ وَ أَسْراً، أَوْ يُقِرُّوا بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ.»[1] يواصل الإمام السجاد(عليه السلام) شرح موضوع الجهاد ومواجهة الأعداء قدر الإمكان و يقول: «**اللَّهُمَّ اشْغَلِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُشْرِكِينَ عَنْ تَنَاوُلِ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ، وَ خُذْهُمْ بِالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ، وَ ثَبِّطْهُمْ بِالْفُرْقَةِ عَنِ الاحْتِشَادِ عَلَيْهِمْ. اللَّهُمَّ أَخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْأَمَنَةِ، وَ أَبْدَانَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ، وَ أَذْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الِاحْتِيَالِ، وَ أَوْهِنْ أَرْكَانَهُمْ عَنْ مُنَازَلَةِ الرِّجَالِ، وَ جَبِّنْهُمْ عَنْ مُقَارَعَةِ الْأَبْطَالِ، وَ ابْعَثْ عَلَيْهِمْ جُنْداً مِنْ مَلَائِكَتِكَ بِبَأْسٍ مِنْ بَأْسِكَ كَفِعْلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، تَقْطَعُ بِهِ دَابِرَهُمْ وَ تَحْصُدُ بِهِ شَوْكَتَهُمْ، وَ تُفَرِّقُ بِهِ عَدَدَهُمْ. اللَّهُمَّ وَ امْزُجْ مِيَاهَهُمْ بِالْوَبَاءِ، وَ أَطْعِمَتَهُمْ بِالْأَدْوَاءِ، وَ ارْمِ بِلَادَهُمْ بِالْخُسُوفِ، وَ أَلِحَّ عَلَيْهَا بِالْقُذُوفِ، وَ افْرَعْهَا بِالْمُحُولِ، وَ اجْعَلْ مِيرَهُمْ فِي أَحَصِّ أَرْضِكَ وَ أَبْعَدِهَا عَنْهُمْ، وَ امْنَعْ حُصُونَهَا مِنْهُمْ، أَصِبْهُمْ بِالْجُوعِ الْمُقِيمِ وَ السُّقْمِ الْأَلِيمِ. اللَّهُمَّ وَ أَيُّمَا غَازٍ غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ، أَوْ مُجَاهِدٍ جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ لِيَكُونَ دِينُكَ الْأَعْلَى وَ حِزْبُكَ الْأَقْوَى وَ حَظُّكَ الْأَوْفَى فَلَقِّهِ الْيُسْرَ، وَ هَيِّئْ لَهُ الْأَمْرَ، وَ تَوَلَّهُ بِالنُّجْحِ، وَ تَخَيَّرْ لَهُ الْأَصْحَابَ، وَ اسْتَقْوِ لَهُ، الظَّهْرَ، وَ**

---

١. المصدر نفسه.

أَسْبِغْ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَةِ، وَ مَتِّعْهُ بِالنَّشَاطِ، وَ أَطْفِ عَنْهُ حَرَارَةَ الشَّوْقِ، وَ أَجِرْهُ مِنْ غَمِّ الْوَحْشَةِ، وَ أَنْسِهِ ذِكْرَ الْأَهْلِ وَ الْوَلَدِ. وَ أَثْرِ لَهُ حُسْنَ النِّيَّةِ، وَ تَوَلَّهُ بِالْعَافِيَةِ، وَ أَصْحِبْهُ السَّلَامَةَ، وَ أَعْفِهِ مِنَ الْجُبْنِ، وَ أَلْهِمْهُ الْجُرْأَةَ، وَ ارْزُقْهُ الشِّدَّةَ، وَ أَيِّدْهُ بِالنُّصْرَةِ، وَ عَلِّمْهُ السِّيَرَ وَ السُّنَنَ، وَ سَدِّدْهُ فِي الْحُكْمِ، وَ اعْزِلْ عَنْهُ الرِّيَاءَ، وَ خَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَةِ، وَ اجْعَلْ فِكْرَهُ وَ ذِكْرَهُ وَ ظَعْنَهُ وَ إِقَامَتَهُ، فِيكَ وَ لَكَ.فَإِذَا صَافَّ عَدُوَّكَ وَ عَدُوَّهُ فَقَلِّلْهُمْ فِي عَيْنِهِ، وَ صَغِّرْ شَأْنَهُمْ فِي قَلْبِهِ، وَ أَدِلْ لَهُ مِنْهُمْ، وَ لَا تُدِلْهُمْ مِنْهُ، فَإِنْ خَتَمْتَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ، وَ قَضَيْتَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَبَعْدَ أَنْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ بِالْقَتْلِ، وَ بَعْدَ أَنْ يَجْهَدَ بِهِمُ الْأَسْرُ، وَ بَعْدَ أَنْ تَأْمَنَ أَطْرَافُ الْمُسْلِمِينَ، وَ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ عَدُوُّكَ مُدْبِرِينَ. اللَّهُمَّ وَ أَيُّمَا مُسْلِمٍ خَلَفَ غَازِياً أَوْ مُرَابِطاً فِي دَارِهِ، أَوْ تَعَهَّدَ خَالِفِيهِ فِي غَيْبَتِهِ، أَوْ أَعَانَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ، أَوْ أَمَدَّهُ بِعَتَادٍ، أَوْ شَحَذَهُ عَلَى جِهَادٍ، أَوْ أَتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً، أَوْ رَعَى لَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُرْمَةً، فَآجِرْ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ وَزْناً بِوَزْنٍ وَ مِثْلًا بِمِثْلٍ، وَ عَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حَاضِراً يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ مَا قَدَّمَ وَ سُرُورَ مَا أَتَى بِهِ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ الْوَقْتُ إِلَى مَا أَجْرَيْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ، وَ أَعْدَدْتَ لَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ.اللَّهُمَّ وَ أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَهَمَّهُ أَمْرُ الْإِسْلَامِ، وَ أَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ أَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ فَنَوَى غَزْواً، أَوْ هَمَّ بِجِهَادٍ فَقَعَدَ بِهِ ضَعْفٌ، أَوْ أَبْطَأَتْ بِهِ فَاقَةٌ، أَوْ أَخَّرَهُ عَنْهُ حَادِثٌ، أَوْ عَرَضَ لَهُ دُونَ إِرَادَتِهِ مَانِعٌ فَاكْتُبِ اسْمَهُ فِي الْعَابِدِينَ، وَ أَوْجِبْ لَهُ ثَوَابَ الْمُجَاهِدِينَ، وَ اجْعَلْهُ فِي نِظَامِ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، صَلَاةً عَالِيَةً عَلَى الصَّلَوَاتِ، مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيَّاتِ، صَلَاةً لَا يَنْتَهِي أَمَدُهَا،

وَ لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهَا كَأَتَمِّ مَا مَضَى مِنْ صَلَوَاتِكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ، إِنَّكَ الْمَنَّانُ الْحَمِيدُ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْفَعَّالُ لِمَا تُرِيدُ.»[1]

الجهاد هو أحد الأحكام المهمة في القرآن، وقد جاء لحماية المجتمع الإسلامي من أخطار الأعداء. ولولا الجهاد لهدم الأعداء الإسلام والمؤمنين: **﴿الَّذينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَواتٌ وَ مَساجِدُ يُذْكَرُ فيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثيراً وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزيزٌ﴾**[2] والآية إن وقعت موقع التعليل بالنسبة إلى تشريع القتال و الجهاد، ومحصلها أن تشريع القتال إنما هو لحفظ المجتمع الديني من شر أعداء الدين المهتمين بإطفاء نور الله فلولا ذلك لانهدمت المعابد الدينية والمشاعر الإلهية ونسخت العبادات والمناسك. لكن المراد بدفع الله الناس بعضهم ببعض أعم من القتال فإن دفع بعض الناس بعضا ذبا عن منافع الحياة وحفظا لاستقامة حال العيش سنة فطرية جارية بين الناس والسنن الفطرية منتهية إليه تعالى و يشهد به تجهيز الإنسان كسائر الموجودات بأدوات وقوى تسهل له البطش ثم بالفكر الذي يهديه إلى اتخاذ وسائل الدفع و الدفاع عن نفسه أو أي شأن من شئون نفسه مما تتم به حياته وتتوقف عليه سعادته. والدفع بالقتال آخر ما يتوسل إليه من الدفع إذا لم ينجع غيره من قبيل آخر الدواء الكي ففيه إقدام على فناء البعض لبقاء البعض و تحمل لمشقة في سبيل راحة سنة جارية في المجتمع الإنساني بل في جميع الموجودات التي لها نفسية ما و استقلال ما. ففي الآية إشارة إلى أن

---

١. الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٧.

٢. الحج/ ٤٠.

القتال في الإسـلام من فروع هذه السنة الفطرية الجارية و هي دفع الناس بعضهم بعضا عن شئون حياتهم، و إذا نسب إلى الله سبحانه كل ذلك دفعه النـاس بعضهم ببعض حفظا لدينه عن الضيعة، إنما اختص انهدام المعابد بالذكر مع أن من المعلوم أنه لو لا هذا الدفع لم يقم أصل الدين على سـاقه و انمحـت جميـع آثـاره لأن هذه المعابـد و المعاهد هي الشـعائر و الأعلام الدالـة عـلى الدين المذكرة له الحافظة لصورتـه في الأذهان.[١] وآيات أخرى تدل على ذلك أيضاً[٢] وكلها تعبر عن أهمية الجهاد في شرف وعزة الإسلام والمسلمين.

١. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٣٨٦.
٢. انظر: البقرة/١٩٣؛ الانفال/٧٢؛ الانفال /٧٤؛ التوبة/٤١.

قائمة المنابع و المصادر

١. **القرآن الكريم.**

٢. الامام السجاد (عليه السلام)، الصحيفة السجادية، قم: منشورات الهادي، ١٤١٨هـ.

٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، قم: منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي(ره)، ١٤٠٤هـ.

٤. ابن أبي جمهور، محمد بن علي بن إبراهيم احسائي، عوالي اللئالي، قم:منشورات دارالسيد الشهداء، ١٤٠٣ هـ.

٥. ابن حنبل، احمد، المسند، بيروت: دارصادر.

٦. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبري، مدينه منوره: مكتبه العلوم و الحكم، ١٤٢٥هـ.

٧. ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، قم: جامعة المدرسين، ١٤٠٤هـ.

٨. ابن شهر آشوب، محمد بن على، متشابه القرآن ومختلفه، قم: منشورات بيدار، ١٤١٠ هـ.

٩. ابن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، بيروت: دارالفكر، ١٤١٥هـ.

١٠. ابن عطيه اندلسى، عبدالحق، المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، بيروت: دار الكتب العلميه، ١٤٢٢هـ.

١١. ابن فارس، محمد بن زكريا، معجم مقايس اللغه، قم: دارالكتاب العلميه.

١٢. ابن فتال نيشابوري، محمد بن حسن، روضه الواعظين و بصيره المتعظين، قم: شريف رضي، بي تا.

١٣. ابن فهد حلي، عدة الداعي و نجاح الساعي، قم: دار الكتب الاسلامية، ١٤٠٧هـ.

١٤. ابن كثير الدمشقى، اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الكتب العلميه، ١٤١٩ق.

١٥.ابن كثير الدمشقي، البدايه و النهايه، بيروت: داراحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.
١٦.ابن منظور، محمد، لسان العرب، قم: منشورات ادب الحوزة، ١٤٠٥ هـ.
١٧.أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه، كامل الزيارات، نجف: منشورات المرتضوي، ١٣٥٦ هـ.
١٨.الاربلي،ابوالحسن علي بن عيسي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تبريز: منشورات بني هاشمي، ١٣٨١ هـ.
١٩.الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، دلائل النبوة، بيروت، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ.
٢٠.الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم و درر الكلم، قم: منشورات المحدث، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ.
٢١.الأميني، عبدالحسين احمد، الغدير فى الكتاب و السنه و الادب، تهران: دارالكتب الاسلاميه، ١٣٦٦ش.
٢٢.٢٢.الإيرواني، جواد، الأخلاق الاقتصادي من منظر القرآن و الحديث، مشهد: منشورات جامعة الرضوي للعلوم الإسلامية، ٢٠٠٥م.
٢٣.البحرانى، سيد هاشم بن سليمان بن اسماعيل حسنى، غاية المرام، طهران: ١٢٧١هـ.
٢٤.البخاري، ابوعبدالله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، بيروت: دارابن كثير، ١٤٠٧هـ.
٢٥.البلاذري، احمد بن يحيي، انساب الاشراف، بيروت: دارالفكر، ١٤١٧ هـ.
٢٦.البيضاوى، عبدالله بن عمر، تفسيرالبيضاوي، بيروت: دارالكتب العلمية.
٢٧.الترمذي، محمد بن عيسي، سنن الترمذي، بيروت: دارالفكر، ١٤٢٥هـ.
٢٨.الثعالبي، عبدالرحمن، جواهر الحسان فى تفسير القرآن، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.
٢٩.الثعلبي، ابواسحاق احمد، الكشف و البيان(تفسير ثعلبي)، بيروت: داراحياء

التراث العربي، ١٤٢٢هـ.
٣٠.الجصاص، أحمدبن على، احكام القرآن، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.
٣١.جوادى الآملي، عبدالله، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، قم: مركز نشر اسراء، ١٣٨٦ش.
٣٢.الجوادي الآملي، عبدالله، توقع الإنسان من الدين، الطبعة الخامسة، قم: مركز اسراء للنشر، ١٣٨٧ ش.
٣٣.الجويني، إبراهيم بن محمد، فرائد السمطين، بيروت: مؤسسة المحمودي، ١٣٩٨هـ. حاكم الحسكاني، ابوالقاسم عبيدالله بن عبدالله، شواهد التنزيل، طهران: مؤسسة للطبع و النشر، ١٤١١ هـ.
٣٤.حاكم النيشابوري، محمد بن عبدالله، المستدرک علي الصحيحين، بيروت: دارالمعرفة، ١٤١١هـ.
٣٥.حرالعاملي، محمد بن حسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، قم: منشورات آل البيت، ١٤٠٩هـ.
٣٦.الحرالعاملي، محمد بن حسن، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة - منتخب المسائل، مشهد، الناشر : مجمع البحوث الإسلامية.
٣٧.الحسيني المدني الشيرازي، السيد علي خان، رياض السالكين، قم: منشورات مؤسسة النشر الاسلامي.
٣٨.الحلى، حسن بن يوسف، منهاج الكرامة في معرفة الامامة، مشهد: مؤسسة عاشوراء.
٣٩.الحلي، حسن بن يوسف، نهج الحق وكشف الصدق، قم: مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٧هـ.
٤٠.الحموئي الجويني، إبراهيم، فرائد السمطين، قم: مجمع احياء الثقافة الاسلامية، ١٤١٥هـ.
٤١.خطيب البغدادي، احمد بن علي، تاريخ بغداد، بيروت: دارالكتب

العلميه، ١٤١٧هـ.
٤٢. الخوارزمى، موفق، مناقب على بن ابى طالب(ع)، تحقيق: مالک محمودى، قم: مؤسسة النشر الاسلامى، ١٤١١هـ.
٤٣. الرازي، ابوالفتوح، تفسير روح الجنان، قم: منشورات مكتبة آيه الله المرعشي (ره)، ١٤٠٤هـ.
٤٤. الرازي، فخرالدين، مفاتيح الغيب، قم: مركز نشر مكتب الاعلام الاسلامي، ١٤١١هـ.
٤٥. الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، المفردات، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ.
٤٦. لراوندي، قطب الدين، الخرائج و الجرائح، قم: مدرسة الامام المهدي، ١٤٠٩ هـ.
٤٧. الزمخشري الخوارزمي، ابوالقاسم جارالله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل، بيروت: دارالفكر الاسلامية، ١٩٧٧م.
٤٨. سادوک، بنيامين، سلامة الروح، المجلة الفكر و السلوک، العدد ١٠-٩، ١٣٧٦ش.
٤٩. سبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله، الجديد في تفسير القرآن، بيروت: دارالتعارف المطبوعات، ١٤٠٦هـ.
٥٠. السيد ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، قم: نشر بلوغ، ١٣٨٢ش.
٥١. السيوطي، جلال الدين، تفسير الدرالمنثور، بيروت: دارالمعرفة.
٥٢. الشاكر، حيدرمحمود، التلقي للصحيفة السجادية، كربلاء المقدسة: منشورات قسم الشوون الفكرية و الثقافية العتبة الحسينية المقدسة.
٥٣. شريف الرضي، نهج البلاغة، قم: منشورات هجرت، ١٤١٤هـ.
٥٤. الشوكانى، محمد بن على، فتح القدير، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٤١٤ هـ.
٥٥. صادقي الطهراني، محمد، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن و السنة، قم: منشورات الثقافة الاسلامية، ١٤٠٦هـ.

٥٦.الصدوق، محمد بابويه، الأمالي، بيروت: منشورات اعلمي، ١٤٠٠ هـ.
٥٧.الصدوق، محمد بابويه، علل الشرايع، قم منشورات داوري.
٥٨.الصدوق، محمد بن بابويه، الخصال، قم: جامعة المدرسين، ١٣٦٢هـ.
٥٩.الصدوق، محمد بن بابويه، علل الشرائع، قم: منشورات داوري.
٦٠.الصدوق، محمد بن بابويه، معانى الاخبار، قم: منشورات جامعة المدرسين، ١٤٠٣هـ.
٦١.الصدوق، محمد بن على بابويه، من لا يحضره الفقيه، طهران: مطبعة آفتاب، ١٣٧٦هـ.
٦٢.الصدوق، محمدبن علي بابويه، اكمال الدين و اتمام النعمة، قم: منشورات مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٠٥هـ.
٦٣.الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، قم: منشورات جامعة المدرسين بحوزة علمية قم، ١٤١٧ هـ.
٦٤.الطباطبائي، محمد حسين، العلاقات الاجتماعية في الإسلام، طهران: منشورات آزادي.
٦٥.الطبرسى، أحمد بن على، الإحتجاج على أهل اللجاج، مشهد: منشورات مرتضى، ١٤٠٣هـ.
٦٦.الطبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان لعلوم القرآن(مجمع البيان في تفسير القرآن)، طهران: منشورات ناصر خسرو، ١٣٧٢ش.
٦٧.الطبرى، ابن جرير رستم(بى تا)، دلائل الامامة، قم: منشورات بعثت.
٦٨.الطريحي، فخرالدين، مجمع البحرين، طهران: منشورات مرتضوي، ١٣٧٥ش.
٦٩.الطوسي، محمد بن حسن، الامالي، قم: منشورات مؤسسة البعثة، ١٤١٤ هـ.
٧٠.الطوسي، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، بيروت، دار احياء التراث العربي.

٧١.الطوسي، محمد بن حسن، المصباح المتهجد، بيروت: مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١ هـ.
٧٢.الطيار، رزاق عبد الأمير مهدي، فلسفة الاحياء عند الامام علي بن الحسين (ع)، بحوث مهرجان تراتيل السجادية، كربلاء المقدسة، العتبة الحسينسية المقدسة، دارالوارث للطباعة و النشر، ١٤٤٤ هـ.
٧٣.العاملي، شرف الدين عبدالحسين، المراجعات، طهران: المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام، ١٣٧١ش.
٧٤.العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، قم: موسسة البعثة، ١٤٢١ هـ.
٧٥.فتح الهي، إبراهيم؛ ذولفقاري، شهروز، تاريخ تفسير القرآن الكريم، طهران: منشورات نگاهي ديگر، ١٣٨٧ش.
٧٦.فضل الله، سيد محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، بيروت: دار الملاک لطباعه و النشر، ١٤١٩هـ.
٧٧.القرشي، مهدي باقر، القرشي، باقر شريف، حياة الامام السجاد عليه السلام، منشورات مهر دلدار، ١٣٨٧ش.
٧٨.قندوزى الحنفى، شيخ سليمان، ينابيع المودة، بيروت: مؤسسة الاعلمى، ١٤١٨هـ.
٧٩.الكوفي، ابوالقاسم فرات بن ابراهيم، تفسير فرات كوفي، طهران: مؤسسة الطبع و النشر، ١٤١٠هـ.
٨٠.الكشي، محمد بن عمر، رجال الكشي- اختيار معرفة الرجال، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ١٣٦٣ ش.
٨١.الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، طهران: منشورات العلمية الإسلامية، ١٣٦٤ش.
٨٢.الكمالي الدزفولي، علي، القرآن و الاجتماع، قم: منشورات اسوه، ١٣٧٠ ش.
٨٣.المالوني ، الاسلام و سلامة الروح، طهران: منشورات بيتا، ٢٠٠٠م.
٨٤.متّقي هندي، علاء الدين، كنزالعمّال، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ.

٨٥.المجلسي، محمد باقر، بحارالانوار، بيروت: معهد الوفاء، ١٤٠٣هـ.
٨٦.محقّق الداماد، السيد محمد باقر، شرح الصحيفة الكاملة السجّاديّة، قم: منشورات بهار القلوب.
٨٧.المسعودي، علي بن حسين، اثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، بيروت: دارالأصول، ١٤٠٩ هـ.
٨٨.مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، بيروت: دارالفكر.
٨٩.المصباح اليزدي، محمد تقي، الأنسنة في القرآن، قم: منشورات معهد الإمام الخميني للتربية والبحوث، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨ش.
٩٠.المفيد، محمد بن نعمان، امالي المفيد، قم: منشورات مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ.
٩١.المفيد، محمدبن نعمان، الارشاد، قم، مؤتمر الشيخ مفيد، ١٤١٣هـ.
٩٢.المفيد، محمد بن نعمان، تفسير القرآن المجيد، قم: منشورات تبليغات اسلامى، ١٤١٤هـ.
٩٣.المكارم الشيرازي، ناصر، الامثل في تفسير القرآن، الطبعة الثلاثون، طهران: منشورات درالكتب الاسلامية، ١٣٧٢ش.
٩٤.نجارزادغان، فتح الله، دراسة مقارنة لآيات الولاية في رأي الفريقين، طهران: منشورات سمت،١٣٩١ش.
٩٥.النجاشي، أبي العبّاس أحمد بن علي، رجال النجاشي، قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
٩٦.النجفي، الشيخ محمد حسن، جواهر الكلام في ثوبه الجديد، قم: منشورات مؤسسة موسوعة الفقه الاسلامي في مذهب أهل البيت عليهم السلام، ١٤٢١ هـ.
٩٧.اليعقوبي، أحمد بن اسحاق، تاريخ اليعقوبي، بيروت: دارصادر.

فهرست

الاهداء ٥
التقدير والشكر ٧
المقدمة ٩
الفصل الأول: مفاهيم البحث وعمومياته ١٥
اولاً: نبذة مختصرة عن حياة الامام علي بن الحسين (عليهما السلام) ١٥
الميلاد إلى الاستشهاد ١٥
نسبه الشريف ١٧
القابه ٢٠
النصوص الدالة على إمامة الإمام السجاد (عليه السلام) ٢١
الفضائل والكمالات الأخلاقية ٢٥
ثانيا: دراسة عن صحة السند والمتن للصحيفة السجادية ٢٧
المتلقّون الرواة لسند الصّحيفة السّجّاديّة: ٢٩
مخطوطات الصّحيفة السّجّاديّة المتداولة ٣٢
دراسة حول اعتبار متن الكتاب ٣٤
ثالثاً: مفهوم "الحياة الطيبة" ٣٦
الفصل الثاني: معرفة الله و التوحيد ٤٢
الاول: الإيمان بالله الواحد و رفض كافة أشكال الشرك ٤٢
الثاني: المعرفة الصحية بالله تبارك و تعالي ٤٥
١.علم الله ٤٦
٢.قدرة الله ٤٧
٣.غنى الله ٤٨

٤.عدالة الله ٤٩
٥.رحمة الله ٤٩
الثالث: حمد الله وشكره ٥٣
الرابع: غاية التوحيد هي عبودية الله ٥٥
الخامس: ثمرات التوحيد وعبادة الله في الحياة الطيبة ٥٩
١.رضا الله والرضا بالقضاء الإلهي ٦٠
٢.الوصول إلى قرب الله ٦٨
٣.هادفة الحياة ٦٨
٤.الوصول إلى الهدوء وثقة القلب ٧٣
٥.تجنب الذنوب والتغلب على الشيطان ٧٨
جزء من دعاء يوم عرفة حول التوحيد ومعرفة الله تبارك و تعالي ٨١
الفصل الثالث الاعتقاد بولاية الائمة المعصومين (عليهم السلام)..... ٨٤
اولاً: الوضع السياسي والاجتماعي في زمن الإمام السجّاد حول الإمامة..... ٨٤
ثانياً: دور الامام السجاد(عليه السلام) لتبيين مكانة اهل البيت ٨٥
١.عصمة أهل البيت (عليهم السلام) ٨٥
**التحليل والدراسة ٨٦
٢. ضرورة ولاية الإمام في المجتمع ٨٩
**التحليل والدراسة ٩١
٣. علم الإمام..... ٩٥
**التحليل والدراسة ٩٦
٤. ولاية الإمام علي في غدير خم ٩٩
التحليل والدراسة ٩٩

ثالثاً: آثار ونتائج الإيمان بالإمامة في الحياة الطيبة ١٠٦
١. القبول بولاية أهل البيت ، دخول في حصن التوحيد ١٠٨
٢.الفهم الصحيح لتعاليم الدين وأحكامه ١١٣
٣.الوصول إلى رضوان الله و رضاه ١١٨
٤.تهذيب النفس والوصول إلى درجات الكمال ١٢٠
جزء من دعاء يوم عرفة حول معرفة الائمة عليهم السلام..... ١٢٢
الفصل الرابع: الإيمان بالآخرة ونتائجه في الحياة الطيبة ١٢٦
اهمية الايمان بالآخرة في الصحيفة السجادية..... ١٢٦
المناهج التربوية في أسماء القيامة..... ١٢٩
يوم التلاق ١٢٩
يوم تبلى السرائر ١٣١
يوم المجاز..... ١٣٢
يوم الحسرة..... ١٣٣
يوم الحساب ١٣٥
يوم الفصل..... ١٣٧
نتائج الإيمان بالآخرة في الحياة ١٣٨
تقصير الرغبات الدنيوية ١٣٩
القيام بالأعمال الصالحة..... ١٤١
تجنب الذنوب..... ١٤٣
الوصول إلى درجات المعرفة في ضوء الاستعداد للقاء الله في الآخرة ١٤٥
الفصل الخامس : الخصائص العبادية و السلوكية في الحياة الطيبة..... ١٥٤
الاول: الخصائص العبادية ١٥٤

أداء الصلاة: ١٥٤
الصيام: ١٥٩
الزكاة ١٦١
الحج وثبات الدين ١٦٤
الثاني:المنهج السلوكي للقرآن في الحياة ١٦٦
تقوية الأمل و الحيوية في الحياة وإزالة خيبة الأمل: ١٦٧
الدعاء: ١٧٠
التوكل والثقة بالله ١٧٧
الوصية بالصبر والاستقامة: ١٨٠
التوبة وأهميتها في الحياة الطيبة ١٨٣
الفصل السادس : خصائص الأخلاق الصالحة في الحياة الطيبة ١٩٣
مؤشرات أخلاقية كريمة في الحياة الطيبة ١٩٤
تجنب الرذائل الأخلاقية ١٩٥
الغضب ١٩٥
سوء الظن والتجسس والغيبة ١٩٧
الحسد ١٩٩
تجنب الرذائل الأخلاقية الأخرى ٢٠٢
الاهتمام بالفضائل الأخلاقية ٢٠٢
حسن الخلق والوداعة ٢٠٢
الصدق والصداقة ٢٠٤
التسامح و العفو ٢٠٧
روح الإصلاح ٢١٠

الاعتدال ٢١٢
القناعة ٢١٤
الفصل السابع : المؤشرات الاقتصادية في الحياة الطيبة ٢١٦
الاول: مُكَونات العَمَل لِخَلق فُرَص التَوظيف وَ الإنتاج ٢١٧
الثاني: مُكَونات الإجرائي لِإزالَة الاَضرار الاِقتِصادية ٢٢٣
الثالث: المُكَوناتُ العَمَليةُ لِاستِئصالِ الفَقرِ وَ الفَجوَةِ الاِجتِماعيةِ ٢٢٨
الرابع: مُكَوناتُ العَمَلِ مِن أَجلِ التَنميةِ الاِقتِصاديةِ ٢٣٦
الفصل الثامن : الخصائص الاجتماعية للحياة الطيبة ٢٤٢
التعاون الاجتماعي في أعمال الخير ٢٤٣
الاستشارة وأثرها في الحياة الفردية والاجتماعية ٢٤٧
الامر بالمعروف و النهي عن المنكر ٢٥١
حل مشاكل الآخرين ٢٥٤
الالتزام بالمعاهدات والاتفاقيات في العلاقات الاجتماعية ٢٥٧
الوحدة والبعد عن التفرقة ٢٦٠
حفظ المجتمع الاسلامي بالجهاد في سبيل الله ٢٦٣
قائمة المنابع و المصادر ٢٦٩